ساكن المدينة المنورة

منزلته ومسؤوليته

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الثالثة

١٤٢٥هـ

المدرسة المدنية
(٢٠)

ساكن المدينة المنورة

منزلته، ومسؤوليته

الفقير إلى رحمة ربه
خليل بن إبراهيم ملا خاطر العزَّامي
نزيلُ المدينة المنورة

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

اللهم لا علم لنا إلا ما علَّمتَنَا ، إنك أنت العليم الحكيم .

اللهم علِّمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علَّمتَنا ، وزدنا علماً .

اللهم لا سهلَ إلا ما جعلتَه سهلاً ؛ وأنت تجعل الحزْنَ إذا شئتَ سهلاً ، فيسِّر لنا أمورَنا ، واختم لنا بالسعادة إنك على كل شيء قدير .

أما بعد :

فإني أشكر لقيادة القوات الخاصة لأمن الطرق[1] ؛ حسنَ ظنِّهم بشخصي الضعيف ، وإلحاحَهم الالتقاء بكم ،... راجياً أن أكون عند حسن ظن الجميع .

إني لست معلِّماً لكم الآن ، ولكني مذكِّر ، إني لست مدرِّساً ، ولكني باحثٌ معكم : منزلةَ هذه البلدة المباركة ، ومنزلةَ سُكّانها ،... ومسؤوليةَ ساكنيها .

إني سأتحدث معكم في هذه الليلة المباركة حديثَ القلب للقلب ، والروح للروح ، والنفس للنفس .

لذا فإن حديثي سيكون شاملاً - بإذن الله تعالى - لكل ساكن في هذه البلدة المباركة ؛ من أمير ومأمور ، من مدير وموظف ، من مدرِّس وطالب ، من عالم

---

(١) هذه الرسالة هي طَلٌ للمحاضرة التي ألقيت ليلة الخميس ١٩ ذي القعدة ١٤٢٠ ٤٢٠ هـ في صالة النشاط الثقافي بمدينة الأمير محمد بن عبد العزيز بالمدينة المنورة ، وقد أضفت فيها بعض الفقرات ، مع بعض التغيير ، استكمالاً للموضوع ، راجياً منه تعالى حسن القبول .

ومتعلِّم ، من مدني وعسكري ، من قاطن ومهاجر ومقيم ،... من كبير وصغير ، من رجل وأنثى ، من تاجر وأجير ، من صانع ومزارع ،... من ربِّ عمل وعامل ،... وذلك لأن الله سبحانه وتعالى عندما عاتب أهلَ المدينة ومن حولها يوم تبوك قال : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ ﴾[1] فنسبهم إليها ، ولم يخص أحداً بالذكر ، مع أن سُكانَ المدينة في ذلك الوقت أربعةُ أقسام ، هم : المهاجرون ، والأنصار ، ومِن مَسلَمة الفتح ، وممن استوطنها من غيرهم رضي الله عنهم .

فكل من رضي أن يسكن في هذه البلدة المباركة ؛... فإنه مخاطب بهذا الحديث ، لأنه يشمله ، ويُبيِّن له منزلتَه ، ومسؤوليَّتَه ، وإن كان حديثي سيكون بشكل مختصر ، إذ يصعب استيعاب ذلك في محاضرة ، مهما طال وقتُها .

لذا فإن حديثي معكم سيكون إن شاء الله تعالى في فصلين :

الفصل الأول : فضائل هذه المدينة المنورة وساكنيها .

وفيه مبحثان .

الفصل الثاني : مسؤولية ساكني هذه البلدة المباركة .

وفيه مبحثان أيضاً .

راجياً منه تعالى أن يلهمني الصواب ، وقولَ الحق ، وثباتَ الجَنَان .

﴿ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ۞ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ۞ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ۞ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴾[2] .

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[3] .

---

(١) سورة التوبة (١٢٠).

(٢) سورة طه (٢٥ – ٢٨).

(٣) سورة النمل (١٩).

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[1].

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين ، وسلَّم تسليماً كثيراً .

والحمد لله رب العالمين .

وكتب

أبو إبراهيم

خليل إبراهيم مُلا خاطر العزَّامي

نزيل المدينة المنورة

☆☆☆☆☆

---

(١) سورة الأحقاف (١٥).

الفصل الأول

فضائل المدينة المنوّرة وساكنيها

وفيه مبحثان

المبحث الأول: فضائل المدينة المنوّرة على الإجمال

المبحث الثاني: منزلة ساكني المدينة المنوّرة المباركة

الفصل الأول
فضائل المدينة المنوّرة وساكنيها

إن الحديث عن المدينة المنورة المباركة يحلو ، بقدر محبةِ المتكلِّم عنها لها ، كما يحلو بقدر محبةِ السامع لها ، كيف لا ؛ وهي بلد الحبيب المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، التي اختارها الله جلت قدرته منذ الأزل لتكون بلدَ رسوله المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وتربتَه ،... وعاصمة الإسلام الأولىٰ ، وجعل فيها من الفضائل والمزايا ،... ما لا يوجد ـ مجتمعاً ـ في بلد آخر ، واختصها الله عز وجل من سائر البلدان لتكون المدخلَ الصدق ، كما اختص أهلَها ليكونوا أنصارَ الله تعالى ، وأنصارَ رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ورضي الله عنهم ، فكانوا البلدَ الذي استقبله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، بعد أن رفضت سائرُ القبائل والبلدان ،... لما ادخر الله تعالى للأنصار رضي الله عنهم من هذا الفضل العظيم .

فصارت مأرِزَ الإيمان[1]، ومهاجَرَ النبي المصطفى الكريم عليه وآله الصلاة والسلام ، ومضجعَه ، وعرفنا أنها منشؤه بعد ذلك[2]، ومنها حشرُه ،... فصارت مهوىٰ أفئدة المؤمنين في حياته ، وبعد انتقاله عليه وآله الصلاة والسلام على مر الدهور والأعوام .

---

(١) يعني : ملجأ ومأوىٰ الإيمان .

(٢) وذلك أن الإنسان لا يدفن إلا في موضع التربة التي منها خُلق .

إن لله تعالى خواص ؛ في الأزمنة والأمكنة والأشخاص .

خصَّ البشر من سائر مخلوقاته تعالى ، وخص الأنبياء عليهم السلام من سائر البشر ، وخص الرسل عليهم السلام من سائر الأنبياء ، وخص أولي العزم عليهم السلام من سائر الرسل ، وخص نبيَّنا المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم من سائر أولي العزم ؛ عليه وعليهم الصلاة والسلام[1] بل خص في هذه الأمة أولياءَها ، بل خص القرونَ المفضلةَ على سائر الخليقة ـ عدا المرسلين على نبينا وعليهم الصلاة والسلام ـ وعلى سائر الأمة إلى يوم القيامة .

وخص من الزمان : شهر رمضان ، وليلة القدر ؛ بأنها خير من ألف شهر ، ويوم الجمعة ، وليلتها ، وساعة الإجابة فيها ، ويوم عرفة ، والعشر الأولىٰ من ذي الحجة ،...إلخ. وهكذا .

وخص من الأمكنة الكثير أيضاً ؛ فقد خص الحرمين الشريفين ، وبيت المقدس ، بل خص في المدينة المنورة الكثير ؛ كجبل أحد ، ووادي العقيق ، وأرض المدينة ، وترابها ، وبقيعها ، وثمرها ، والمسجد النبوي الشريف ، كما خص فيه الروضةَ ، وسواريها ، ومنبرَها ،... ومسجدَ قباء ، وغيره من مساجدها ،... وخص في مكة المكرمة الكثير أيضاً ،...

لذا فإني لن أستطيع أن أتحدث عن فضائل المدينة المنورة ؛ في هذه المحاضرة بشكل مستوعب ، وذلك لأني أفردت لها كتاباً حافلاً . أسأل الله تعالى قبولَه ، وهو مطبوع في ثلاثة مجلدات ، ذكرت فيه نحواً من (١٢٠٠) ألف ومائتي حديث . وجعلته في أربعة أبواب ؛ تحدثت في الباب الأول : عن حَرَم المدينة

---

(١) انظر : مكانة النبي الكريم ﷺ بين الأنبياء عليهم السلام .

المنورة ، وفي الباب الثاني : عن فضائل ساكني المدينة المنورة ، وفي الباب الثالث : عن مساجد المدينة المنورة ، وفي الباب الرابع : عن أرض المدينة ، وجبالها ، وأوديتها ، وثمارها ،... ومقابرها ،...إلخ.

ومع كل هذا ، فإني لم أستوعب فضلَ المدينة وساكنيها ،... وكيف أستطيع ، وقد اختارها الله سبحانه وتعالى منذ الأزل لتكون مهاجَراً ومسكناً ،... ثم مضجعاً لرسوله المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فجعلها مُحَرَّمة ، وجعل فيها من الخيرات والمبرات ،... ما لا يوجد في بلد آخر ، ولا يقاربها في كثير مما فيها سوىٰ مكة .

كما أني لن أستطيع أن أوفي ساكنَ المدينة المنورة حقَّه من الفضل والمنزلة والمكانة ؛ كيف وقد اختاره الله تعالى من بين ملايين البشر ، ليكون مجاوراً لرسوله المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ،... وساكناً في مساكن الأخيار الأطهار ؛ من الصحابة الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم وقد فعل .

لذا حسبي أن أذكر في هذه العجالة فضائلَ المدينة المنورة المباركةَ جملة ، كما أذكر بعض ما جاء في فضائل ومناقب سكانها ، من باب دلالة الأمر القليل على الكثير ، والإشارة قبل العبارة ، والإجمال قبل التفصيل .

فهذا هو عذري للمدينة المنورة وساكنيها ، أسأل الله تعالى القبول والرضا وحسن الختام .

لذا جعلت هذا الفصل في مبحثين :

المبحث الأول : فضائل المدينة المنورة على الإجمال .

المبحث الثاني : منزلة ساكني المدينة المنورة المباركة باختصار .

والله سبحانه وتعالى هو المسؤول عن قبوله ، وهو المرجو أن ينفع به مَن سمعه أو قرأه . وهو وحده تعالى حسبي ونعم الوكيل ، وبه ثقتي وملاذي ، وعليه اعتمادي .

وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه ، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين .

☆☆☆☆☆

المبحث الأول
فضائل المدينة المنوّرة على الإجمال

لا يمكن أن أتحدث عن فضائل المدينة المنورة كلها ، فقد ذكرتُ في (فضائل المدينة المنورة) نحواً من ألف ومائتي حديث . ومع هذا فإني لم أوفِّها حقَّها ، ولا جزءاً من فضلها ، كما ذكرتُ فضائلَ الأنصار رضي الله عنهم في (فضائل الصحابة الكرام رضي الله عنهم) فذكرتُ ما ورد فيهم ؛ مما جاء في القرآن الكريم ، وفي السنة النبوية الشريفة ، ومع هذا فإني لم أوفِّهم حقَّهم أيضاً ، ولا جزءاً منه أيضاً .

لذا فإني سأذكر ـ هنا ـ بعضَ فضائلها ، على سبيل الإجمال ، من غير تفصيل ، ولا ذكر للدليل ، إنما هو تذكرة لبعض ما فيها ، ومن أراد معرفةَ فضلها ومكانتها ،... فلينظر في الكتابين المذكورين ؛ يجد فيهما بعضَ بغيته إن شاء الله تعالى . إذ مالا يدرك كله لا يترك جله ، ولكن أقول : أذكر القليلَ للدلالة على الكثير إن شاء الله تعالى ، إذ في القليل الخير والبركة إن شاء الله تعالى ، والله تعالى هو المستعان ، وبه ثقتي ، وعليه اعتمادي .

أقول : لقد جعل الله تعالى لكلِّ نبيٍّ حَرَماً يأوي إليه ، وخصّه بما يتناسب ومكانةَ ذلك النبي عنده ،... وقد جعل الله سبحانه تعالى لنبيه وحبيبه وصفيه سيدنا محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلَّم المدينةَ حَرَماً ، وجعله حَرماً آمِناً ، جعلها الله تعالى مدخلَ صدق ، وبدأ بها لأهميتها ، تأكل القرى[1] وفيها من البركة أضعاف

(١) سيأتي بيانها إن شاء الله تعالى عند ذكر الحديث الخاص بها .

ما جعل في مكة ، هي سيدةُ البلدان ،... ودارُ الهجرة ، ودارُ الإيمان ، ومأرزُه ،... يئس الشيطان أن يُعبدَ فيها ، حرسها الله تعالى بالملائكة الكرام ، وحفظها من الزلازل والطاعون والدجال ، ولا يدخلها رُعبُه ،... تنفي عن نفسها الخبثَ ، وتنفي شرارَها في كل وقت ، كما ينفي الكير خبثَ الحديد والذهب والفضة ، وينصع طيبها ،... فلِطِيبها من الرائحة ما لا يوجد في غيرها ، ولجدرانها من الطيب ما لا يوجد في غيرها ،...

ـ **مدينة** : رآها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قبل هجرته إليها ، وأُخبر من قِبل جبريل عليهما الصلاة والسلام ليلةَ الإسراء أنها المهاجَر ،... فكانت المهاجَر ، والمسكن ، والمضْجِع ،... والعاصمة ، والقاصمة ،...إلخ.

ـ **مدينة** : فتحت قلبها وذراعيها ،... لاستقباله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وصحبِه من المهاجرين الكرام رضي الله عنهم ، فشمخت على سائر البلدان بذلك ، حيث عرفنا أنها تربتُه صلى الله عليه وآله وسلَّم التي منها خُلق ،... وصاروا جميعاً أهلَها .

ـ **مدينة** : حبّبها الله تعالى إلى المؤمنين ، كحبِّهم مكة أو أشد ، وبارك ـ بدعاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ لها ، فيها ، وفي صاعها ومدّها ، وثمرها ،... ورغّب في المجاورة فيها ، وحث على الموت فيها ، وهو صلى الله عليه وآله وسلَّم الشهيدُ والشافِعُ لمن صبر على لأوائها وشِدَّتها ، ولمن مات فيها ، ومن تركها رغبةً عنها ؛ أبدلها الله جلت قدرتُه خيراً منه ، ومن مات فيها بُعث يوم القيامة من الآمنين .

ـ **مدينة** : أضاءت يومَ دخول الحبيب المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله

وسلَّم إليها ، فسبَّحت بيده الشريفة حصباؤُها ،... واشتاقت إليه منابرُها ، واهتزت تحته ـ طرباً ـ جبالُها ،... ونبعت من بين أصابعه مياهُها ، ونما وتكاثر بين يديه طعامُها ، وأشبع العددَ الكثيرَ القليلُ من لبنها ، وتفتَّتَتْ من ضربةِ فأسهِ الصخرةُ في خندقها ،... وحَنَّت وبكت بين يديه جِمالُها ،... وشهدت له بالرسالة ذئابُها ،.. وسبَّح بين يديه طعامُها ، وأضاءت لأصحابه العصا في الليلة الظلماء ؛ حتى مشوا في ضوئها ، وعاد جبريلُ عليه السلام مريضَها ،...إلخ.

ـ **مدينة** : تعطَّر جوُّها بنفَسِه الطاهر صلى الله عليه وآله وسلَّم ، واختلط أثيرُها بنبرات صوته الكريم ،... ولثمت أرضُها جبهتَه وباطنَ كفيه صلى الله عليه وآله وسلَّم في صلاته ، وجنبَه الكريمَ في نومه ، وباطنَ قدمَيْه في مشيه ،... وتروَّت ذراتُها بدموعه صلى الله عليه وآله وسلَّم ،... وسعدت جدرانُها وحيطانها بالنظر إلى وجهه الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ،... وجبالُها بصعوده صلى الله عليه وآله وسلَّم عليها ، وبساتينُها بدخوله صلى الله عليه وآله وسلَّم إليها ، وبيوتُها بصلاته وبجلوسه صلى الله عليه وآله وسلَّم فيها ،... وشوارعُها بمروره صلى الله عليه وآله وسلَّم فيها ، وحاراتُها بتفقد أحوالها .

ـ **مدينة** : أحبَّه صلى الله عليه وآله وسلَّم أهلُها ، فأحبهم ، فجعل الحياة حياتَهم ، والموتَ موتَهم ،... من أخافهم أخافه الله جل شأنه ، لأنه أخاف رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ،... ومن آذاهم ، أو أرادهم بسوء أذابه الله عز وجل في النار ؛ كما يذوب الملحُ في الماء ، وكما يذوب الرصاصُ في النار ،... وعليه لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يَقبل الله تعالى منه صرفاً ولا عدلاً .

ـ **مدينة** : سمى الله تعالى أهلَها بالأنصار ، ولم يسمِّهم الناس ، جعل آيةَ الإيمان

حبَّهم ، وآيةَ النفاق بغضَهم ،... من أحبهم أحبه الله عز وجل ، ومن أبغضهم أبغضه الله جل وعز ، هم موالي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ليس لهم مولىٰ إلا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، هم أحبُّ الخلق إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ولولا الهجرةُ لتمنى أن يكون صلى الله عليه وآله وسلَّم منهم ، ولو سلك الناسُ وادياً أو شِعباً لسلك واديَهم أو شِعبَهم ، هم موضعُ سِرِّه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وأمانته ، وبطانته وخاصته ،... هم أهلُ إيثار وخيرية ، وأمانة وعفة ، وحنو وصبر ، نالوا الدعاء الكثير لهم ، ولذرياتهم ، ولمواليهم ،... غلبت عليهم محبةُ الآخرة ، فكانوا حريصين عليها ؛ كحرص الناس على الدنيا ،... فأوصىٰ صلى الله عليه وآله وسلَّم بهم خيراً ، واشتهرت وصايتُه صلى الله عليه وآله وسلَّم بهم ،... فلم يُعرف قوم بمثل ما لهم من الشهداء في الدنيا ، والعزة في الآخرة ،... رضي الله عنهم وأرضاهم وقد فعل .

ـ **مدينة** : تنزل الوحيُ فيها بالتشريع ، والأمان ، والجهاد ، وبيان الحلال والحرام ، وخالص الدين وصفاء الإيمان ، وعلَّم صلى الله عليه وآله وسلَّم دين الله عز وجل ،... فلم يَدَع صلى الله عليه وآله وسلَّم طائراً يطير ، أو وحشاً يسير ،... إلا وعند المسلمين عنه خبرٌ ، حتى ضرب الدِّينُ بكاهله ، وارتفع صوته ، ودخل الناس فيه أفواجاً ، وقضىٰ على جذور الشرك والوثنية .

ـ **مدينة** : كانت تُسمّى في الجاهلية يثرب ، فنهىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم عن ذلك ، وصارت : المدينةَ المنورةَ ، وجعل الله تعالى لها من الأسماء ما لم يَجعله لغيرها ، فأضافها إليه تعالى ، وأضافها إلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلَّم ،... فهي طَيْبَةٌ ، وطابةٌ ، وهي البحرةُ ، والبُحيرةُ ، وهي الدرعُ الحصينةُ ،

وقبةُ الإسلام ، ودارُ السنة ، والإيمان ، ودارُ السلامة ، ودارُ الهجرة ، وهي الدار ، والقرية ،...إلخ.

ـ **مدينة** : تشرَّفت وأهلُها ومن فيها ،... باستقبالهم له صلى الله عليه وآله وسلَّم ؛ يوم وصل إليهم ، فقالوا : (طلع البدر علينا) كما تشرَّفوا بعيشه صلى الله عليه وآله وسلَّم بينهم ، ومرقده فيهم ،... كما يتشرف الناس بعد ذلك بزيارتها ، والتواجد فيها ، والعيش فيها ، كما تحنو القلوبُ ، وتهوىٰ الأفئدةُ البعيدةُ إليها ،...

ـ **مدينة** : سعد أهلها به صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فقدَّموا الغالي قبل الرخيص ، والنفسَ والولدَ والمالَ ،... طواعيةً لله تعالى ، ورغبة لما عنده ، ومحبةً برسوله المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ،... فكانوا سعداءَ أبراراً ، فصاروا أنصارَ الله تعالى ، وأنصارَ رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم .

ـ **مدينة** : استأذنت الملائكةُ ربَّها عز وجل في السلام على رسوله المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وظهرت الآياتُ على يديه صلى الله عليه وآله وسلَّم تتلى بيناتٍ ظاهراتٍ ، والمعجزاتُ الخارقات توالت واضحاتٍ باهراتٍ ، فسعد الصحابةُ الكرامُ رضي الله عنهم برؤيتها ، وأقام الله تعالى بها الحجةَ على الخلق .

ـ **مدينة** : اختارها الله تعالى لنبيه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم سَكَناً ، ومهاجَراً ، ومضجعاً ،... وجعل أهلَها له صلى الله عليه وآله وسلَّم أنصاراً وأعواناً ، فعضتهم الحروبُ فصبروا ، ووجدوا الأَثَرَةَ بعده صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فصبروا ،... فكان موعدهم الحوض ، ليأخذ صلى الله عليه وآله وسلَّم لهم حقَّهم ، لأنهم جيرانُه صلى الله عليه وآله وسلَّم فلزم إكرامهم .

ـ **مدينة** : أحبّت وأهلُها ومن فيها رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ،... فأحبها رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وأحبَّ مَن فيها ، ودعا بتحبيبها ،... أفدىٰ أهلُها رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ففداهم ، وأشهد الله تعالى على حبِّهم ، فلا يزال الخير فيها ، والفضلُ فيها ، جعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم الهجرةَ إليها ـ قبل الفتح ـ واجبةً ، ثم المجاورة فيها بعد ذلك مطلوبة .

ـ **مدينةٌ** : عصمها الله تعالى من الشيطان ، وطهَّرها من الشرك والارتداد ، وأخلد فيها الإيمان ، تُشد إلى مسجدها الرحالُ ، وتُضاعَف فيها الأعمالُ ، والصلاةُ عند بعض سواري مسجدها متحراة ، ويجاب عندها الدعاء ، كما أن الصلاةَ في بعض مساجدها تعدل عمرة كاملة .

ـ **مدينة** : أحبها رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وحبَّبها الله جلت قدرته إلى الناس ، فإذا رآها رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : أسرع للوصول إليها ، دعا لها صلى الله عليه وآله وسلَّم ؛ بمثل ما دعا إبراهيمُ عليه السلام لمكة وأضعافِه معه ، بل أزيد وأكثر ، وجعل الله عز وجل القلوب تهوي إليها ، ورزقها من ثمرات الأرض ، وجعل طعام الواحد فيها يكفي الاثنين ، وطعامَ الاثنين يكفي الأربعة ، ونفى عنها الحُمَّىٰ القاتلةَ إلى الجُحْفة[1]، ولا يُضرب على سوقها خراج ، وحث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم على الجَلَب إليها ، ونهىٰ عن الاحتكار فيها .

ـ **مدينة** : تنفي الذنوب ، كما ينفي الكيرُ خبثَ الحديد والذهب والفضة ، وأهلُها هم أولُ من يُبعث بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم وصاحبيه رضي الله عنهما ، وأولُ من يحشر معه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وأولُ من يَشفع

---

(١) لأن أهلها كانوا من اليهود آنذاك ، وهي ميقات أهل الشام ، وهي قريبة من ينبع الآن .

لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ويُبعث من بقيعها الألوف وجوهُهم كالقمر ليلة البدر ؛ يدخلون الجنةَ بغير حساب ولا عذاب ، وحرَّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم دخولَ الكفار عليها ، وأمر ألا يبقى في المدينة إلا الإسلام ،... وأخبر صلى الله عليه وآله وسلَّم أن عالِمَها أعلمُ من عالم غيرها ،... وفيها أعظمُ الناس شهادةً عند الله عز وجل ، وجيشُها الخارج منها في آخر الزمان هم خيارُ أهل الأرض ،... وجعل فيها الخيريةَ إلى يوم القيامة ، وترتجف عند اقتراب الدجال ؛ ليخرج منها أشرارُها ، وفيها الرجلُ الصالحُ ، وهو خير الناس ـ أو من خيرهم ـ يومئذ ، ليقتله الدجالُ ، ثم يحييه الله تعالى ، ولن يُسلَّطَ الدجالُ عليه ، ولا على غيره بعده .

ـ **مدينة** : آخىٰ فيها رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بين المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم ، وجمع شملَهم ، ووحَّد كلمتَهم ، فصاروا أهلَها ، أخوةً متحابين في الله عز وجل ، وبهما فُتحت مكة .

ـ **مدينة** : كان أهلُها حريصين على نبيهم المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ؛ أحرصَ من العين على النظر ،... والأذن على السمع ، والظمآن على الماء ،... حتى بادلهم صلى الله عليه وآله وسلَّم الحبَّ بمثله ، بل بأزيد ،... فأحب رجالَهم وأطفالَهم ونساءَهم وأرضَهم وجبالَهم ومدينتَهم ،... بل جعل آية الإيمان حبَّهم .

لذا قال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يوم فتح مكة : « ...إني عبد الله ورسوله ، هاجرت إلى الله وإليكم ، والمحيا محياكم ، والممات مماتكم »[(١)].

وقال صلى الله عليه وآله وسلَّم لهم يوم حنين : « ...أما ترضون أن يرجع

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الجهاد : باب فتح مكة ، رقم (٨٤ ، ٨٦).

الناس بالشاة والبعير ، وترجعون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى رحالكم ؟ »[1].

ـ **مدينة** : يغضب الله عز وجل على الجيش الذي يغزوها في آخر الزمان ، فيخسف به الأرض .

ـ **مدينةٌ** : اختار الله عز وجل موضعَ مسجدها ، فعيّن جبريلُ عليه السلام قبلتَها ، فأُسس على التقوىٰ من أول يوم ، وجعله الله عز وجل آخرَ مساجد الأنبياء عليهم السلام ، وهو أولُ مسجدٍ لعامة المسلمين في هذه الأمة ، وضاعف أجرَ الصلاة فيه ، من صلى فيه عدداً معيناً[2] حماه الله تعالى من النار والعذاب والنفاق ، ومن جاءه معلِّماً أو متعلِّماً فهو كالمجاهد في سبيل الله عز وجل ، ومن يأته من بيته قاصداً : تُكفَّر سيئاتُه ، وتُزاد حسناتُه ، وتُرفع درجاتُه ،... وشُرع الابتداءُ به لمن قدم من سفر ، لذا حذَّر من رفع الصوت فيه .

ـ **مدينةٌ** : حنَّ جذعُها حزناً لفراقه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وشوقاً إليه عند ابتعاده ، وارتجف المنبرُ خشيةً ورهبةً من قراءته صلى الله عليه وآله وسلَّم وهو واقف عليه ،... لا يُجتهد في محرابها ، وكثيرٌ من مساجدها حظيت بصلاته صلى الله عليه وآله وسلَّم فيها ، ومكثه صلى الله عليه وآله وسلَّم فيها ، واستجاب الله جل شأنه دعاءَه صلى الله عليه وآله وسلَّم فيها ،... لذا يندب الصلاةُ والدعاءُ فيها ، اتباعاً لفعله صلى الله عليه وآله وسلَّم .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان . وصحيح مسلم : كتاب الزكاة : باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام ، رقم (١٣٩).

(٢) وهو قوله ﷺ : « من صلّى في مسجدي هذا أربعين صلاةً لا تفوته صلاة ... ». كما رواه أحمد والطبراني في الأوسط . وانظر فضائل المدينة المنورة (٢ : ٢٢٠ – ٢٢٥) لبيان شواهده ، والاحتجاج به .

ـ **مدينة** : جعل الله سبحانه وتعالى جبلَها أُحداً من الجنة ، أحبَّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ،... فأحبَّه رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وشمَّ بعضُ شهدائها رضي الله عنهم في غزوته رائحةَ الجنة قبل استشهاده ، ومنهم من ظلَّلته الملائكةُ بعد استشهاده ، ومنهم من خاطبه الله تعالى فيها كفاحاً ، ومنهم من غسَّلته الملائكةُ ، ومنهم من مشى بعرجته ـ في الجنة ـ برِجْل صحيحة ،... وشهد لهم رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وبقيت أجسادهم طرية .

ـ **مدينة** : تفتتت الكُدية[1] في خندقها ، من ضربةِ فأسهِ صلى الله عليه وآله وسلَّم يوم حفر خندقها ، وقد أشبع ألفَ رجل من أهل الخندق من شاةٍ صغيرةٍ لجابرٍ رضي الله عنه ، كما شبع أكثرُ منهم من كفِّ تمرٍ يومَ خندقها أيضاً ،...

ـ **مدينة** : هزم الله عز وجل الأحزابَ يوم الخندق بجند لا تُرىٰ ، فانقلب الميزان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « الآن نغزوهم ولا يغزوننا »[2]، واهتز عرشُ الرحمٰن لموت سعدها رضي الله عنه[3]، فحملته الملائكةُ ، وفُتحت له أبوابُ السماء .

ـ **مدينة** : واديها العقيقُ مبارك ، وبطحانُها[4] على ترعة من ترع الجنة ، وكثير

---

(١) هي الصخرة الكبيرة الصلبة التي اعترضتهم عند حفر الخندق ، وتكسرت المعاول عليها ، فاستجاروا به ﷺ ، فأهوىٰ عليها بفأسه ثلاث مرات ، فتفتت ، حتى صارت رملاً أهيل ، وظهر عند ضربه ﷺ لها عددٌ من المعجزات ، انظر : محبة النبي ﷺ وطاعته بين الإنسان والجماد . حيث ذكرتُ استجابة الجمادات له ﷺ .

(٢) رواه البخاري : كتاب المغازي : باب غزوة الخندق ، من حديث سليمان بن صُرَد رضي الله عنه .

(٣) هو سعد بن معاذ رضي الله عنه ، أصابه ابنُ العرقة بسهم يوم الخندق ، ولكنه توفي رضي الله عنه بعد تحكيمه في بني قريظة ، انظر تفاصيلَ ذلك في فضائل المدينة .

(٤) هو وادي بطحان ، يخترق المدينة من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي ، ويسمى في وسطها وادي (أبو جيدة) ويصب في مجمع السيول وهو الآن مسقوف .

من آبارها مباركة ، وبعضُها من الجنة ،... ومن له أصل فيها فليمسك به ، ومن ليس له أصل فليتخذ أصلاً ،... هي أقلُّ أرض الله تعالى مطراً ، ومع هذا فهي تشرب من مياه أمطارِ أرضٍ بعيدة[1]، كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم باتساعها ، وسعةِ رزقها ، وفضلِ زيارتها ،... هي باقية إلى قيام الساعة ، وآخرُ من يحشر راعيان من مُزَينة[2] يصلانها ، لذا فمن غاب عنها أُشرب قلبُه جفوة .

ـ **مدينة** : استحب بعضُ العلماء عدمَ الركوب فيها لمن قدر على ذلك ، كما استُحب الغُسلُ لدخولها ،... والخروجُ منها من طريق ، والعودُ إليها من طريق آخر ، ولبسُ أحسن الثياب فيها ،... ودخولُها ماشياً لمن قدر عليه ، والدخولُ إليها نهاراً ، ومن نذر إتيانَ مسجدها أو الصلاةَ فيه لزمه ذلك ،... ويستحب كثرةُ الصلاة والسلام على النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم فيها ،... والدعوةُ بالموت فيها ، والعمل على تحقيق ذلك ، لينال الشفاعةَ أو الشهادةَ .

ـ **مدينة** : جعلها الله تعالى مظهرَ الدِّين ، ففَتحت البلادَ ، واعتلى بها الشأن ، ومنها انتشر الإسلامُ ،... وارتفع منارُه ، ومنها شعَّ نورُه على أرجاء المعمورة ،... حوت صحابةَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ورضي الله عنهم ، فلا تزال عامرةً إلى النفخ في الصور ، وهي آخر قرى الإسلام خراباً ،... ضمّت بين جنباتها خيرَ الخلق صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وخِيرةَ هذه الأمة من بعده ، وكثيراً من أخيارها رضي الله عنهم وأرضاهم وقد فعل .

---

(١) كما هو الحال في سد العاقول ، حيث يقال : إن ماءه يأتي من منطقة الطائف .

(٢) قبيلة عربية هي الآن في جنوب وغرب المدينة ، فيها عدد من الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، منهم قائدهم المشهور (النعمان بن مقرن المزني رضي الله عنه) وهو قائدُ وشهيدُ معركة نهاوند ، المعروفة باسم (فتح الفتوح).

ـ **مدينة** : جعل الله تعالى ترابَها شفاءً ، وعجوتَها[1] من الجنة ، وتمرَها حرزاً من السم والسحر ، وروضتها من الجنة ، ومنبرها في الجنة ، وقوائمَ منبرها رواتبَ في الجنة[2] لذا ضُوعفت العقوبةُ على من حلف عنده كاذباً ، أو رفع صوتَه عنده عالياً ، من أحدث فيها حدثاً[3]، أو آوىٰ محدثاً ؛ فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله تعالى منه صرفاً ولا عدلاً[4]، ومن عاب تربتَها استحق التعزير .

ـ **مدينة** : حرَّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم الصيدَ فيها ، وقطعَ شجرِها ، لقطتُها حرام ، لا يُختلى خلاها[5]، ولا يُنفَّر صيدُها ، ولا يُصطاد فيها ، ولا تُلتقط لقطتُها[6]، ولا يُحمل فيها سلاحٌ ، ولا يُهراق فيها دمٌ ،... حرّمها الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ولم يُحرِّمها الناس ،... لذا يحرم نقلُ ترابها وأحجارها إلى خارج الحرم فيها ،... وجعل ميقاتها أبعدَ المواقيت زيادةً في ثوابها .

ـ **مدينة** : فُرض فيها الجهادُ والقتال ، فانطلقت الجحافل المسلمة ؛ في الغزوات والسرايا ، تحمل النور والرحمة ، والهدايةَ والبرهانَ ، وتفتح البلدانَ

---

(١) هو نوع من أنواع تمور المدينة المنورة ، حجمه صغير نسبيّاً ، يميل إلى السواد ، والتدوير .

(٢) رواتب جمع راتب ، وهو الشيء الثابت المقيم ، يقال : رتب في المكان إذا قام فيه وثبت . فقوائم المنبر الشريف تكون بنفسها ـ إن شاء الله تعالى ـ ثابتةً في الجنة .

(٣) الحَدَث : هو الأمر المنكر المبتدع غير المعتاد ، المخالف لما ثبت في الدين .

(٤) أي لا يُقبل منه فرض ولا نفل .

(٥) المقصود بالشجر والعشب : هو الذي لا يستنبته الإنسان ، ولا دخل له به .

(٦) فمن وجد لقطة فلا يأخذها ، وليدعها حتى يأتي صاحبُها ، ومن وجد في زماننا في المسجد النبوي أو قريباً منه فهناك هيئة للضائعات .

والأمصارَ ،... وتدك عُروشَ الكفر والطغيان ،... وتقضي على الشرك والوثنية والأصنام ، بفصيح النطق ، وبينات الآيات والعرفان ، فتوِّجت بفتح مكة وتطهير البيت فيها ، ثم تابعت مسيرتَها بفتح سائر الأمصار ،... حتى تطهرت الجزيرة كلها من عبادة الأوثان ، وتكسرت فيها الأصنام ، ويئس أن يُعبد فيها الشيطان ، ودان العباد للملِك الواحد الديَّان ، حتى صارت مكةُ تابعةً لها ، لأنها العاصمة .

ـ **مدينة** : انطلقت منها البعوثُ والرسلُ ؛ تحمل الرسائلَ والكتبَ إلى العرب والعجم ، من سيد الخلق صلوات الله عليه وآله وسلَّم ،... يدعوهم فيها إلى الإيمان والإسلام ،... فجاءته صلى الله عليه وآله وسلَّم الوفودُ تحمل إسلامَ أقوامها ، ودخل الناسُ في دين الله أفواجاً ، فمن أسلم فقد فاز ونجا وسعد ،... ومن جحد وعاند من أهل الجزيرة دخله صاغراً ، أو قُتل بسيف الإسلام كافراً ، أو دَفَع الجزيةَ إن كان من خارجها ، فكانت أيامُها مغيِّرةً لمعالم التاريخ .

ـ **مدينة** : رجع المهاجرون والأنصارُ رضي الله عنهم ـ بعد الحج ـ بنبيهم المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ؛ إلى المدينة المنورة ، فحرسوه بعيونهم ، ورمقوه بقلوبهم ، وفَدَوه بأرواحهم ،... وقدَّموا أغلى ما عندهم ،... وفي نهاية المطاف : ضمته أقدسُ بقعة في الوجود عندهم ،... فهل بعد هذا الحرص من حرص ؟ وهل بعد هذا الفضل من فضل ؟ وهل بعد هذه الكرامة من كرامة ؟ وهل بعد هذا الإيثار من إيثار ؟ حيث آثرهم صلى الله عليه وآله وسلَّم على غيرهم ـ وهل بعد هذا العطاء من عطاء ؟ لا ثم لا .

فاتضح أن تربتَها من تربته صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وأن تربتَه من تربتها ،...

فكانت مضجعَه صلى الله عليه وآله وسلَّم مدىٰ الدهر ، ففضلت بذلك على سائر الأرض وما فيها .

وفي ختام هذا المطلب ؛ أذكر قصةً وقعت معي ، تعطينا صورةً عن مكانة هذه البلدة المنورة الكريمة .

لما ألقيت محاضرةَ (مكانة الحرمين الشريفين)[1] في النادي الثقافي والأدبي بمكة المكرمة ، زادها الله تعالى حفظاً ، قلتُ أثناءها : ولِعِظَم مكانة هاتين البلدتين المقدستين الكريمتين ؛... اختلف الصحابةُ رضي الله عنهم فمن بعدهم في كون أيهما أفضل ؟

ـ فذهب عمر وابنه وعدد من الصحابة رضي الله عنهم ؛ وعددٌ من التابعين ، وعامةُ أهل المدينة ، والإمامُ مالك وعامةُ أصحابه ـ ورواية عن أحمد ـ رحمهم الله تعالى : إلى أن المدينةَ المنورةَ أفضلُ .

ـ وذهب الجمهور بما فيهم الإمامان أبو حنيفة والشافعي ، وأصح الروايتين عن أحمد رحمهم الله تعالى : إلى أن مكةَ المكرمةَ أفضلُ .

وقلت : وليس هذا مجال المناقشة ، وإيراد الأدلة والنصوص ، فهما عينان في رأس ، ولسان حالي يقول :

أَشْجانُ قَلْبي بِذاتِ النَّخْلِ والحُجَرِ   وأُخْتِها تِلْكَ ذاتِ الحِجْر والحَجَرِ
تَقَسَّم القلبُ بين البلدتين   فَلاأَنْفَكُّ مِنْ لَهَبِ الأشواقِ في سُعُرِ

قال لي أحد الأخوة الأساتذة ، بعد سماعه لذلك مني ـ وهو أستاذ جامعي

---

(١) وكان ذلك : ليلة الأربعاء (٢٦ رجب الفرد ١٤١٠ هـ) وهي مطبوعة . بعنوان (مكانة الحرمين الشريفين عند المسلمين).

في اللغة العربية ـ : عرفنا هواك المدينة . فقلتُ : وكيف عرفتَ ذلك ؟

فقال لي : لأنك قدَّمتَ المدينة على مكة في الذِّكْر .

فقلتُ : وكيف لا أُقدِّمُها ، وقد قدَّمها الله تعالى في الذكر ؟

فقال : وأين ذلك ؟

فقلت : قال الله عز وجل : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ... ﴾[1].

ويوضح ذلك حديثُ عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بمكة ، ثم أُمِر بالهجرة ، فنزلت عليه ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ... ﴾ الآية ، كما رواه أحمد في المسند ، والترمذي والحاكم وصححاه وأقره الذهبي ، والبيهقي والضياء المقدسي في آخرين[2].

وذلك ؛ لما كان شباب قريش قد أحدقوا ببيت النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم وبأيديهم سيوفهم مصلتة ، ينتظرون خروجَه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، حتى يضربوه ضربةَ رجل واحد ، ويتفرق دمُه الشريف بين القبائل .

---

(١) سورة الإسراء (٨٠).

(٢) مسند أحمد (١ : ٢٢٣) وسنن الترمذي : كتاب تفسير القرآن : باب ومن سورة بني إسرائيل ، رقم (٣١٣٩) والمستدرك (٢ : ٢٤٣) (٣ : ٣) وصححه فيهما ، وأقره الذهبي ، والسنن الكبرى للبيهقي (٩ : ٩) ودلائل النبوة له (٢ : ٥١٦ ، ٥١٧) والمعجم الكبير (١٢ : ١٠٩) والمختارة للضياء (٩ : ٥٣٥ ، ٥٣٥ - ٥٣٦) ونقل تصحيح الترمذي أيضاً .

وانظر : الدر المنثور (٤ : ١٩٨) وتفسير الطبري (١٥ : ١٠٠) وتفسير القرطبي (١٠ : ٣١٣) وتفسير ابن كثير (٣ : ٥٨ - ٥٩) ونقل تصحيحَه أيضاً ، وزاد المسير (٥ : ٥٥) وروح المعاني (١٥ : ١٤٣).

ففي مثل ذلك الظرف ؛ يسأل الإنسانُ سلامةَ الخروج ، أم يسأل سلامةَ الدخول إلى البلد الذي سيذهب إليه ؟ لا شك أنه يسأل سلامةَ الخروج مما هو فيه .

فلِمَ قدَّم الله تعالى ذكرَ المدخل على المخرج ؟... لا شك لأهميته ومنزلته ، والله تعالى أعلم .

إلى غير ذلك من الخصائص والفضائل والمناقب ، وبالله التوفيق .

هذه هي المدينةُ المنورة التي أنتم بها الآن ، فما هو موقفكم منها ؟ وما هو واجبُكم تجاهها ؟ وما هي مسؤوليتُكم نحوَها ؟

هذا ما سأذكر مختصراً له في الفصل الثاني بمبحثيه ، إن شاء الله تعالى ، والله تعالى هو الحافظ والمعين .

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً ، والحمد لله رب العالمين .

☆☆☆☆☆

المبحث الثاني
منزلة ساكني المدينة المنوّرة المباركة

إن الحديث هنا عن منزلة ساكن المدينة المنورة ـ ولا أعني به منزلةَ الصحابة الكرام رضي الله عنهم أو غيرهم ، ولكن أعني به المنزلةَ التي جُعلت لساكن المدينة عموماً ـ هو ذو شقين :

أحدهما : إيجابي ، وهو بيانُ منزلة هؤلاء السكان ، وحقوقهم ، وما يجب لهم ، ومعاملة الناس لهم ، ونظرتهم تجاههم ،...إلخ.

وثانيهما : سلبي ، وهو ما يلزم أن يتصف به هؤلاء السكان ،... والأمور المحظورة عليهم أن يتصفوا بها ،...إلخ.

ولن أطيل في بيان هذه المزايا بنوعيها ، بل سأختصر جداً ، حيث سأذكر العنوان ، ثم أذكر كلمات قليلةً معدودة ، ثم النص الوارد في ذلك ، لأني قد توسعت في بيان فضائل الأنصار رضي الله عنهم في (فضائل الصحابة الكرام رضي الله عنهم) كما ذكرت بيان فضائل سكان المدينة عموماً في (فضائل المدينة المنورة) لذا فمن أراد الاطلاع عليها ؛ فلينظر في الكتابين المذكورين ، والله تعالى هو المعين .

اختيار الله تعالى هذه المدينة لرسوله المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم :

لقد اختار الله سبحانه وتعالى هذه البلدةَ الكريمة لرسوله المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم لتكون مهاجَراً ، ومسْكناً ، ومضجعاً له ، وسماها المدينةَ

وطيبةَ وطابةَ ـ كما سيأتي ـ وأَمَره بالهجرة إليها ، لما سبق في علمه تعالى من تحريمها ، ومكانتها ، وإسعادها .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أُمرتُ بقرية تأكل القرى ، يقولون يثرب ، وهي المدينة ، تنفي الناسَ ، كما ينفي الكيرُ خبث الحديد ». متفق عليه[1].

وقوله : « تأكل القرى »: في معناها أقوال :

ـ أنها تفتح البلدان ، وتغنم أموالَهم وسباياهم ، فتكون ميرتُها من القرى المفتوحة ، لأن منها انطلقت الجيوش .

ـ غلبة فضلها على فضل غيرها ، وأن الفضائل تضمحل في جنب عظيم فضائلها ، حتى تكون عدماً .

ـ أنها تفرع القرى بوجوب الهجرة إليها .

وثمة أقوال أخرى ، وكلها يصلح أن يكون معنى ذلك ، والله تعالى أعلم .

وأما قوله : « يثرب »: فلا يجوز أن يقال لها ذلك بعد هجرة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وسببُ النهي عن ذلك ، لأن كلمة يثرب مأخوذة إما : من التثريب ـ وهو التوبيخ والملامة ـ أو من الثَّرْب ـ وهو الفساد ـ وكلاهما مستقبح في حق المدينة ، وكان رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلم يحب الاسم الحسن ، ويكره القبيح .

وأما تسميتها في القرآن يثرب ، فإنما هو حكاية عن قول المنافقين .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل المدينة : باب فضل المدينة . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب المدينة تنفي شرارها ، رقم (٤٨٨).

وقوله في الحديث : « **يقولون يثرب** »: أي المنافقون ، فهم الذين يقولون ذلك[1].

وأما قوله : « تنفي الناسَ... »: فسيأتي في فقرة مستقلة .

جعلها الله تعالى مدخل صدق ، وقدَّمها في الذكر :

لما ائتمر كفار مكة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ليقتلوه ، أو يخرجوه ، أو يوثقوه ،... أمره الله عز وجل بالخروج إلى المدينة .

فقال الله تعالى عن مكرهم : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾[2].

وقال تعالى مبيناً تقديمَ المدينة ـ وهي المدخل ـ على مكة ـ وهي المخرج ـ : ﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴾[3].

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بمكة ، ثم أُمر بالهجرة ، فنزلت عليه ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴾ . رواه أحمد ، والترمذي والحاكم والضياء ـ وصححوه ـ والبيهقي ، في آخرين ، وقد مر ذكره في نهاية المبحث الأول .

وقد ورد هذا المعنى عن عدد من أئمة التفسير ؛ كقتادة والحسن وعبد الرحمٰن

---

(١) انظر فضائل المدينة المنورة ، ففيها ذكر الأحاديث في النهي عن تسميتها يثرب ، وعقوبة من قال ذلك .

(٢) سورة الأنفال (٣٠).

(٣) سورة الإسراء (٧٦ - ٨٠).

ابن زيد بن أسلم ،... وهو الأصح في تفسير هذه الآية[1]، والله تعالى أعلم .

فالذين كادوا يستفزونه صلى الله عليه وآله وسلَّم من الأرض : هم أهل مكة ، ولذا توعدهم الله سبحانه وتعالى ، فلم يلبثوا إلا قليلاً ، حتى جاءهم القتل يوم بدر .

وهنا أمران : كون خروجه صلى الله عليه وآله وسلَّم من مكة إنما هو بأمر الله تعالى ، وليس بفعل كفارها[2].

والثاني : تقديم الدخول على الخروج ـ مع أن الأصل : العكس ـ فإنما هو لأهمية ذلك[3]، والله تعالى أعلم .

الله تعالى سماها طابة وطيبة :

إن الذي سمى هذه البلدة المباركة طابة ، وطيبة : إنما هو الله تعالى ، وأظهره تعالى على لسان رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم .

وإنما سميت بذلك اشتقاقاً من الطِّيب ، وهو الرائحة الحسنة ، وقيل : لطهارة تربتها ، وقيل : لطِيبها لساكنها ، وقيل : من طيب العيش بها ، وقيل : لخلوصها من الشرك وطهارتها منه ، وقيل : لحلول الطَّيِّب صلى الله عليه وآله وسلَّم بها ، وقيل : لكونها كالكير تنفي خبثَها ، وينصع طِيبُها ، والله تعالى أعلم .

قال الحافظ الصدفي رحمه الله تعالى : أمر المدينة في طِيب ترابها وهوائها : يجده من أقام بها ، ويجد لطيبها أقوى رائحة ، ويتضاعف طِيبُها عن غيرها من البلاد ،

---

(١) انظر تفسير الطبري (١٥ : ١٠٠) وتفسير القرطبي (١٠ : ٣١٣) والبحر المحيط (٦ : ٧٣) وزاد المسير (٥ : ٥٥) وتفسير ابن كثير (٣ : ٥٨ – ٥٩) والدر المنثور (٤ : ١٩٨) وروح المعاني (١٥ : ١٤٣).

(٢) انظر تفسير الطبري (١٥ : ١٠١).

(٣) انظر تفسير ابن كثير ، والبحر المحيط ، وروح المعاني .

وكذلك العود وسائر أنواع الطيب .

وقال الإمامُ الإشبيلي رحمه الله تعالى : لتربة المدينة نفحةٌ ، ليس طيبُها كما عهد من الطيب ، بل هو عجب من الأعاجيب[1].

فعن جابر بن سَمُرَة رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « إن الله تعالى سمَّى المدينةَ طابة ». رواه مسلم[2].

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال - في قصة الذين رجعوا ممن خرج يوم أحد ، وفيه - : قال صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إنها طيبة ، تنفي الخبثَ ، كما تنفي النارُ خبثَ الفضة ». متفق عليه[3].

وعن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها - في قصة الجَسَّاسَة - وفي آخره ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « هذه طيبة ، هذه طيبة ، هذه طيبة ،... ». الحديث . رواه مسلم[4].

الله تعالى هو الذي حرَّمها :

إن الذي جعل هذه المدينة المنورة المباركةَ حَرَماً : إنما هو الله عز وجل ، ولم يُحرِّمها الناس .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « حُرِّم

---

(١) انظر فتح الباري (٤ : ٨٩) وعمدة القاري (١٠ : ٢٣٦) وشرح صحيح مسلم (٩ : ١٥٥) ووفاء الوفاء (١ : ١٧) وفضائل المدينة المنورة (١ : ١٥٩ ، ١٦٣).

(٢) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٤٩١).

(٣) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب غزوة أحد ، وكتاب التفسير : سورة النساء : باب : ﴿ ۞ فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ ﴾. وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٤٩٠).

(٤) صحيح مسلم : كتاب الفتن : باب قصة الجساسة ، رقم (١١٩ - ١٢٢).

ما بَين لابَتَي المدينة على لساني ». رواه البخاري[1].

وفي رواية الإمام أحمد وابن أبي شيبة والطبراني والخطيب[2]،... ـ وبنفس سند البخاري ـ بلفظ « إن الله حرَّم على لساني ما بَين لابَتَي المدينة ».

واللابتان : تثنية لابة ، وهي أرض ذات حجارة سوداء منتشرة ، وفي المدينة حرتان ، شرقية وغربية ، وهما معروفتان إلى اليوم ، وقد بدأ البناء يزحف نحوَهما منذ سنوات .

حرمتها كحرمة مكة المكرمة :

لقد كثرت الأحاديثُ الصحيحة الصريحة عن النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم في بيان حرمة المدينة المنورة ، وأن حرمتها كحرمة مكة المكرمة ، وقد ذكرت ذلك في فضائل المدينة المنورة ، ومن أراد معرفتها فلينظرها فيه .

فعن عبد الله بن زيد المازنيِّ رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « إن إبراهيم حرَّم مكة ، ودعا لأهلها ، وإني حرَّمتُ المدينة كما حرَّم إبراهيم مكة ، وإني دعوتُ في صاعها ومُدِّها ؛ بمثلَيْ ما دعا به إبراهيمُ لأهل مكة ». متفق عليه[3].

وعن سهل بن حُنيف رضي الله عنه قال : أهوىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بيده إلى المدينة فقال : « إنها حَرَمٌ آمن ». رواه مسلم[4].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل المدينة : باب حرم المدينة .

(٢) مسند أحمد (٢ : ٢٨٦ ، ٣٧٦) ومصنف ابن أبي شيبة (١٤ : ١٩٩) والمعجم الأوسط (٢ : ٢٠٤) وتاريخ بغداد (٤ : ١١٢) (٧ : ١٩٦).

(٣) صحيح البخاري : كتاب البيوع : باب بركة صاع النبي ﷺ ومُدِّه . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب فضل المدينة ، رقم (٤٦٧).

(٤) صحيح مسلم : كتاب الحج : باب الترغيب في سكنىٰ المدينة ، رقم (٤٧٩).

المدينة مأرز الإيمان :

طالما أن الإيمان يأرز إلى المدينة المنورة دائماً ؛ فمعنى هذا أن أهلها سيكون فيهم الإيمان ـ بإذنه تعالى ـ دائماً ، وأن الإيمان سيبقى فيها ، حتى قيام الساعة ، لأنها آخر قرى الإسلام خراباً ، ولأنها مُستَقرُّه وملجؤه ومأواه ، كالجُحْر بالنسبة للحية ، تأرز إليه متى شاءت .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « إن الإيمان ليأرز إلى المدينة ، كما تأرز الحية إلى جحرها ». متفق عليه[1].

وقد ورد بهذا اللفظ عن غيره من الصحابة رضي الله عنهم أيضاً .

وعن عبد الله بن عُمَر رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « إن الإسلام بدأ غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ ، وهو يأرز بين المسجدين ؛ كما تأرز الحية في جحرها ». رواه مسلم[2].

ومعنى قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إن الإيمان ليأرز إلى المدينة ». يحتمل أحد أمرين :

أولهما : يأرز إليها ليتجدد ، ويستعيد نشاطَه ، وتزداد قوتُه ، ويقوى صاحبه ،... وذلك كلما ضعف في نفس صاحبه ، لأن الإيمان يَخْلَق في قلب صاحبه كالثوب ، ويحتاج إلى تجديد باستمرار ، وهذا عام في كل قادم إليها .

فالمدينة هي : جُحْر الإيمان ومستقره وملجؤه ، فهو يتجدد فيها ، كما يتجدد

---

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل المدينة : باب الإيمان يأرز إلى المدينة ،... وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً ، رقم (٢٣٢).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : الباب السابق ، رقم (٢٣٣).

نشاطُ الحية إذا التجأت إلى جحرها ؛ بعد تعب البحث خارجه ، وإليه الإشارة في قوله : « في جحرها » في الرواية الثانية .

ثانيهما : أن الإيمان كما بدأ في آحاد الناس ، وقلةٍ منهم ، ثم انتشر ، كذلك الحال عند حدوث الفتن ؛ ينكمش ويتقلص من سائر الأرض ، حتى لا يبقى إلا في الحجاز ، ثم يعود إليها كما كان . ويشهد لهذا قوله : « إلى جحرها » وكذا قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم في أول الرواية الثانية : « إن الإسلام بدأ غريباً... » الحديث ، إضافة إلى كونها آخر قرى الإسلام خراباً ، حيث لا يبقى إلا بها .

فالحيةُ إذا خافت من أحد يريد قتلها ، أو الفتك بها : أسرعت إلى جحرها لتجد الأمن والسلامة فيه ، كذلك الإيمان ؛ إذا اضطُهد أهلُه لجؤوا إلى المدينة المنورة ؛ ليجدوا فيها الأمن والسلامة ، وهذا مشاهد على مر التاريخ ، وإليه الإشارة في قوله : « ...إلى جُحرها » ، والله تعالى أعلم .

كما أن في ذلك إشارةً إلى بقاء الإيمان فيها ، طالما بقي إيمان في الأرض .

يأس الشيطان أن يُعبد فيها :

طالما أن هذه المدينة المباركة ـ على ساكنها الصلاة والسلام ـ هي مأرز الإيمان ، ومستقره وملجؤه ومأواه ،... لذا فإن الشيطان قد يئس أن يُعبد فيها إلى يوم القيامة .

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ، ولكن في التحريش بينهم... ». رواه مسلم[1].

(١) صحيح مسلم : كتاب صفات المنافقين وأحكامهم : باب تحريش الشيطان ، وبعثه سراياه لفتنة الناس ، وأن مع كل إنسان قريناً ، رقم (٦٥).

وفي رواية أحمد والبزار برجال الصحيح[1]، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال: « إن الشيطان قد أيس أن يُعبد بأرضكم هذه، ولكن قد رضي منكم بالمحقرات ».

وقد ورد نحوه عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم أيضاً.

وكيف لا ييأس، وهي دار الإيمان، كما قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾[2].

لذا كيف يجتمع الإيمان وعبادة الشيطان في مكان !!! والله تعالى أعلم.

تحريم الإحداث فيها:

وطالما أنها دار الإيمان؛ لذا يحرم الإحداثُ فيها،... لأن الإحداث يتنافى مع الإيمان، ولهذا جاء التشديد على من أحدث فيها، أو آوىٰ محدثاً.

فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم: « المدينة حَرَمٌ ما بين عَيْرٍ إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثاً، أو آوىٰ مُحدثاً: فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يَقبلُ الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً،... ». متفق عليه[3].

وقوله صلى الله عليه وآله وسلَّم: « عَيْر » هو جبل، جنوب غرب المدينة، يجدها من جهة الجنوب، وهو جبل طويل يشبه العير، جنوب شرق الميقات ذي الحُلَيفة:

---

(١) مسند أحمد (٢ : ٣٦٨) وكشف الأستار (٣ : ٣٢٢) وحلية الأولياء (٧ : ٨) وشعب الإيمان (٥ : ٤٥٥ – ٤٥٦) لكن فيه عن أبي هريرة وأبي سعيد قالا. ومجمع الزوائد (١٠ : ٥٤) (٣ : ٢٨٥).

(٢) سورة الحشر (٩).

(٣) صحيح البخاري: كتاب الفرائض: باب إثم من تبرأ من مواليه، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الحج: باب فضل المدينة، رقم (٤٦٧) وكتاب العتق: باب تحريم تولي العتيق غير مواليه، رقم (٢٠).

والمعروف اليوم (بيار علي).

وثور : جبل صغير جداً أحمر مدوَّر ، خلف جبل أُحُد ، بينه وبين جبل وَعيرة[1].

والحَدَث : المنكر ؛ الذي ليس بمعتاد ، ولا معروف في السنة .

والمحدَث : الأمر المبتدَع .

وإيواء المحدِث : من نصر جانياً ، أو آواه ، أو رضي بالبدعة ، أو أقرَّ فاعلَها ، ولم ينكر عليه ، أو دافع عنه وحماه ، فقد آواه .

والصرف : عند الجمهور : هو الفريضة

وأن العدل : عندهم أيضاً : هو النافلة .

الدعاء بتحبيب المدينة :

وقد بلغ من محبة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم للمدينة وأهلها : أن دعا لها بالتحبيب بمثل مكة ؛ بل بأكثر .

فعن عائشة رضي الله عنها قالت : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم المدينةَ ، وُعك أبو بكر وبلال ـ رضي الله عنهما ـ قالت : فدخلتُ عليهما ، فقلت : يا أبت ؛ كيف تجدك ؟ ويا بلال ؛ كيف تجدك ؟... الحديث . وفي آخره قالت السيدة عائشة رضي الله عنها : فجئت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فأخبرته ، فقال : « اللهم حبِّب إلينا المدينةَ ؛ كحبنا مكة ، أو أشد ، وصحِّحها لنا ، وبارك لنا في صاعها ومُدِّها ، وانقل حُمَّاها ، فاجعلها بالجحفة ». متفق عليه[2].

---

(١) انظر فضائل المدينة المنورة (١ : ٧٢ – ٨٤) لبيان الرد على من أنكر وجود هذا الجبل ، وتحديد مكانه .

(٢) صحيح البخاري : كتاب مناقب الأنصار : باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب الترغيب في سكنىٰ المدينة ، رقم (٤٨٠).

لذا بلغ من محبته صلوات الله عليه وآله وسلَّم لها ؛ أنه إذا قدم من سفر ، واقترب منها ؛ أسرع نحوها ، وإذا كان على دابة حركها لفرط محبته صلى الله عليه وآله وسلَّم لها .

فعن أنس رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم كان إذا قدم من سفر ، فنظر إلى جُدُرات المدينة ، أوضع راحلته ، وإن كان على دابة حرَّكها ، من حبها . رواه البخاري[1].

قوله : (أوضع راحلتَه...إلخ) أي إن كان صلى الله عليه وآله وسلَّم على ناقته - كما هي رواية البخاري في كتاب العمرة - حرَّكها لتسرع السير ، وإن كان على دابته حركها أيضاً ، بسبب حبه صلى الله عليه وآله وسلَّم المدينة ، والله تعالى أعلم .

وعن أبي حُميد الساعديِّ رضي الله عنه - في قصة عودتهم من غزوة تبوك - وفيه : فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ...إني مسرع ، فمن شاء منكم فليسرع معي ، ومن شاء فليمكث ،... ». الحديث بطوله ، متفق عليه[2].

جعل القلوب تهوي إليها :

لقد استجاب الله جل شأنه دعوةَ رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، حيث دعا - من جملة ما دعا لها - أن تهواها القلوب ، وتشتاق إليها ، وتَحن إلى مرابعها ومراتعها .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل المدينة : باب حدثنا عبد الله بن محمد . ذكره عقب باب المدينة تنفي الخبث ، وفي غيرهما .

(٢) صحيح البخاري : كتاب فضائل المدينة : باب المدينة طابة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب أُحد جبل يحبنا ونحبه ، رقم (٥٠٣).

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم على المنبر ، نظر نحو اليمن فقال : « اللهم أَقْبِل بقلوبهم » [ونظر إلى الشام فقال : « اللهم أَقْبِل بقلوبهم »] ونظر نحو العراق ، فقال مثل ذلك ، ونظر نحو كل أُفق ، فقال مثل ذلك ، وقال : « اللهم ارزقنا من ثمرات الأرض ، وبارك لنا في مدنا وصاعنا ». رواه البخاري في الأدب المفرد ، وأحمد ، والبزار ، برجال الصحيح ، وحسنه الهيثمي[1].

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم نظر قِبل اليمن فقال : « اللهم أَقْبِل بقلوبهم [واطلع من قِبل كذا فقال : اللهم أَقْبِل بقلوبهم] وبارك لنا في صاعنا ومدِّنا ». رواه أحمد ، والترمذي وصححه ، وسعيد ابن منصور ، والطبراني في الكبير والأوسط[2].

وفي هذا الحديث إشارتان :

الأولىٰ : بإسلام أهالي تلك البلاد ، وقد حصل ذلك ولله الحمد .

والثانية : كون القلوب تهوىٰ هذه البلدة الكريمة ، وقد حصل هو الآخر ، إذ قلَّ قلب امرئ مؤمن إلا ويهوىٰ هذه المدينة المنورة المباركة ويتحرق لرؤيتها ، والله تعالى أعلم .

---

(١) الأدب المفرد (١٦٩ رقم ٤٨٢) ومسند أحمد (٣ : ٣٤٢) وكشف الأستار (٢ : ٥١) ومجمع الزوائد (٣ : ٣٠٤) وتحسينه إنما هو لطريق أحمد ، أما طريق البخاري والبزار فعلى شرط مسلم ، وإن كان الرجال قد روىٰ لهم البخاري ، لكن أحدهم روىٰ له تعليقاً .

(٢) مسند الطيالسي (١ : ٤٩٦ - ٤٩٧ رقم ٦٠٥ من الطبعة الجديدة) لأني لم أره في القديمة ، ومسند أحمد (٥ : ١٨٥) وفضائل الصحابة (٢ : ٨٦١ رقم ١٦٠٧) وسنن الترمذي : كتاب المناقب : باب في فضل اليمن ، رقم (٣٩٣٤) والمعجم الكبير (٥ : ١٢٤) والمعجم الأوسط (٣ : ٧٣ رقم ٢٥٢٧) وكنز العمال (١٤ : ٢٤٤).

دعواته صلى الله عليه وآله وسلَّم لها ولأهلها :

لقد كثر دعاؤه صلى الله عليه وآله وسلَّم للمدينة المنورة ولأهلها ؛ بالبركة في مُدِّها وصاعها ، وأرزاقها ، ومكيالها ، وثمرها ، ولها نفسها ، وذلك بأضعاف ما دعا به إبراهيم عليه السلام لمكة المكرمة ؛ بأضعاف متعددة ، بل كل ما دعا به إبراهيم عليه السلام لمكة ؛ دعا صلى الله عليه وآله وسلَّم به ، بل بأضعافه للمدينة المنورة ولسكانها ،... وزاد في الدعاء أيضاً .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « اللهم اجعل بالمدينة ضِعفيْ ما جعلت بمكة من البركة ». متفق عليه[1].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « اللهم إن إبراهيم حرَّم مكة ، فجعلها حَرَماً ، وإني حرَّمتُ المدينة حراماً ما بين مأْزِميْها ،... ». الحديث ، وفيه : « ...اللهم بارك لنا في مدينتنا ، اللهم بارك لنا في صاعنا ، اللهم بارك لنا في مُدِّنا ،... اللهم اجعل مع البركة بركتين ،... ». الحديث بطوله ، رواه مسلم[2].

وقوله : « مأزميها » : تثنية مَأْزِم ، وهو الجبل على الأصح هنا .

وأما دعاؤه صلى الله عليه وآله وسلَّم لأهل المدينة المنورة ؛ فقد ذكرته في (فضائل الصحابة الكرام رضي الله عنهم) فانظره إن شئت .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل المدينة : باب حدثنا عبد الله بن محمد ، وهو عقب باب المدينة تنفي الخبث . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب فضائل المدينة ، رقم (٤٦٦).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الحج : باب الترغيب في سكنىٰ المدينة ، رقم (٤٧٥).

وانظر : فضائل المدينة المنورة (١ : ١٩٠ - ٢١٠).

شفاعته وشهادته صلى الله عليه وآله وسلَّم لمن صبر على لأوائها :

لما حثَّ الرسول المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم على سكنىٰ المدينة ، وعلى المجاورة فيها ، والموت فيها ، وقد يُصاب ساكنُها بضيق العيش ، وشظف الحياة ، فيَمَل من ذلك ، فيريد الخروج منها ، لذا حثَّه صلى الله عليه وآله وسلَّم على البقاءِ فيها ،... وعدمِ الخروج منها ، وعلى الصبر على ما يلقاه ، لأن من كان كذلك : تناله شفاعتُه صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ إن كان مقصِّراً ـ وشهادتُه صلى الله عليه وآله وسلَّم له ـ إن كان مطيعاً .

وهذه الشفاعةُ خاصةٌ بأهل المدينة ، لا يشاركهم فيها أحد ، لما لهم من الحظوة والمنزلة ؛ وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من خلقه .

فعن يُحَنَّس مولىٰ الزبير رحمه الله تعالى ، قال : كنت جالساً عند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ـ في الفتنة ـ فأتته مولاةٌ له ؛ تُسَلِّم عليه ، فقالت : إني أردت الخروج يا أبا عبد الرحمٰن ؛ اشتد علينا الزمان . فقال لها عبد الله : اقعدي لكاع ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « لا يصبرُ على لأْوائها وشدَّتِها ؛ أحدٌ إلا كنتُ له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة ». رواه مسلم[1].

والمراد بالفتنة : وقعة الحرَّة التي وقعت في زمن يزيد ، بقيادة مسلم بن عقبة المري ، الذي مات بعد خروجه من المدينة مباشرة .

ولكاع : الأحمق ، وقيل : اللئيم ، ويقال للرجل : لكع ، وللمرأة : لكاع .

وعن أبي سعيد ـ مولىٰ الـمَهْرِيِّ رحمه الله تعالى ـ أنه جاء أبا سعيد الخدري رضي الله عنه ، لياليَ الحرةِ ، فاستشاره في الجلاء من المدينة ، وشكا إليه أسعارَها

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الحج : باب الترغيب في سكنىٰ المدينة ، والصبر على لأوائها ، رقم (٤٨١ – ٤٨٣).

وكثرةَ العيال ، وأخبره أنه لا صبرَ له على جَهْدِ المدينة ، ولأوائها ، فقال له : ويحك ، لا آمرك بذلك إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « لا يصبر أحدٌ على لأوائها فيموت ، إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة ، إذا كان مسلماً ». رواه مسلم[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « لا يصبر على لأواء المدينة وشدَّتِها ؛ أَحَدٌ من أمتي : إلا كنتُ له شفيعاً يوم القيامة ، أو شهيداً ». رواه مسلم[2].

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « المدينةُ خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون ، لا يَدَعُها أحدٌ رغبةً عنها : إلا أبدل الله فيها من هو خيرٌ منه ، ولا يثبتُ أحدٌ على لأوائها وجَهدِها : إلا كنت له شفيعاً ، أو شهيداً ، يوم القيامة ». رواه مسلم[3].

والمراد باللأواء : الشدة والجوع ، وقيل : الأمر العظيم الذي يشقُّ على الإنسان ؛ من عيش ، أو قحط ، أو خوف ، ونحو ذلك .

وَ « أو » في قوله : « شفيعاً ، أو شهيداً » ليست للشك ، إنما هي للتنويع ، لأنه لا يُعقل أن يتوارد عددٌ كبير من الصحابة رضي الله عنهم على هذا الشك ، والله تعالى أعلم .

فمن صبر من هذه الأمة على لأواء المدينة وشدتها ، ممن هو فيها ثم يموت

---

(١) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٤٧٧).

(٢) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٤٨٤).

(٣) صحيح مسلم : كتاب الحج : باب فضل المدينة ، رقم (٤٥٩).

وهو مسلم ، كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم له شفيعاً ، أو شهيداً ، يوم القيامة ، والله تعالى أعلم .

الحث على المجاورة والموت فيها :

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يحب أن يموت في المدينة ، كما بيَّن صلى الله عليه وآله وسلَّم ثوابَ من مات في المدينة ، حيث يكون له شافعاً أو شاهداً ، ومن كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم له شافعاً أو شاهداً ؛ كان آمناً يوم القيامة بإذن الله تعالى . لذا فمن حرصه صلى الله عليه وآله وسلَّم على الموت فيها ؛ كان إذا ذهب إلى مكة يدعو الله تعالى ألا يموت فيها ، وذلك من شدة حرصه صلى الله عليه وآله وسلَّم على الموت في المدينة .

فلما تُوفي صلى الله عليه وآله وسلَّم فيها عرفنا أن تربته التي خُلق منها : هي في المدينة ، وفي الموضع الذي دُفن فيه ، وذلك لأن المرء لا يُدفن إلا في موضع تربته التي خُلق منها ، والله تعالى أعلم .

فعن عبد الله بن عُمَر رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إذا دخل مكة قال : « اللهم لا تجعل منايانا بها ، حتى تخرجنا منها ». رواه أحمد والطبراني في الكبير والبزار والبيهقي وابن عبد البر برجال الصحيح[1] .

فإذا أضيف إلى ذلك : قولُه صلى الله عليه وآله وسلَّم للأنصار رضي الله عنهم ـ يوم الفتح ـ : « المحيا محياكم ، والمماة مماتكم ». كما رواه مسلم في صحيحه ،

---

(١) مسند أحمد (٢ : ٢٥ ، ١٢٥) والمعجم الكبير (١٢ : ٣٥٦) وكشف الأستار (٢ : ٣٠٥) والتمهيد (٨ : ٣٩٣) والسنن الكبرى (٩ : ١٩) ومجمع الزوائد (٥ : ٢٥٣). وانظر مسند أحمد نسخة أحمد شاكر ، رقم (٤٧٧٨ ، ٦٠٧٦).

عرفنا هذا الحرص الشديد منه صلى الله عليه وآله وسلَّم على الموت فيها .

ولهذا كان عمر رضي الله عنه يدعو أن يموت في المدينة .

فعن حفصة بنتِ عمر ، وأَسْلَم مولىٰ عمر رضي الله عنهم قالا : قال عمرُ رضي الله عنه : اللهم ارزقني شهادة في سبيلك ، واجعل موتي في بلد رسولِك صلى الله عليه وآله وسلَّم . رواه البخاري(١).

لذا فمن مات في المدينة ؛ فمعنى ذلك أن تربته التي منها خُلق عند خلق آدم عليه السلام هي منها ، والله تعالى أعلم .

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : مر النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم بجنازةٍ عند قبر ، فقال : « قبر من هذا ؟ ». فقالوا : فلانٌ الحبشي يا رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « لا إلٰه إلا الله ، لا إلٰه إلا الله ، سيق من أرضه وسمائه ؛ إلى تربته التي منها خلق ». رواه البزار ، والحاكم وصححه ، وأقره الذهبي ، وقال : له شواهد صحيحة(٢).

فضل الموت في المدينة :

لقد حث النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم على المجاورة في المدينة ، وعلى الموت فيها ، لأن من مات فيها ينال شفاعةَ النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم إن كان مقصراً ،... أو شهادتَه إن كان صالحاً ، إضافة إلى

---

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل المدينة : باب (١٢) وذلك عقب باب كراهية النبي ﷺ أن تعرىٰ المدينة .

(٢) المستدرك (١ : ٣٦٧). وانظر أيضاً المستدرك وتلخيصه لبيان شواهده أيضاً ، وكشف الأستار (١ : ٣٩٦) ومختصر زوائد مسند البزار (١ : ٣٦١ رقم ٥٩١) ومجمع الزوائد (٣ : ٤٢) وقوله عن رواية البزار : فيه عبد الله والد علي ابن المديني . وهو ضعيف ، لا يضر ، لأن الحاكم رواه من طريق الدراوردي ، وهو ثقة ، وقد تابعه ، فارتفع الإشكال .

أنه يحشر معه صلى الله عليه وآله وسلَّم .

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « من استطاع أن يموت في المدينة فليمت بها ، فإني أشفع لمن يموت بها ». رواه أحمد ، والترمذي وابن حبان وصححاه ، وابن ماجه والبيهقي في الشُّعَب والبغوي ، وصححه الإشبيلي[1]، ورواه النسائي ، ولم يذكر صحابِيَّه .

وفي حديث الصُّمَيْتَةِ رضي الله عنها : « فإنه مَن يَمت بها نشفع له ونشهد له ».

وعن سُبَيَعة الأسلمية رضي الله عنها نحوه أيضاً[2].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « من مات في أحد الحرمين بُعث آمناً يوم القيامة ». رواه الطبراني في الأوسط والصغير ، وحسَّنه الهيثمي ، ورواه ابن سعد وأبو الشيخ والبيهقي في الشعب ، وله شواهد : من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند الطيالسي والبيهقي ، ومن حديث أنس رضي الله عنه ، عند البيهقي في الشعب ، ومن حديث سلمان رضي الله عنه ، عند الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب ، ومن

---

(١) مسند أحمد (٢ : ٧٤ ، ١٠٤) وسنن الترمذي : كتاب المناقب : باب في فضل المدينة ، رقم (٣٩١٧) والسنن الكبرى للنسائي (١ : ٦٠٣) (٢ : ٤٨٨) عن الصُّميتة . وسنن ابن ماجه : كتاب المناسك : باب فضل المدينة ، رقم (٣١١٢) وصحيح ابن حبان (٩ : ٥٧) وشعب الإيمان (٨ : ١١٥ – ١١٧) من طريقين ، وشرح السنة (٧ : ٣٢٤) والأحكام الوسطى (٢ : ٣٤١) وانظر : تحفة الأشراف (٦ : ٧٥).

(٢) رواه النسائي في الكبرى وابن حبان والطبراني وغيرهم ، عن الصُّميتة .

ورواه الطبراني والبيهقي وغيرهما ، من حديث سُبيعة . كما ورد من حديث غيرهما .

انظر : فضائل المدينة المنورة (١ : ٢٩٩ – ٣٠٠).

حديث محمد بن قيس بن مخرمة ، عند الفاكهي ، وعزاه العجلوني في كشف الخفاء لأحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وللفردوس عن ابن عمر رضي الله عنهما[1]. فهو بها حسن ، والله تعالى أعلم .

زياراته واستغفاره صلى الله عليه وآله وسلَّم لأهل البقيع :

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يكثر من زيارة البقيع ، إذ قلَّ أسبوع إلا ويأتيهم مرتين ، ويستغفر لهم ، وقد أخبرنا صلى الله عليه وآله وسلَّم أن الله تعالى أمره أن يأتيهم ويستغفر لهم .

فعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم - كلما كان ليلتُها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم - يخرج من آخر الليل إلى البقيع ، فيقول : « السلام عليكم دارَ قوم مؤمنين ، وأتاكم ما توعدون ، غداً مؤجَّلون ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد ». رواه مسلم[2].

فقولها رضي الله عنها : (كلما كان ليلتها...يخرج) دليل على تكرار ذلك واستمراره ، لأن فعل المضارع يقتضي التجدد والاستمرار والتكرار ، إضافة إلى تقدم (كلما كان) التي تدل على العموم أيضاً .

---

(١) المعجم الأوسط (٦ : ٨٩) والروض الداني (٢ : ٨٥ - ٨٦) ومجمع البحرين (٢ : ٣٧٤) ومجمع الزوائد (٢ : ٣١٩) وجامع الأحاديث (٦ : ٦١١ ، ٦١٣) وكنز العمال (١٢ : ٢٧١ - ٢٧٣) ومسند الطيالسي (١٢ - ١٣ رقم ٥٦) ومنحة المعبود (١ : ٢٢٨) وشعب الإيمان (٨ : ٩٠ - ٩١ ، ٩٢ ، ٩٥ - ٩٦ ، ١١١ - ١١٢) وأخبار مكة (٣ : ٦٨ - ٦٩) والترغيب والترهيب (٣ : ٦٠) وكشف الخفاء (٢ : ٢٨٠).

وانظر تعليقي على قول الحافظ الهيثمي رحمه الله تعالى في فضائل المدينة المنورة (١ : ٣٠٥).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الجنائز : باب ما يقال عند دخول المقابر والدعاء لأهلها ، رقم (١٠٢).

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقسم لها رضي الله عنها ليلتين ؛ ليلتها التي هي لها ، بالإضافة إلى ليلة السيدة سودة بنت زمعة رضي الله عنها ، كما هو معلوم ، والله تعالى أعلم .

وعنها رضي الله عنها قالت : ألا أحدثكم عني وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ؟ قلنا : بلى ،... الحديث ، وهو في زيارة البقيع ، وفي آخره : قال صلى الله عليه وآله وسلَّم : « فإن جبريل أتاني حين رأيتِ ، فناداني ، فأخفاه منكِ ، فأجبتُه ، فأخفيتُه منك ، ولم يكن يدخلُ عليك ، وقد وضعتِ ثيابَكِ ، وظننتُ أن قد رقدتِ ، فكرهت أن أوقظكِ ، وخشيتُ أن تستوحشي .

فقال : إن ربك يأمرك أن تأتيَ أهلَ البقيع فتستغفر لهم ».

قالت : قلت : كيف أقول لهم يا رسول الله ؟

قال : قولي : « السلام على أهل الديار ؛ من المؤمنين والمسلمين ، ويرحم الله الـمُسْتقدِمين منا والمستأخرين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ». رواه مسلم[1].

وعنها رضي الله عنها قالت : قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ذات ليلة ، فلبس ثيابه ، ثم خرج ، قالت : فأمرتُ جاريتي بَريرةَ تتبعه ، فتبعتْه ، حتى جاء البقيعَ ، فوقف في أدناه ما شاء الله أن يقف ، ثم انصرف ، فسبَقَتْه بريرةُ ، فأخبرتني ، فلم أذكر له شيئاً حتى أصبح ، ثم ذكرت ذلك له .

فقال صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إني بُعثتُ إلى أهل البقيع لأُصلِّيَ عليهم ». رواه مالك والنسائي وابن شبة ، وأحمد وإسحٰق بن راهويه وابن سعد ، وصححه ابن حبان والحاكم ، وأقره الذهبي[2].

---

(١) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٠٣).

(٢) الموطأ : كتاب الجنائز : باب جامع الجنائز ، رقم (٥٥) وسنن النسائي : كتاب الجنائز : باب الأمر =

ما ذَخَر الله تعالى للأنصار رضي الله عنهم :

لما صدَّت قريشٌ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وبدأت بتعذيب أصحابه رضي الله عنهم ، وطال الزمن في ذلك ، وهاجر مَن هاجر إلى الحبشة ، صار رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يعرض نفسه على القبائل ؛ أن يؤووه ويحموه وينصروه ليبلغ رسالة ربه تعالى

فقد ذكر أهل السير[1] : أنه صلى الله عليه وآله وسلَّم قد عرض نفسه على كِندة ، وكلب ، وبني عامر بن صعصعة ، وبني حنيفة ـ ولم يكن أحد من العرب أقبحَ رداً عليه منهم ـ وبني عَبْس ، وغسان ، وبني محارب ، وبني فزارة ، وبني مرة ، وبني سُليم ، وبني نصر بن هوازن ، وبني ثعلبة بن عُكَابة ، وبني الحارث بن كعب ، وبني عذرة ، وقيس بن الخَطيم ، وبني شيبان بن ثعلبة ، وبني ذهل بن ثعلبة ـ من بني بكر بن وائل ،... وغيرهم .

وقد تفاوتت ردودهم ؛ فأشدهم قبحاً : ردُّ بني حنيفة ، فثقيف . وأسهلُهم ردّاً كان ردُّ بني شيبان بن ثعلبة .

= بالاستغفار للمؤمنين (٤ : ٩٣) والسنن الكبرى له (١ : ٦٥٦ رقم ٢١٦٥) ومسند أحمد (٦ : ٩٢) ومسند إسحٰق (٢ : ٤٥٦ – ٤٥٧) والطبقات الكبرى (٢ : ٢٠٣) وتاريخ المدينة (١ : ٨٩ – ٩٠ ، ٩١) وصحيح ابن حبان (٩ : ٦٣) والمستدرك (١ : ٤٨٨).

وقد رواه أحمد وابن سعد وأبو داود والنسائي وابن ماجه وأبو يعلى وابن السني في آخرين ،... من وجه آخر عن السيدة عائشة رضي الله عنها .

(١) انظر سيرة ابن هشام (٢ : ١٧٣ وما بعد) وشرح الروض الأنف (٢ : ١٨١ وما بعد) وإمتاع الأسماع (٣٠ – ٣١) ودلائل النبوة لأبي نعيم (١ : ٣٧٠ وما بعد) ودلائل النبوة للبيهقي (٢ : ٤١٣ وما بعد) وعيون الأثر لابن سيد الناس (١ : ١٥٢ – ١٥٥) والسيرة النبوية لابن كثير (٢ : ١٥٥ – ١٧٣) وسبل الهدى والرشاد (٢ : ٤٥١ – ٤٥٧) وغيرها .

ولم يُجبه صلى الله عليه وآله وسلَّم أحدٌ ، لما ذَخَر الله عز وجل للأنصار حتى يكونوا أنصارَ الله تعالى ، وأنصارَ رسوله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ويفوزوا بفخر الدنيا ، والجنة في الآخرة .

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : كان النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم يعرض نفسَه على الناس بالموقف ، فيقول : « هل من رجل يَحملني إلى قومه ، فإن قريشاً منعوني أن أُبلِّغَ كلامَ ربي عز وجل » فأتاه رجل من همدان ، فقال : « مِمن أنت ؟ ». فقال الرجل : من همدان قال : « فهل عند قومك من مَنَعَة ؟ » قال : نعم . ثم إن الرجل خشي أن يحقره قومُه ، فأتىٰ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فقال : آتيهم فأخبرهم ، ثم آتيك من عام قابل . قال : « نعم » فانطلق ، وجاء وفدُ الأنصار في رجب . رواه أحمد وابن أبي شيبة ، وأصحاب السنن الأربعة والدارمي في آخرين ، وصححه الترمذي والحاكم[1].

وفي رواية عنه رضي الله عنه قال : مكث رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بمكة عشرَ سنين ؛ يتَتَّبعُ الناسَ في منازلهم ؛ في عكاظ ، ومَجَنَّة ، وفي المواسم بمنى ، يقول : « مَن يُؤويني ؟ مَن ينصرني ؟ حتى أبلغ رسالةَ ربي ، وله الجنة » ،... حتى بعثَنا اللهُ له من يثرب ، فآوَيْناه وصدَّقناه ،... ثم ذكر قصة بيعة العقبة

---

(١) مسند أحمد (٣ : ٣٩٠) ومصنف ابن أبي شيبة (١٤ : ٣١٠) وسنن الدارمي (٢ : ٣١٧) وخلق أفعال العباد (٤٠ ، ٦٠) مختصراً ، وسنن أبي داود : كتاب السنة : باب في القرآن ، رقم (٤٧٤٣) وسنن الترمذي : كتاب فضائل القرآن : باب (٢٤) رقم (٢٩٢٥) وسنن النسائي الكبرى : كتاب النعوت : باب كلمات الله سبحانه وتعالى ، رقم (٧٧٢٧) وسنن ابن ماجه : المقدمة : باب في الجهمية ، رقم (٢٠١) والمستدرك (٢ : ٦١٢ – ٦١٣) ودلائل النبوة لأبي نعيم (١ : ٣٨٤ – ٣٨٥) ودلائل النبوة للبيهقي (٢ : ٤١٢ – ٤١٣) وشعب الإيمان (١ : ١٨٨ – ١٨٩) والأسماء والصفات (١٨٧) وفتح الباري (٧ : ٢٢٠).

الأخيرة . رواه أحمد والبزار والبيهقي بإسناد صحيح ، وصححه ابن حبان والحاكم ، وأقره الذهبي[1].

ولهذا لما حضر الطفيلُ بن عَمرٍو الدوسيُّ رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم وأسلم ؛ عرض على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أن يذهب معه إلى أرض دَوْس ، حيث العزة والمنعة ، فأبىٰ ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، لما ذَخَر الله سبحانه وتعالى للأنصار .

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، أن الطفيل بن عمرو الدوسيَّ أتىٰ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فقال يا رسول الله ؛ هل لك في حصن حصينٍ ومَنَعَةٍ ؟ فأبىٰ ذلك النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم ، للذي ذَخَر الله للأنصار ،... الحديث ، رواه مسلم[2].

ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يذكر مناقبَ الأنصار رضي الله عنهم ، وفضلَهم ، وما اختصهم الله سبحانه وتعالى به[3]، والله تعالى أعلم .

اختصاصهم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم :

لقد سعد أهلُ المدينة المنورة من الأنصار بالذات ؛ ثم مَن ساكنهم من المهاجرين وغيرهم رضي الله عنهم عندما علموا اختصاصَهم برسول الله صلى الله عليه

---

(١) مسند أحمد (٣ : ٣٢٢ - ٣٢٣ ، ٣٣٩ - ٣٤٠) وكشف الأستار (٢ : ٣٠٧ - ٣٠٨) وصحيح ابن حبان (١٤ : ١٧٢ - ١٧٤) (١٥ : ٤٧٤ - ٤٧٦) والسنن الكبرى للبيهقي (٩ : ٩) ودلائل النبوة له (٢ : ٤٤٢ - ٤٤٣) وفتح الباري (٧ : ٢٢٢ - ٢٢٣).

وانظر : فضائل الصحابة الكرام رضي الله عنهم (٣٢٥ - ٣٢٦).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب الدليل على أن قاتل نفسه لا يكفر ، رقم (١٨٤).

(٣) انظر : فتح الباري (٨ : ٥١).

وآله وسلَّم ، فكان صلى الله عليه وآله وسلَّم نصيبَهم ، بينما كان نصيبُ غيرهم الشاةَ والبعيرَ ـ الدنيا ـ وقد وضح ذلك يوم فتح مكة ، ويوم حنين ، وأنهم رضي الله عنهم رجعوا به صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى رحالهم ، ولم يرجعوا بالدنيا ، فنالوا شرفَ الدنيا والآخرة .

ففي حديث عبد الله بن زيد رضي الله عنه ـ في قصة تقسيم الغنائم يوم حنين ـ قال صلى الله عليه وآله وسلَّم للأنصار رضي الله عنهم : « ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاءِ والإبل ؛ وتذهبون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى رحالكم ؟... ». الحديث متفق عليه[1].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه ـ في قصة تقسيم الغنائم يوم حنين ، وإعطاء المؤلفة قلوبهم ، وعدم إعطاء الأنصار ـ وفي آخره قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم للأنصار رضي الله عنهم : « أما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا ، وترجعون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى بيوتكم ؟... ». متفق عليه[2].

وفي رواية عندهما عنه رضي الله عنه ، قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ألا ترضون أن يذهب الناس بالدنيا ، وتذهبون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم تحوزونه إلى بيوتكم ».

---

(١) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان . وصحيح مسلم : كتاب الزكاة : باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام ،... رقم (١٣٩).

(٢) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين ، وكتاب فرض الخُمس : باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس وغيره . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٣٢ – ١٣٥).

وفي رواية عندهما أيضاً عنه رضي الله عنه ، قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « وترجعون إلى رحالكم برسول الله ؟ فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به » فقالوا : بلى يا رسول الله قد رضينا .

ويلاحظ قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « تحوزونه » فكل من ضم إلى نفسه شيئاً فقد حازه .

كما يلاحظ قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « فوالله لَمَا تنقلبون به خير مما ينقلبون به » حيث الفارق الكبير بين العطاءين ، بل لا مقارنة في الحقيقة ، فما يحوزه الطلقاءُ والمؤلفةُ قلوبهم : هو الدنيا التي لا تعدل شيئاً ، بينما الذي يحوزه الأنصار رضي الله عنهم : هو سيد الخلق ، وفخر الكائنات ، صلوات الله تعالى وسلامه عليه . لذا نبَّهَهم صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى عظيم ما اختصوا به بالنسبة لما حصل عليه غيرهم ؛ من عَرَض الدنيا الفانية ، والله تعالى أعلم .

أهل المدينة يحشرون مع النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم :

ومما يَمتاز به أهلُ المدينة عمن سواهم : أنهم أول من يُبعث بعد النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، ثم يُحشرون معه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ومن يحشر معه نال كل الخير ، لأنهم في الدنيا جيرانُه ، وفي الحشر في زمرته صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وإن شاء الله تعالى يكونون في الآخرة في معيته صلى الله عليه وآله وسلَّم ، بإذنه تعالى .

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أنا أول من تنشق عنه الأرض ، ثم أبو بكر ، ثم عمر ، ثم آتي أهل البقيع ؛ فيحشرون معي ، ثم أنتظر أهل مكة ، فأُحشر بين الحرمين ». رواه

الترمذي ـ وحسنه ـ وعبد الله بن أحمد والقطيعي ، والطبراني ، وابن حبان والحاكم وصححه ، وابن عدي وأبو نعيم والفاكهي[1] .

وفي إسنادهم جميعاً : عاصم بن عمر بن حفص بن عاصم بن عُمر رضي الله عنه . قال عنه الذهبي : ضعفوه . وقال ابن عدي : أحاديثه حسان ، ومع ضعفه يكتب حديثه.اهـ. لذا حسنه الإمام السيوطي ، وقد صحَّح له الترمذي رحمه الله تعالى في سننه أيضاً .

قلت : وأول الحديث ثابت في صحيح مسلم بنحوه ، والله تعالى أعلم .

أهل المدينة هم أول من يشفع لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم :

ومما يمتاز به أهل المدينة أيضاً على من سواهم : أنهم أول من يشفع لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يوم القيامة .

فعن عبد الملك بن عباد بن جعفر رضي الله عنه ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « أولُ من أشفع له من أمتي : أهلُ المدينة ، ثم أهلُ مكة ، ثم أهلُ الطائف ». رواه البخاري في تاريخه ، وابن أبي عاصم في الأوائل ، والطبراني في الكبير والأوسط والأوائل ، والبزار وابن شاهين والفاكهي ، وله

---

(١) فضائل الصحابة (١ : ١٥٠ ، ٢٣١ ، ٣٥١ ، ٤١١) وسنن الترمذي : كتاب المناقب : باب في مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، رقم (٣٦٩٢) وصحيح ابن حبان (١٥ : ٣٢٤) والمستدرك (٣ : ٦٨) (٢ : ٤٦٥ – ٤٦٦) ودلائل النبوة لأبي نعيم (١ : ٧٤) والمعجم الكبير (١٢ : ٣٠٥) وأخبار مكة للفاكهي (٣ : ٧٠ – ٧١ من ثلاث طرق) والكامل لابن عدي (٥ : ١٨٧٠ ، ١٨٧٢) والجامع الصغير (١ : ٤١٢ – ٤١٣) وتحفة الأشراف (٥ : ٤٥٧).

وانظر : الثقات لابن شاهين (١٥١) والنهاية لابن كثير (١ : ٢٠٦) ووفاء الوفاء (٣ : ٨٨٨).

وانظر تعليقي على هذا الحديث في فضائل المدينة المنورة .

شواهد ، هو بها حسن . لذا صححه الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى[1]، والله تعالى أعلم .

وذلك أن الله سبحانه وتعالى عندما يأذن لرسوله المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم بالشفاعة : يكون أول من يبدأ بهم من هذه الأمة : هم جيرانه ؛ أهل المدينة ، لأن الجار أولىٰ من غيره ، إضافة لكونهم رضوا بجواره صلى الله عليه وآله وسلَّم ، لذا قابلهم بأحسن مما رغبوا وفعلوا وأمَّلوا ،... والشفاعة لا تكون إلا للمقصر المذنب المسيء ، لكن يشرط وجود الإيمان ، والله تعالى أعلم[2].

يجب إكرام أهلها لأنهم جيرانُ النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم :

لقد أمر الله تعالى ورسولُه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم بإكرام الجيران ، ولما كان أهلُ المدينة جيرانَه صلى الله عليه وآله وسلَّم فقد وجب إكرامُهم ، إكراماً له صلى الله عليه وآله وسلَّم .

فعن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « مازال جبريل يوصيني بالجار ، حتى ظننت أنه سيورِّثه ». متفق عليه .

ورروياه[3] من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أيضاً .

وعن معقل بن يسار رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) التاريخ الكبير (٥ : ٤٠٤ ، ٤١٤) والمعجم الأوسط (٢ : ٤٩١) والأوائل له (٧٦ رقم ١٠٥) والأوائل لأحمد بن عمرو النبيل (١١١) وكشف الأستار (٤ : ١٧٢) وأخبار مكة (٣ : ٧١ - ٧٢) ومجمع الزوائد (١٠ : ٥٣ ، ٣٨١) والجامع الصغير (١ : ٤٣٤) والإصابة (٤ : ٣٨٢) وأُسْد الغابة (٣ : ٤٠٦).

(٢) انظر : ما كتبته مطولاً : (الشفاعة ، والرد على منكريها).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب الوصاة بالجار . وصحيح مسلم : كتاب البر والصلة : باب الوصية بالجار والإحسان إليه ، رقم (١٤٠ ، ١٤١).

وسلَّم : « المدينة مهاجَري ، ومضجعي في الأرض ، حقٌ على أمتي أن يكرموا جيراني ، ما اجتنبوا الكبائر ، فمن لم يفعل ذلك منهم سقاه الله من طينة الخبال ».

قيل : يا أبا يسار ؛ ما طينةُ الخَبَال ؟

قال : عصارة أهل النار . رواه الطبراني في المعجم الكبير ، وابن النجار ، وله شواهد من حديث جابر بن عبد الله ، وحديث عبد الله ابن عمر والسيدة عائشة رضي الله عنهم ، وهما أجودها ، فهو بها حسن لغيره[1]، والله تعالى أعلم .

ومما يدل على شهرة هذا الحديث ؛ ما رواه القاضي عياضٌ رحمه الله تعالى ـ في ترتيب المدارك[2] ـ عن محمد بن مسلمة ، قال : سمعتُ مالكاً رحمه الله تعالى يقول : دخلت على المهدي ، فقال : أوصني ، فقلت : أوصيك بتقوىٰ الله وحده ، والعطف على أهل بلد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم وجيرانِه ، فإنه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « المدينة مُهاجَري ، ومنها مبعثي ، وبها قبري ، وأهلُها جيراني ، وحقيق على أمتي حفظي في جيراني ، فمن حفظهم فيَّ كنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة ، ومن لم يحفظ وصيتي في جيراني سقاه الله من طينة الخبال ».اهـ.

وينال من لم يكرم جيرانَه صلى الله عليه وآله وسلَّم هذه العقوبةَ الشديدةَ ؛ لأنه لم يراع حق الجوار له صلى الله عليه وآله وسلَّم ، مع أن ذلك من أدنى حقوقه صلى الله عليه وآله وسلَّم على أمته ، ولأنه أخفر ذمتَه فيهم ، والله تعالى أعلم .

---

(١) المعجم الكبير (٢٠ : ٢٠٥ – ٢٠٦) وجزء فيه : أحاديث نافع بن أبي نعيم (٤٩ – ٥٢ رقم ١٧ ، ١٨) وتاريخ ابن أبي خيثمة (٦٣آ) ومسند الفردوس (٤ : ٢٢٦) وكنز العمال (١٢ : ٢٤٦) ووفاء الوفاء (١ : ٤٨) ومجمع الزوائد (٣ : ٣١٠) وأخبار مدينة الرسول ﷺ (٣٣).

(٢) ترتيب المدارك (١ : ٦٠).

التحذير من الخروج منها رغبة عنها :

ومن حرص النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم على المدينة وأهلها ، وعدم رغبته صلى الله عليه وآله وسلَّم أن تُعرىٰ من أهلها : حذَّر صلى الله عليه وآله وسلَّم من الخروج منها ، رغبةً عنها إلى غيرها ،... ـ لأن المدن مهما كانت لن تكون مثل المدينة ـ وحتى لا يكون هذا الخارجُ خَبَثاً ، فيكون مصيره الطرد والإبعاد ، والعياذ بالله تعالى ، وحتى يبقى فيها الساكن ؛ فينال شرف المجاورة ، وإذا مات فيها ، أو صبر على لأوائها : نال شفاعتَه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، والحشرَ معه ، والله تعالى أعلم .

فعن سفيان بن أبي زهير رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « يُفتح اليمن فيأتي قوم يَبِسُّون ، فيتحمَّلون بأهليهم ومن أطاعهم ، والمدينةُ خير لهم لو كانوا يعلمون ، ثم يُفتح الشام فيأتي قوم يَبِسُّون ، فيتحمَّلون بأهليهم ومن أطاعهم ، والمدينةُ خير لهم لو كانوا يعلمون ، ثم يفتح العراق فيأتي قوم يَبِسُّون ، فيتحمَّلون بأهليهم ومن أطاعهم ، والمدينةُ خير لهم لو كانوا يعلمون ». متفق عليه[1].

لقد اختُلف في معنى قوله : « يبسون » على أقوال ، فقيل :

ـ دلالة على سرعة خروجهم من المدينة ، وارتحالهم منها ، لأن البس هو سوق الإبل .

ـ وقيل : يُزيِّنون لأهليهم وأقاربهم البلادَ التي تُفتح ، ويدْعونهم إلى سكناها ،

---

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل المدينة : باب من رغب عن المدينة . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب الترغيب في المدينة عند فتح الأمصار ، رقم (٤٩٧ ، ٤٩٦).

فيتحمّلون بسبب ذلك من المدينة راحلين إليها .

ـ وقيل : الإخبار عمن خرج من المدينة متحمِّلاً بأهله ، باسّاً في سيره ، مسرعاً إلى الرخاء ، والأمصار المفتتحة .

ـ وثمة أقوال أخرى[1] .

وتنكيرُ « قوم » إنما هو لتحقيرهم وتوهين أمرهم ، ووصفهم بقوله : « يبسون » وهو سوق الدواب : يشعر بركّة عقولهم ، وأنهم ممن ركن إلى الحظوظ البهيمية وحطام الدنيا .

لأن هذا الذي يتركها رغبةً عنها ؛ يكون قد فضَّل عليها غيرَها ، وهذا فيه خطر عليه ، إذ يُخشى عليه أن يكون من الخبث الذي تنفيه المدينة ـ كما سيأتي في فقرة قريبة إن شاء الله تعالى ـ لا أنه هو الذي يتركها ، وإن ظن أنه هو التارك ، وطالما هو كذلك ؛ لذا فإن الله عز وجل سيبدلها خيراً منه ، سواء بالولادة فيها ، أو بالهجرة إليها ، مما يدل على أن الخارج دون مستوى المبدل به ، والله تعالى أعلم .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « يأتي على الناس زمان : يدعو الرجلُ ابنَ عمه وقريبَه : هلمّ إلى الرَّخاء ، هلمّ إلى الرَّخاء ، والمدينةُ خيرٌ لهم ؛ لو كانوا يعلمون . والذي نفسي بيده ؛ لا يَخرج منهم أحدٌ رغبةً عنها إلا أخلف الله فيها خيراً منه ، ألا إن المدينةَ كالكير ، تُخرج الخبيث ، لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها ، كما ينفي الكير خبث الحديد ». رواه مسلم[2] .

---

(١) انظر فضائل المدينة المنورة (١ : ٢٩١ – ٢٩٤).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الحج : باب المدينة تنفي شرارها ، رقم (٤٨٧).

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إني أُحَرِّمُ ما بين لابَتَي المدينة ، أن يُقطع عِضاهُها ، أو يُقتل صيدُها .

وقال : المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، لا يدعُها أحدٌ رغبةً عنها ؛ إلا أبدلَ الله فيها من هو خير منه ،... ». الحديث بطوله ، رواه مسلم[1].

التحذير من كيد أهل المدينة وإيذائهم :

ومن محبة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم لأهل المدينة - لأنهم جيرانه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وآثروها على غيرها مع الشدة فيها - حذَّر من الكيد لهم ، ومن الإساءة إليهم . لأن من فعل ذلك معهم فله عقاب شديد ، حيث إن الله عز وجل يذيبه في النار ذوبَ الرصاص فيها ، أو ذوبَ الملح في الماء .

وإذا كان الله عز وجل قد تجاوز لنا عما حدَّثْنا به أنفسَنا ، إلا أن الهمَّ في كيدِ وإيذاءِ أهلِ المدينة - وكذا مكة - إذا وصل إلى حد العزم ؛ فإن الإنسانَ يؤاخذ به ويعاقب عليه ، ولو كان بعيداً عنهما ، لذا فليتق الله تعالى ، وليحذر مَن أراد أهل المدينة بسوء - ولو كان بعيداً عنها - أن يُعاقب على هذا التصميم والعزم ، والعياذ بالله تعالى .

فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « لا يكيد أهلَ المدينة أحدٌ ؛ إلا انماع كما ينماع الملح في الماء ». متفق عليه ، واللفظ للبخاري[2].

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الحج : باب فضل المدينة ،... ، رقم (٤٥٩).

واللابة : هي الحرة ، والعضاه : هو الشجر .

(٢) صحيح البخاري : كتاب فضائل المدينة : باب إثم من كاد أهل المدينة . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله ،... ، رقم (٤٩٤).

وقوله : « انماع » أي ذاب ، كما هو مبيَّنٌ في الروايات الأخرى .

وفي لفظ مسلم عنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « من أراد أهل المدينة بسوء ، أذابه الله كما يذوب الملح في الماء ».

ورواه مسلم[1] بلفظ قريب من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وفي رواية لمسلم[2] عن سعد رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « ...إلا أذابه الله في النار ؛ ذوبَ الرصاص في النار ، أو ذوبَ الملح في الماء »، والعياذ بالله تعالى .

التحذير من إخافة أهل المدينة :

ومما يدخل في ذلك أيضاً : التحذير من إخافة أهل المدينة ، بأي نوع من أنواع الخوف ، فمن أخافهم ؛ أخافه الله سبحانه وتعالى ، وعليه لعنة الله تعالى والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله عز وجل منه فرضاً ولا نفلاً ، لأنه أخاف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وأخفر ذمته في جيرانه ، لأن المطلوب إكرامهم ، لأن من إكرام السيد إكرامَ جيرانه .

فعن السائب بن خلَّاد الأنصاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « من أخاف أهل المدينة أخافه الله عز وجل ، وعليه لعنةُ الله والملائكةِ والناسِ أجمعين ، لا يقبل الله تعالى منه يومَ القيامة صرفاً ولا عدلاً ». رواه أحمد والنسائي ، برجال الصحيح ، وأبو نعيم ، وابن أبي عاصم ، والطبراني في الكبير أيضاً[3].

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الحج : الباب السابق ، رقم (٤٩٢ – ٤٩٣).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الحج : باب فضل المدينة ،... ، رقم (٤٦٠).

(٣) السنن الكبرى : كتاب الحج : باب من أخاف أهل المدينة ، أو أرادهم بسوء (٢ : ٤٨٣) ومسند أحمد =

ورواه ابن أبي شيبة بإسناد حسن ، وسعيد بن منصور ، والبخاري في تاريخه ، في آخرين ـ بمثله ـ من حديث جابر رضي الله عنه .

ورواه ابن حبان في صحيحه عن جابر رضي الله عنه مختصراً[1].

وأما إيذاؤه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم فيوضحه ما يلي :

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، أن أميراً من أمراء الفتنة قدم المدينةَ ـ وكان قد ذهب بصرُ جابرٍ ـ فقيل لجابر : لو تنحَّيْتَ عنه ، فخرج يمشي بين ابنيه ، فنكب ، فقال : تَعِسَ مَن أخاف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم . فقال ابناه ـ أو أحدهما ـ : يا أبت ؛ وكيف أَخافَ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم وقد مات ؟

قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « من أخاف أهلَ المدينة فقد أخافَ ما بين جنبي ». رواه أحمد ، واللفظ له برجال الصحيح .

ورواه الطيالسي وأحمد والبخاري في تاريخه من طرق ـ والطبراني في المعجم الأوسط والبزار وابن أبي عاصم ، وابن حبان في الثقات بلفظ « من أخاف الأنصار ». ثم ذكر مثلَه ، ورواه ابن أبي شيبة برجال الصحيح[2].

= (٤ : ٥٥ ، ٥٥ – ٥٦ ، ٥٦) وبغية الباحث (١ : ٤٦٧ – ٤٦٨ رقم ٣٩٥) والمعجم الكبير (٧ : ١٦٩ – ١٧١ من طرق) والآحاد والمثاني (٤ : ١٧١ رقم ٢١٥٢) وإتحاف الخيرة المهرة (٤ : ١٥٦) ومعرفة الصحابة لأبي نعيم (٢ : ٩٦٢ ، ٩٦٣) وحلية الأولياء (١ : ٣٧٢) والكنى للدولابي (١ : ٧٢ ، ١٢٣) ومجمع الزوائد (٣ : ٣٠٦ – ٣٠٧). وانظر كتاب الحدائق (٢ : ٢٩١).

(١) مصنف ابن أبي شيبة (١٢ : ١٨٠ – ١٨١) وبغية الباحث (١ : ٤٦٧ رقم ٣٩٤) وإتحاف الخيرة المهرة (٤ : ١٥٣) وكنز العمال (١٢ : ٢٤٦ رقم ٣٤٨٨٦) والتاريخ الكبير (١ : ١١٧) وصحيح ابن حبان (٩ : ٥٥) والكنى للدولابي (١ : ١٣٢) والترغيب والترهيب (٣ : ٦٥).

(٢) مسند أحمد (٣ : ٣٥٤ ، ٣٩٣) وفضائل الصحابة له (٢ : ٧٩٤ – ٧٩٥) ومصنف ابن أبي شيبة (١٢ : =

المدينة كالكير تنفي خبثها وأشرارها :

لذا فليحذر ساكنُ المدينة ـ إذا خبثت سريرتُه ، وامتلأ قلبُه دغلاً ، ولم يخلص إيمانه ،... ونَقَضَ العهد المطلوب منه ، وكثرت شرورُه ـ من أن تنفيه المدينة ، لأنها كالكير ؛ تنفي شرارها ، والأخباثَ منها ، ولا تقبل إلا من خلص وصَفِيَ .

ولا يغتر الفاسقُ أو الفاجرُ أو الظالم ،... بوجوده فيها ، فإن لها ضربة شديدة ، فإذا حلت به قلَّ أن ينجو ، إلا إذا رحمه الله تعالى .

لذا كان كثيرٌ من أئمة السلف ـ رحمهم الله تعالى ـ يخافون على أنفسهم هذا النفيَّ . نسأل الله تعالى السلامةَ والعافيةَ ، وحسنَ الأدب في هذا الجوار ، لنا ولأبنائنا وأحبابنا وللمسلمين فيها .

ويوضِّح ذلك :

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، أن أعرابياً بايعَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم على الإسلام ، فأصاب الأعرابيَّ وَعَكٌ بالمدينة ، فأتىٰ الأعرابيُّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم فقال : يا رسول الله ؛ أَقْلني بيعَتي ، فأبىٰ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم . ثم جاء فقال : أَقْلني بيعتي ، فأبىٰ . ثم جاءه فقال : أَقْلني بيعتي ، فأبىٰ ، فخرج الأعرابيُّ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إنما المدينةُ كالكير ، تنفي خبثَها ، ويَنْصَعُ طيبُها ». متفق عليه[1] .

= ١٨٠ – ١٨١) ومسند الطيالسي (٢٤٢ رقم ١٧٦٠) والتاريخ الكبير (١ : ٥٣) (٤ : ٣٥) (٧ : ٤٠٤) (٨ : ٢٨٧) والآحاد والمثاني (٣ : ٣٩١ – ٣٩٢) (٤ : ٧٠) وكشف الأستار (٣ : ٣٠٤) والثقات لابن حبان (٥ : ٣٦٢) والمعجم الأوسط (٢ : ١٨ رقم ١٠٨٩) (٥ : ٢٧٤ رقم ٥٢٩٧) ومجمع البحرين (٧ : ١٠ ، ١١) ومجمع الزوائد (٣ : ٣٠٦) (١٠ : ٣٧ – ٣٨) والترغيب والترهيب (٣ : ٦٥).

(١) صحيح البخاري : كتاب الأحكام : باب من بايع ثم استقال البيعة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب المدينة تنفي شرارها ، رقم (٤٨٩).

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : لما خرج النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى أُحُدٍ رجع ناسٌ من أصحابه ، فقالت فرقةٌ : نقتلُهم وقالت فرقةٌ : لا نقتلهم . فنزلت ﴿ ۞ فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ ﴾[1].

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إنها تنفي الرجالَ ، كما تنفي النارُ خبثَ الحديد ». لفظ البخاري ، ورواه مسلم مختصراً على المرفوع[2].

لذا إذا كان آخر الزمان ، وظهر الدجال ،... واقترب من المدينة ـ لأنه لن يدخلها ، كما لن يدخلها رعبُه ، كما أخبرنا النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وقد بينت ذلك في فضائل المدينة ـ ترتجف المدينةُ ثلاثَ رجفات ، فيفزع إليه كلُّ من ضَعُف إيمانه أو انعدم ، ولا يبقى فيها فاسق ولا كافر ولا منافق ولا مشرك ،... من ذكر أو أنثى ، إلا ويخرجون إليه ، ويلتحقون به .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ...لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينةُ شرارَها ، كما ينفي الكيرُ خبثَ الحديد ». رواه مسلم[3].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « ليس من بلد إلا سيطؤه الدجالُ ، إلا مكةَ والمدينةَ . ليس له من نقابها نقبٌ : إلا عليه الملائكة صافين ، يحرسونها ، ثم ترتجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات ،

---

(١) سورة النساء (٨٨).

(٢) صحيح البخاري : كتاب فضائل المدينة : باب المدينة تنفي الخبث . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب المدينة تنفي شرارها ، رقم (٤٩٠).

(٣) صحيح مسلم : كتاب الحج : باب المدينة تنفي شرارها ، رقم (٤٨٧).

فيُخرجُ الله كلَّ كافر ومنافق ». متفق عليه ، واللفظ للبخاري[1].

وفي لفظ لمسلم[2] عنه ، رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : ـ فذكر نحوه ـ غير أنه قال : « فيأتي سبْخةَ الجُرف ، فيضرب رواقه ، وقال : فيخرج إليه كلُّ منافق ومنافقة ».

قوله : « نقب »: أي المدخل ، وقيل : الباب ، وقيل : الطريق الذي يسلكه الناس ، وأصل النقب : الطريق بين الجبلين .

المدينة تنفي الذنوب :

إن الصابر على لأواء المدينة وشدتها : يكون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة ، كما مر .

ومن شدة المدينة ولأوائها ؛ أنها تُمحِّص الذنوب ،... وتنفيها عن الساكنين فيها أيضاً ، الراضين بسكناها ، مع ضيق العيش فيها ، وذلك بصبرهم على لأوائها ؛ فيتوبون ، فتنفيها عنهم ، أو يُمنحون الشفاعة ـ إن كانوا أهلاً لها ـ فتُغفر لهم ذنوبهم ، وتُنفىٰ عنهم عيوبهم ، والله تعالى أعلم[3].

فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : لما خرج النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى غزوة أُحُدٍ ، رجع ناسٌ ممن خرج معه ، وكان أصحاب النبي صلى الله

---

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل المدينة : باب لا يدخل الدجال المدينة . وصحيح مسلم : كتاب الفتن : باب حديث الجسَّاسة ، رقم (١٢٣).

(٢) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٢٣).

وانظر : فضائل المدينة المنورة (١ : ٣٧٣ - ٣٧٥) حيث ذكرت الروايات الأخر في بيان خروج المشرك والمشركة ، والكافر والكافرة ، والمنافق والمنافقة ، والفاسق والفاسقة . مع بيان طريقة الارتجاف والخروج .

(٣) انظر : فضائل المدينة المنورة (١ : ٣٢٣ - ٣٢٤).

عليه وآله وسلَّم فرقتين : فرقة تقول : نقاتلهم وفرقة تقول : لا نقاتلهم . فنزلت : ﴿ ۞ فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ ﴾[1].

وقال صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إنها طيبة ، تنفي الذنوبَ ، كما تنفي النارُ خبثَ الفضة ». رواه البخاري بهذا اللفظ ، وأصله متفق عليه[2]. وقد سبق ذكره .

عالِم المدينة أعلم من عالِم غيرها :

إن طلاب العلم حريصون أشدَّ الحرص على معرفة العالِم العامِل ، ولو كان في أقصى الأرض ، لذا فإنه سيأتي زمان ، يسير فيه أهلُ العلم سيراً حثيثاً يطلبون العلمَ ، فلا يجدون في العالَم أَعْلَمَ من عالِم المدينة .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « يوشك أن يضرب الرجلُ أكبادَ الإبل ، يطلبون العلمَ ، فلا يجدون أحداً أعلمَ من عالِم المدينة ». رواه أحمد والحميدي والنسائي ، والترمذي والحاكم وابن حبان ـ وصححوه ـ وغيرهم[3].

وقد بينتُ في (فضائل المدينة المنورة) من هو المقصود بذلك .

---

(١) سورة النساء (٨٨).

(٢) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب غزوة أحد . ومرَّ عزوُه لصحيح مسلم .

(٣) مسند أحمد (٢ : ٢٩٩) ومسند الحميدي (٢ : ٤٨٥ رقم ١١٤٧) وسنن الترمذي : كتاب العلم : باب ما جاء في عالِم المدينة ، رقم (٢٦٨٠) والسنن الكبرى للنسائي : كتاب الحج : باب فضل عالِم المدينة ، رقم (٤٢٩١) وانظر : تحفة الأشراف (٩ : ٤٤٥) وشرح مشكل الآثار (١٠ : ١٨٦ – ١٨٨ من طرق) وصحيح ابن حبان (٩ : ٥٢ – ٥٣) والمستدرك (١ : ٩٠ – ٩١) وأقره الذهبي ، والسنن الكبرى للبيهقي (١ : ٣٨٦) ومعرفة السنن والآثار (١ : ٨٧) ورواه ابن أبي حاتم في مقدمة الجرح والتعديل (١١ – ١٢) والخطيب البغدادي في تاريخه (٥ : ٣٠٦ – ٣٠٧) (٦ : ٣٧٦ – ٣٧٧) (١٣ : ١٧).

فيها خِيار الناس :

ولما كانت المدينة لها هذه الخصوصية لذا يسكنها أناسٌ هم خيارُ الناس ، أو من خيار الناس ، سواء كانوا على شكل أفراد ـ كالذي يخرج لمقابلة الدجال ، فيقتله الدجال ، ثم يحييه الله عز وجل ، ولن يُسلَّط عليه الدجال ثانية ، ولا على أحد بعده ،... ـ أو على شكل جماعات ، كالجيش الذي يخرج منها في آخر الزمان ؛ لنصرة المسلمين في بلاد الشام ؛ في قتالهم مع الروم ، يوم الملحمة الكبرى .

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يوماً حديثاً طويلاً عن الدجال ، فكان مما حدثنا قال : « يأتي ـ وهو محرَّمٌ عليه أن يدخلَ نقابَ المدينة ـ فينتهي إلى بعض السِّباخ التي تلي المدينةَ ، فيخرج إليه يومئذ رجلٌ : هو خيرُ الناس ـ أو من خير الناس ـ فيقول له : أشهد أنك الدجال الذي حدَّثَنا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم حديثَه ،... ». الحديث بطوله ، متفق عليه[1].

زاد مسلم في رواية ثانية[2] : فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « هذا أعظمُ الناس شهادة عند رب العالمين ».

قوله : « السِّباخ » جمع سَبْخة ، وهي الأرض المالحة ، وفيها نز .

وأما الجيش الذي يخرج منها لقتال الروم :

فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال :

---

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل المدينة ، وكتاب الفتن : كلاهما في باب لا يدخل الدجال المدينة . وصحيح مسلم : كتاب الفتن : باب في صفة الدجال ، رقم (١١٢).

(٢) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١١٣).

« لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق - أو بدابق - فيخرج إليهم جيشٌ من المدينة ، من خيار أهل الأرض يومئذ ،... » الحديث بطوله ، رواه مسلم[1].

وهي المعركة التي ينتصر فيها المسلمون على الروم بإذن الله تعالى .

وقوله : « الأعماق ، دابق » قريتان في بلاد الشام عند حلب .

أضاءت المدينة يوم دخول النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم :

إن من فرح المدينة يوم قدوم النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم إليها : أن أضاء منها كلُّ شيء .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لما كان اليوم الذي دخل فيه رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم المدينةَ : أضاء من المدينة كلُّ شيء ، فلما كان اليومُ الذي مات فيه رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : أظلم من المدينة كلُّ شيء ، وما فرغنا من دفنه : حتى أنكرنا قلوبَنا . رواه أحمد ، وعبد بن حُميد ، والترمذي والحاكم وابن حبان وصححوه ، وابن ماجه ، وأبو يعلى ، والبغوي ، ورواه ابن أبي شيبة والدارمي بنحوه[2].

وللحديث روايات أخرى غير ما ذكرتُ .

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الفتن : باب فتح القسطنطينية ،... رقم (٣٤).

(٢) مسند أحمد (٣ : ٢٢١ ، ٢٤٠ ، ٢٦٨ ، ٢٨٧) وسنن الترمذي : كتاب المناقب : باب فضل النبي ﷺ ، رقم (٣٦١٨) والشمائل له (٣٣٣ - ٣٣٤) ومصنف ابن أبي شيبة (١١ : ٥١٦) ومسند عبد بن حميد (٣٨٦ - ٣٨٧ رقم ١٢٨٩) وسنن ابن ماجه : كتاب الجنائز : باب ذكر وفاته ودفنه ﷺ ، رقم (١٦٣١) وسنن الدارمي (١ : ٤١ رقم ٨٩) والمستدرك (٣ : ١٢ ، ٥٧) وأقره الذهبي ، وصحيح ابن حبان (١٤ : ٦٠١) وموارد الظمآن ، رقم (٢١٦٢) ومسند أبي يعلى (٦ : ٥١ ، ١١٠) وشرح السنة (١٤ : ٤٩ - ٥٠) والشمائل له (٢ : ٧٥٦ - ٧٥٧) والطبقات الكبرى (٢ : ٢٧٤). وانظر : إتحاف الخيرة المهرة (٩ : ١٢٤ - ١٢٥).

فرحت فأضاءت ، وحزنت فأظلمت ، وحق لها ذلك ، وهكذا شأن المحب[1] .

ويلاحظ قوله : « كلُّ » التي هي من ألفاظ العموم ، وَ « شيء » التي تُطلق على كل موجود ، والله تعالى أعلم .

هي آخر قرى الإسلام خراباً :

إن هذه المدينة المباركة ستبقىٰ عامرةً ؛ إلى قُبيل قيام الساعة ، وإن آخر مَن يُحشر يعني عند النفخ في الصور ؛ اثنان يقدمانها ، فيجدانها قد خربت ـ ولا يقصدانها إلا وهي مسكونة ، وإلا لما قصداها ـ فإذا بلغاها لم يجدا فيها أحداً ، فإذا بلغا ثنيةَ الوداع : كان النفخ في الصور ؛ فيخران صَعِقين ، والله تعالى أعلم .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « يتركون المدينة على خير ما كانت ، لا يغشاها إلا العوافي ـ يريد عوافي السباع والطير ـ فآخر من يحشر : راعيان من مزينة ، يريدان المدينة ، ينعِقان بغَنَمِهما ، فيجدانها وُحوشاً ، حتى إذا بلغا ثنيَّةَ الوداع ، خرَّا على وجوههما ». متفق عليه ، وهذا اللفظ للبخاري[2] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « آخرُ قرية من قُرى الإسلام خراباً المدينة ». رواه الترمذي في جامعه ـ وحسنه ـ وابن حبان في صحيحه[3] . وإسنادهما حسن .

---

(١) انظر : الإدراك عند الجمادات ، حيث ذكرت مظاهر الإدراك فيها ، ومنها : الفرح والحزن والبكاء ،... وهو كتاب كبير .

(٢) صحيح البخاري : كتاب فضائل المدينة : باب من رغب عن المدينة . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب في المدينة حين يتركها أهلها ، رقم (٤٩٩) .

(٣) سنن الترمذي : كتاب المناقب : باب في فضل المدينة ، رقم (٣٩١٩) والعلل الكبرى له (٢ : ٩٤٥) وصحيح ابن حبان (١٥ : ١٧٩) .

قوله : « يجدانها وحوشاً » : أي يجدانها ذاتَ وُحوش ـ على الصحيح .

وقيل : يجدانها خالية ليس بها أحد ، لأن الوَحشَ من الأرض : الخلاء .

ويمكن الجمع : أنها لما خلت من البشر رتعت فيها الوحش ؛ من السباع والثعالب ،... ونحوها ، والله تعالى أعلم[1].

والخراب نوعان :

ـ مادي ؛ وهو النفخ في الصور .

ـ ومعنوي ؛ وهو تركُ أهلها لها ، كما في أول الحديث الأول ، وذلك قُبيل النفخ في الصور ، والله تعالى أعلم .

والخلاصة : أن الخراب المعنوي هو الأول ،... ثم يعقبه الخراب الثاني ؛ وهو المادي ، والله تعالى أعلم .

مضاعفة الثواب والأعمال الصالحة فيها مضاعفةً كبيرةً :

فالصلاة في الحرم النبوي الشريف أكثر من ألف صلاة فيما سواه من المساجد . وقد تواتر[2] ذلك عن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فقد رواه عنه صلى الله عليه وآله وسلَّم : نحوٌ من عشرين صحابياً ، بالأسانيد الصحيحة والحسنة .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد ، إلا المسجد الحرام ». متفق عليه[3].

---

(١) انظر فضائل المدينة المنورة (٣ : ٣٠٧ - ٣٠٩).

(٢) انظر : النظم المتناثر (٥٤) وإتحاف ذوي الفضائل المشتهرة (٨٣).

(٣) صحيح البخاري : كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة : باب فضل الصلاة في مسجد مكة =

وأن من جاء هذا المسجد الشريف : فهو كالمجاهد في سبيل الله .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « من جاء مسجدي هذا ـ يعني : مسجدَ المدينة ـ لم يأته إلا لخير يُعَلِّمُه ، أو يَتَعَلَّمُه ؛ فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله ،... ». الحديث ، رواه أحمد وابن أبي شيبة وابن ماجه وأبو يعلى ، وصححه الحاكم وابن حبان والبوصيري ، وأقره الذهبي[1].

جعل الروضة الشريفة من الجنة :

لم يرد نص ثابت في تعيين بقعة من الأرض أنها من الجنة : سوىٰ ما بين بيت النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، بيت عائشة رضي الله عنها ـ ومنبره الشريف ، وقد تواترت النصوص في ذلك أيضاً .

فعن عبد الله بن زيد المازني ، وأبي هريرة رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم أنه قال : « ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ».

زاد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه « ومنبري على حوضي ». متفق عليهما[2].

= والمدينة . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب فضل الصلاة في مسجدي مكة والمدينة ، رقم (٥٠٥ – ٥٠٨).

وانظر : فضائل المدينة المنورة (٢ : ١٩٧ – ٢٢٥) لبيان روايات هذا الحديث ، وبيان معنى الاستثناء « إلا المسجد الحرام » وهل الصلاة في المسجد النبوي الشريف أفضل من الصلاة في مكة ، أم مساوية لها ، أم دونها ؟

(١) مسند أحمد (٢ : ٣٥٠ ، ٤١٨ ، ٥٢٦ – ٥٢٧) ومصنف ابن أبي شيبة (٢ : ٣٧١) (١٢ : ٢٠٩) وسنن ابن ماجه : المقدمة : باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ، رقم (٢٢٧) ومسند أبي يعلى (١١ : ٣٥٩) والمستدرك (١ : ٩١) وصحيح ابن حبان (١ : ٢٨٧ – ٢٨٨) ومصباح الزجاجة (١ : ٣١).

(٢) صحيح البخاري : الكتاب السابق : باب فضل ما بين القبر والمنبر ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب ما بين القبر والمنبر ، رقم (٥٠٠ – ٥٠٢).

الصلاة في مسجد قباء تعدل أجر عمرة كاملة :

لقد ورد ذلك عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم .

فعن سهل بن حُنيف رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « من تطهر في بيته ، ثم أتىٰ مسجد قباء ، فصلى فيه صلاةً ، كان له كأجر عُمْرة ». رواه أحمد والنسائي وابن ماجه وابن أبي شيبة وعبد بن حُميد ، والحاكم وصححه ـ وأقره الذهبي ، ورواه آخرون . وصححه الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء[1].

يضاف إلى ذلك أيضاً : مضاعفةُ البركة في كل شيء فيها ،... حتى صار تمرُها حرزاً من السم والسحر ، وترابها شفاء ،... ونُقل ما فيها من الحُمّىٰ إلى غيرها .

إضافةً لأمور كثيرة ذكرتُها في (فضائل المدينة المنورة) فانظرها إن شئت .

هذه المدينة المنورة : **جعلها الله تعالى حرماً آمناً** ، وقد تكشفت مظاهر هذا الأمن بما يسمى **بالأمن البيئي** فجوُّها خال من الرصاص ، وماؤها أنقىٰ أنواع المياه الجوفية ، ولا يوجد في جوها ـ مع كثرة ما فيها من زوار ـ أي نوع من أنواع الجراثيم زائداً على الحد المعتاد ، كما أجرىٰ ذلك عددٌ من الأخوة الزملاء في التجارب المخبرية ، وتكشفت لهم هذه الحقائق ، ولهذا ظهر الوباء في فترات من التاريخ ، في مناطق قريبة منها ، ولم يصل إليها ، والحمد لله على فضله ونعمائه .

---

(١) مسند أحمد (٣ : ٤٨٧) وسنن النسائي : كتاب المساجد : باب فضل مسجد قباء (٢ : ٣٧) والسنن الكبرى (١ : ٢٥٨ رقم ٧٧٨) وسنن ابن ماجه : كتاب إقامة الصلاة : باب ما جاء في الصلاة في مسجد قباء ، رقم (١٤١٢) ومصنف ابن أبي شيبة (٢ : ٣٧٣) (١٢ : ٢١٠) ومسند عبد بن حُميد (١ : ٤٢٢) وفضائل المدينة للجندي (٤١) وتاريخ المدينة (١ : ٤٠) والمعجم الكبير (٦ : ٩٠ ، ٩١) والمستدرك (٣ : ١٢) والتاريخ الكبير (٨ : ٣٧٨ – ٣٧٩) وكنز العمال (١٢ : ٣٦٦) والمغني عن حمل الأسفار (١ : ٢٠٨ رقم ٨٢٢).

وفي آخر الزمان لن يدخلها الدجالُ ، ولا رعبُه ،... لأن الملائكةَ تحرسها من جميع جهاتها ، كما أخبرنا به الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلَّم ، كما بينتُ ذلك في (فضائل المدينة المنورة).

ومن ذلك : **ثواب المصلِّي والمُسَلِّم على النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم من قُرب** ، فإن النبي المصطفى الكريمَ صلى الله عليه وآله وسلَّم يَسمعه مباشرةً ويردُّ عليه مباشرةً ، بخلاف المصلِّي والمسلِّم عليه من بُعد ، فإن لله تعالى ملائكةً سيَّاحين يُبلِّغون النبيَّ الكريمَ صلى الله عليه وآله وسلَّم صلاةَ وسلامَ من صلَّى وسلَّم عليه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فيردُّ عليهم صلى الله عليه وآله وسلَّم .

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « ما من أحدٍ يُسَلِّم عليَّ ، إلا ردَّ الله عليَّ روحي حتى أردَّ عليه السلام ». رواه أحمد وأبو داود والبيهقي والطبراني ، وصححه النووي ، وقال الحافظ : رجاله ثقات . وحسنه ملا علي القاري[١].

وقد وقع في (المغني)[٢] لابن قدامة رحمه الله زيادةٌ في هذا الحديث من مسند أحمد : « ما من أحد يسلِّم عليَّ [**عند قبري**] ؛... ».

وهذه الزيادة لم أرها في مسند أبي هريرة رضي الله عنه في مسند أحمد مع أني قرأته كله ، ولله الحمد والمنة ، ولعلها في موضع آخر .

---

(١) مسند أحمد (٢ : ٥٢٧) وسنن أبي داود : كتاب المناسك : باب زيارة القبور ، رقم (٢٠٤١) والسنن الكبرى للبيهقي (٥ : ٢٤٥) وحياة الأنبياء له (١١) وشعب الإيمان (٢ : ٢١٧) وأخبار أصبهان (٢ : ٣٥٣) والمعجم الأوسط (٣ : ٢٦٢) ومجمع البحرين (٨ : ٢٥) ورياض الصالحين (٥٣١) والأذكار (١٦٩) والقول البديع (١٦١) ووفاء الوفاء (١٣٤٩) وشرحي الخفاجي وملا علي القاري (٤ : ٤٩٩).

(٢) المغني لابن قدامة (٣ : ٥٥٦ – ٥٥٧) ونسيم الرياض (٤ : ٤٩٩).

وقال الحافظُ السخاوي رحمه الله تعالى : لم أقف عليها فيما رأيته من طرق الحديث[1].

وقال أبو عبد الرحمٰن : عبدُ الله بن يزيد المقرئ ـ وهو أحدُ أكابر شيوخ الإمام البخاري رحمهما الله تعالى[2] ـ : هذا في الزيارة ، إذا زارني فسلَّم عليّ ، ردَّ الله عليَّ روحي حتى أرد عليه.اهـ.

وقال العلامةُ الخفاجي رحمه الله تعالى في شرح الشفا[3] : هذا لمن زاره ، ومن بَعد عنه يُبلغه الملَكُ سلامَه.اهـ.

وقال صاحب عون المعبود رحمه الله تعالى[4] : والقول الصحيح أن هذا لمن زاره ، ومن بَعُدَ عنه صلى الله عليه وآله وسلَّم : تُبلغه الملائكةُ سلامَه.اهـ.

فهذه منقبة لساكن المدينة المنورة المباركة ، ويلحقه فيها زائرُها ، أن من سلَّم منهم وصلَّى على النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم عن قرب ؛ سمعه من غير واسطة ،... ثم ردَّ عليه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، أما من بَعُد ؛ فإن الملائكةَ تُبَلِّغُه صلى الله عليه وآله وسلَّم صلاةَ وسلامَ من صلَّى وسلَّم عليه ، والله تعالى أعلم .

وفي ختام هذا المبحث أقول :

يا ساكن المدينة أتعلم مَنْ تجاور ؟ وفي أي بلد تسكن ؟

لقد نقلك الله عز وجل ، أو نقل أباك وأنت في صلبه ، أو جدَّك ـ وإن علا ـ

(١) القول البديع (١٦٢).

(٢) انظر : وفاء الوفاء (١٣٥٠).

(٣) نسيم الرياض (٤ : ٥٠٠) وانظر : عون المعبود (٦ : ٢٩ - ٣٠).

(٤) عون المعبود (٦ : ٣٠).

وأنت في صلبه ، من بلدك ـ إن كنت من أهل المدن ـ إلى سيدة البلدان ، ومن قريتك ـ إن كنت من أهل القرى ـ إلى قرية تأكل القرى ، من باديتك ـ إن كنت من أهل البادية ـ إلى حرمه وحرم رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ونقلك من أناس عاديين ، أو من جوار فسقة فجرة ، أو عصاة كفرة ، إلى جوار رسوله وحبيبه وخليله ، وصفوته من خلقه ، صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فاختصك من بين ملايين المسلمين ـ فضلاً عن ملايين البشر ـ لتنعم بهذا الجوار ، وتسكن في هذا الحرم ، فتضاعف حسناتك ، وتزول أسقامك ، وترتع في البركات ، وتسعد بالمآثر الكريمات ، والنعماء الجليلات ، وتشهد المقام الجميل ، والحرم الجليل ، والمرابع الكرام ، والمشاهد العظام ،...

إنك في بلد : لا يقاربه في الفضل إلا مكة ، لكن المدينة تزيد في كثير من الفضائل ، فالبركة فيها ستة أمثال ما في مكة . ثم إنك تنعم بهذا الجوار ؛ الذي لا يدانيه فيه أو يقاربه مكان في الدنيا .

فهل بعد هذه النعمة ـ بل النعم الكثيرة ـ من نعمة ؟... وبعد هذه المزية الجليلة من مزية ؟ وبعد هذه المنزلة المكرَّمة العظيمة من منزلة ؟... فكيف تقدِّر هذه النعماء ؟... وتشكر الله عز وجل على هذه المكرمة العظماء ؟ وتحمد المولىٰ تعالى على هذه المنزلة الرفيعة العالية الكريمة ؟

منزلة المدينة عند المسلمين :

لقد رفع الله جل شأنه منزلة هذه المدينة المنورة ، وأعلى مكانتها في نفوس المسلمين ؛ قديماً وحديثاً ،... ولن أستطيع أن أذكر تفاصيلَ ذلك ، لكن حسبي أن أذكر بعض الحقائق ؛ لتكون دلالةً على الكثير الطيب في نفوس المسلمين . إن شاء الله تعالى .

ـ لا أعلم بلداً اعتُبِر إجماعُ سبعة من فقهاء التابعين فيها ؛ بمثابة إجماع الأمة ، إلا في المدينة المنورة المباركة . وهؤلاء الفقهاء السبعة هم (سعيد بن المسيِّب ، وسليمان ابن يسار ، وسالم بن عبد الله بن عمر ، والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، وعروة بن الزبير بن العوام ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، وخارجة ابن زيد بن ثابت) رضي الله عنهم وأرضاهم . حيث كان القاضي لا يقضي حتى يَرفع إليهم ، وكانوا إذا جاءتهم المسألة : اجتمعوا فنظروا فيها ، لذا اعتَبَر الإمامُ مالك رحمه الله تعالى إجماعَهم بمثابة إجماع الأمة ، وجنح كثيرٌ من الفقهاء إلى الميل إلى قولهم .

ـ لا أعلم بلداً اعتُبِر عملُ أهله بمثابة الدليل الشرعي ،... الذي يُعمل به ، إلا هذه البلدة المباركة ، حيث اعتبر الإمامُ مالك رحمه الله تعالى عملَ أهل المدينة حجةً ، يردُّ به الحديثَ الواحدَ إذا خالفه ، وقد أكثر من ذِكر ذلك في كتابه الموطأ ، ورجَّح به كثيرٌ من العلماء ، لأن أهلَ المدينة هم : صحابةُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم الذين انتشر فيهم فعلُه وقولُه وسنتُه صلى الله عليه وآله وسلَّم ،... ثم هم أولادهم ، وأحفادهم ، وتلامذتهم رضي الله عنهم ، الذين أخذوا عنهم ، لذا بقي عملُه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ثم عمل أصحابه رضي الله عنهم فيها ، يتوارثه الناس بعدهم ،... فلما بعد الزمان ، وتغيرت الأحوال ،... والنفوس ؛ ضعف هذا الاستدلال بعد الإمام مالك رحمه الله تعالى .

ـ لا أعلم بلداً مَن طعن في أرضها وترابها ،... يستحق التعزير ، إلا هذه البلدة المنورة المباركة ، فقد أفتى الإمام مالك رحمه الله تعالى : أن من قال تربة المدينة رديئة بأن يُضرب ثلاثين درة ، وأمر بحبسه ، وقال : ما أحوجه أن يضرب عنقه .

تربةٌ دُفن فيها رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ؛ يزعم أنها غيرُ طيِّبَة !!! كما ذكرتُ ذلك مفصَّلاً في (فضائل المدينة المنورة).

ـ لا أعلم بلداً تعادل زيارتُها الطوافَ ـ بل تفوق عليه ـ عند أحد من علماء الأمة إلا هذه البلدة المباركة .

فقد قال الإمام يحيى بنُ معين رحمه الله تعالى : سفرةٌ إلى المدينة أحبُّ إلي من مائتي طواف[1].

ـ لقد اتفقت كلمة علماء الحديث رحمهم الله تعالى : أن حديثَ أهل المدينة هو أصح من حديث أي مدينة أخرى ، لأنهم أتقن رواية وأعلى إسناداً ، وأصح متوناً ، وأثبت رجالاً ، وأشد شروطاً ،... وقد جاءت نصوصٌ وأقوالٌ كثيرةٌ عن العلماء في ذلك ، وذكرت خلاصةَ أقوالهم في مقدمة (سلسلة الذهب)[2] فانظرها إن شئت .

ـ وهكذا استمرت مكانةُ هذه المدينة المنورة وأهلها ،... في نفوس المسلمين ، عزيزةً كريمةً عاليةً ، إلى يومنا هذا ، إذ لا يوجد أهل بلد أو مدينة لهم من التجلة والاحترام والمحبة والتقدير والتكريم ،... ما لساكني المدينة المنورة المباركة ، حيث إن أحدهم لو رُؤي في أي بلد من بلاد المسلمين ، بل حتى لو رآه المسلمون في غير بلاد المسلمين : فإنه ينال من التكريم والاحترام والتبجيل ،... ما لا يوصف .

ولقد رأيت هذا بنفسي ، قبل أكثر من أربعين سنةً ، فقد كنت في الجامع

---

(١) معرفة الرجال (٢ : ٢٩).

(٢) سلسلة الذهب (١١ – ١٤). وانظر : صحة مذهب أهل المدينة ، للشيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى ، وهي في بيان تقديم حديث ومذهب أهل المدينة .

الأموي في مدينة دمشق ، ورأيت الناسَ قد تجمهروا ، ثم رأيتهم ينصرفون وهم يبكون ، فاقتربت منهم وسألت عن السبب ، فأُخبرت بوجود اثنين من أهل المدينة ، فلما رأيتهما لم أتمالك نفسي من البكاء ، وأنا أُسَلِّم عليهما ، حيث ما كنتُ أظن أن أعيشَ ؛ وأرىٰ أحداً قادماً من هذه البلدة المباركة ، حتى أكرمني الله تعالى بالمجيء إليها ، منذ عام (١٣٨٦هـ) ثم العيش فيها .

وقد سمعتُ فضيلةَ الشيخ عبد العزيز بن صالح رحمه الله تعالى إمامَ وخطيب المسجد النبوي الشريف ورئيس المحاكم في المدينة المنورة ، في عام (١٤٠٠هـ) وهو يحدثنا عن سفرته إلى أفريقيا ، وأنه كلما دخل بلدةً ، وعلم أهلُها أنه إمامُ وخطيب المسجد النبوي الشريف ؛ كيف كانوا يعاملونه ، من الضم والشمِّ والتقبيل ،... بل كادوا أن يُشقِّقوا عباءتَه ليأخذوها ، ويتحدث وهو متأثر جداً من هذه المناظر التي رآها وسمعها ، وكيف نظرة المسلمين إلى هذه البلاد .

وقد حدثني أحدُ الأخوة من أبناء المدينة ؛ وكان في أمريكا ، فلما علم المسلمون فيها أنه وزوجته من أهل المدينة المنورة ؛ كيف كانوا يعاملونهما بالتجلة والاحترام ، من رجال ونساء ،... وهناك حوادث كثيرة .

ولما سافرتُ قبل أكثر من ثلاثين سنة إلى إحدىٰ الدول الإسلامية ، ولما عرف المسؤولون : أني قادم من المدينة المنورة ، والله لقد عاملوني معاملةً غاية في التكريم والاحترام ، وجلس بعضهم يسألني عن معالم المدينة المنورة ، وما فيها ، والناس يبكون ،...

والأخبارُ عن تكريم المسلمين ومحبتهم وتقديرهم وتوقيرهم لأهل المدينة المنورة المباركة : مستفيضة ، مشهورة منشورة ،... يعلمها عامة أهلِ المدينة وغيرهم ،

ولن يسعني ذكرها ،... ولا يحتملها هذا الوقتُ القصير (وقت المحاضرة).

هذه هي نظرة المسلمين إلى المدينة المنورة المباركة ، وأهلها ، فما هي مسؤوليةُ ساكن المدينة ؟ سواء كانت تجاه المدينة المنورة نفسها ؟ أو تجاه القادمين إليها ؟ هذا ما سأذكر مختصرَه إن شاء الله تعالى ؛ في الفصل القادم بمبحثيه ، والله تعالى هو الحافظ والمعين .

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد ، وعلى آله وصحبه وأتباعه وسلَّم تسليماً كثيراً ، والحمد لله رب العالمين .

☆☆☆☆☆

الفصل الثاني

مسؤوليّة ساكن المدينة المنوّرة المباركة

وفيه مبحثان

المقدّمة: حال أهل المدينة قبل الإسلام وفي صدره

المبحث الأول: مسؤوليّة ساكن المدينة نحوها ونحو أهلها

المبحث الثاني: مسؤوليّته تجاه القادمين إليها

الفصل الثاني
مسؤولية ساكن المدينة المنورة المباركة

مقدمة : قبل الدخول في بيان مسؤولية ساكن المدينة المنورة ؛... أحب أن أذكر ما كان عليه أهل هذه المدينة قبل الإسلام وفي صدره ، ليكون مدخلاً ؛ إلى بيان عظم المسؤولية ؛ مِن قِبل ساكن هذه المدينة المنورة المباركة :

حال أهل المدينة المنورة قبل الإسلام :

لقد ذكر أهلُ السير والتاريخ : أن الأوس والخزرج قدموا المدينةَ المنورة بعد استيطان قبائل اليهود التي زادت على عشرين قبيلة ، والتي قد اختلفت نياتُها في استيطان المدينة ، فإذا كان قصد فريق منهم دينياً بحتاً ، وهو إدراك النبي المبعوث من قريش من مكة ؛ وهذه البلدة هي مهاجَرُه ليتبعونه ، فإن فريقاً آخر منهم : إنما قدموها هرباً مما حل بهم في بلاد الشام ، كما أن فريقاً آخر لم يكن قصدهم ذلك ، إنما كان قصدُهم الدنيا ، والدنيا فقط .

أما الأوس والخزرج ؛ فقد ساقهم قدرُهم الذي حتَّمه الله تعالى ؛ ليكونوا أنصارَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وأنصارَ دينه ، وإن كانوا قد جاؤوا المدينةَ هرباً من سد مأرب ، الذي بدأ بالانهيار ، بعد أن تفرق أهلُه في البلدان .

وقد ذكر أهلُ السير والمغازي ؛ أن تُبَّعاً الحميريَّ لما كان يقاتل الأوسَ والخزرجَ ومن معهم كان الأنصار يقاتلونه في النهار ، ويَقْرونه بالليل ، يعني : كانوا يقاتلونه في النهار ، فإذا جاء الليل أرسلوا له التمر والماءَ العذب من بئر رومة . فيقول

تُبَّعٌ : والله إن قومنا لكرام[1].

فقال له حَبران من أحبار يهود [وهما عالمان راسخان في العلم] : أيها الملك ، لا تفعل ، فإن أبيت إلا ما تريد ؛ حيل بينك وبينها ، ولم نأمن عليك عاجلَ العقوبة ، فقال لهما : ولم ذلك ؟ فقالا : [إن هذه البلدة محفوظة ـ وفي رواية : كبيرة ـ فإنّا نجد اسمها في الكتاب طَيْبَة] وهي : مهاجَرُ نبيٍّ ؛ يخرج من هذا الحرم من قريش ، في آخر الزمان ، تكون دارَه وقرارَه ، فتناهىٰ عن ذلك ، ورأىٰ أن لهما علماً ، وأعجبه ما سمع منهما ، فانصرف عن المدينة ،...

كانوا يقاتلونه بالنهار ، ويَقْرونه التمر والماء بالليل ، حتى عجب من صنيعهم معه .

وأما قولُ الحبرين عن المدينة : بأنها محفوظة ، وإن اسمها طَيبة ، وهي مهاجَرُ نبيٍّ ؛... فهذا مما استفيض عن أهل الكتاب .

وإذا كان هٰذان يهوديين ، وهما يخبران عن التوراة ، فإن سلمان الفارسي رضي الله عنه ـ يذكر في قصة إسلامه ـ قولَ راهب عمورية له : أي بُني ، والله ما أعلمه بقي اليوم أحدٌ على مثل ما كنا عليه من الناس ؛ آمرك أن تأتيَه ، ولكنه قد أظلك زمانُ نبيٍّ ؛ وهو مبعوث بدين إبراهيم عليه السلام ، يَخرج بأرض العرب [وفي رواية : يُبعث من الحرم] مهاجَره إلى أرض بين حرتين بينهما نخل ، به علامات لا تخفىٰ ؛ يأكل الهدية ، ولا يأكل الصدقة ، وبين كتفيه خاتم النبوة ، فإن استطعتَ أن تلحق بتلك البلاد فافعل ،... الحديث بطوله[2].

---

(١) انظر : السيرة النبوية لابن هشام (١ : ٣٦) بشرح الروض ، والبداية والنهاية (١ : ١٦٤) ووفاء الوفاء (١ : ١٨٢ ، ١٨٧ – ١٨٨).

(٢) انظر : مسند أحمد (٥ : ٤٤١ – ٤٤٤) والسيرة النبوية (١ : ٢٤٧ – ٢٥٢) بشرح الروض ، والطبقات =

هكذا كانت المدينة المنورة وأهلُها قبل الإسلام ،... مع أن الأوسَ والخزرجَ ما كانوا يعلمون شيئاً عن مكانتها ، إلا ما سمعوه من اليهود ، حيث كان اليهود يستفتحون عليهم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وأنهم سيقتلونهم معه قتل عاد وإرم ، فلما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بالحق الذي يعرفونه ، كفروا به قاتلهم الله ، ولعنهم على كفرهم ، وهذا هو دأب اليهود دائماً .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾(1).

كانوا يقولون لهم : إنه سيبعث نبيٌّ في آخر الزمان ؛ نقتلكم معه قتلَ عاد وإرم ، فلما بَعث الله عز وجل رسولَه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم من قريش ـ ولم يكن من بني إسرائيل ، مع أنهم يعلمون أنه منهم ـ كفروا به ، لأنه صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ كما زعموا ـ ليس منهم .

حالهم بعد الإسلام :

إن أول لقاء كان بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم وبين الأوس والخزرج كان في منى ، في قصة بيعة العقبة ،... ولما كان اللقاء الأخير بينهما فيها أيضاً ؛ بايعهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بيعةَ العقبة المعروفة .

= الكبرى (٤ : ٧٥ – ٨٠) ومصنف ابن أبي شيبة (١٤ : ٣٢١ – ٣٢٤ بنحوه) والمعجم الكبير (٦ : ٢٧٢ – ٢٧٧) وتاريخ بغداد (١ : ١٦٤ – ١٦٩) وصحيح ابن حبان (١٦ : ٦٤ – ٦٦) والسيرة له (٢٤١ – ٢٤٨) وطبقات المحدثين بأصبهان (١ : ٢٠٩ – ٢١٧) ودلائل النبوة لأبي نعيم (١ : ٣٣٩ – ٣٤٧) وحلية الأولياء (١ : ١٩٠ – ١٩٣ بنحوه) ودلائل النبوة للبيهقي (٢ : ٩٢ – ٩٧) ومجمع الزوائد (٩ : ٣٣٢ – ٣٣٦).

(١) سورة البقرة (٨٩).

ففي حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ـ عن قصة بيعة العقبة ، وفيه قولهم ـ فقلنا : يا رسول الله ؛ على ما نبايعك ؟ قال : « تبايعوني على السمع والطاعة ، في النشاط والكسل ، وعلى النفقة في العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وعلى أن تقولوا في الله ، لا تأخذكم في الله لومةُ لائم ، وعلى أن تنصروني ؛ إذا قدمت عليكم ، وتمنعوني ما تمنعون منه أنفسكم ، وأزواجكم ، وأبناءكم ،... فلكم الجنة ». رواه أحمد والبيهقي ، وصححه ابن حبان والحاكم ، وحسنه الحافظ[1].

وروىٰ أحمد والطبراني مثلَه ، من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه[2].

وفي حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ...أما الذي أسأل لربي ؛ أن تؤمنوا به ، ولا تشركوا به شيئاً . وأما الذي أسأل لنفسي ؛ أسألكم أن تطيعوني أهدكم سبيلَ الرشاد ، وأسألكم لأصحابي أن تواسونا في ذات أيديكم ، وأن تَمنعونا مما منعتم منه أنفسكم . فإذا فعلتم ذلك ؛ فلكم على الله الجنة وعليَّ ». رواه الطبراني بإسناد حسن وله شاهد عند أحمد برجال الصحيح[3].

وقد وفّى الأنصار رضي الله عنهم بما أخذ عليهم ، بشهادة رسول الله صلى

---

(١) مسند أحمد (٣ : ٣٢٢ – ٣٢٣ ، ٣٣٩ – ٣٤٠) وصحيح ابن حبان (١٤ : ١٧٢ – ١٧٣) (١٥ : ٤٧٤ – ٤٧٦) والمستدرك (٢ : ٦٢٤ – ٦٢٥) والسنن الكبرى (٨ : ١٤٦) (٩ : ٩) ودلائل النبوة (٢ : ٤٤٢ – ٤٤٤ من طرق) وكشف الأستار (٢ : ٣٠٧ – ٣٠٨) ومجمع الزوائد (٦ : ٤٦) وفتح الباري (٧ : ٢٢٢) ومسند أبي يعلى (٣ : ٤٠٥) حيث روىٰ قطعة منه .

(٢) مسند أحمد (٥ : ٣٢٥) وفتح الباري (١ : ٦٦).

(٣) المعجم الكبير (١٧ : ٢٥٦) ومسند أحمد (٤ : ١١٩ – ١٢٠ ، ١٢٠) ومجمع الزوائد (٦ : ٤٧ – ٤٨).

الله عليه وآله وسلَّم .

فعن أنس رضي الله عنه قال : مر أبو بكر والعباس رضي الله عنهما بمجلسٍ من مجالس الأنصار ـ وهم يبكون ـ فقال : ما يبكيكم ؟ قالوا : ذكرنا مجلسَ النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فأخبره بذلك ، قال : فخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وقد عصب على رأسه حاشيةَ بُرْدٍ ، قال : فصعد المنبر ، ولم يصعده بعد ذلك اليوم ، فحمد الله وأثنىٰ عليه ، ثم قال : « أُوصيكم بالأنصار ، فإنهم كَرِشي وعَيْبَتي ، وقد قضوا الذي عليهم ، وبقي الذي لهم ، فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ». متفق عليه[1].

قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « كرِشي وعيبتي » هذا من كلامه صلى الله عليه وآله وسلَّم ؛ الذي لم يُسبق إليه ، والمراد : بطانته وخاصَّته ، وموضع سرِّه وأمانته .

مواساة الأنصار وحسن استقبالهم للمهاجرين رضي الله عنهم :

لقد ظهرت مواساة الأنصار للمهاجرين رضي الله عنهم جميعاً ، ومعاملاتهم الحسنة لهم ؛ مبلغاً لم يُعرف في تاريخ البشرية كلها ، والنماذج في ذلك كثيرة جداً ، أقتصر على ذكر بعضها للدلالة على ما سواها .

لقد تنازلوا عن المال والشجر والبيوت والزوجات ،... [كما سيأتي بيانه] وحفِظوا الجوارَ ، ورعوا الذمام ، وآثروا المهاجرين على النفس والولد ،...إلخ.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قالت الأنصار للنبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل . قال : « لا » ،... الحديث بطوله ، رواه

---

(١) صحيح البخاري : كتاب مناقب الأنصار : باب قول النبي ﷺ : « اقبلوا من محسنهم ، وتجاوزوا عن مسيئهم ». وصحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب من فضائل الأنصار ، رقم (١٧٦).

البخاري[1].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لما قدم المهاجرون من مكة ـ المدينةَ ، قدموا وليس بأيديهم شيء ، وكان الأنصارُ أهلَ الأرض والعقار ، فقاسمهم الأنصارُ : على أن أعطوهم أنصافَ ثمار أموالهم كل عام ، ويكفونهم العمل والمؤونة ،... الحديث بطوله ، متفق عليه[2].

وعنه رضي الله عنه قال : دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم الأنصارَ ؛ لِيُقطِع لهم بالبحرين ، فقالوا : يا رسول الله ؛ إن فعلتَ فاكتب لإخواننا من قريش بمثلها ، فلم يكن عند النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فقال : « إنكم سترون بعدي أَثَرَةً ، فاصبروا حتى تلقوني ». رواه البخاري[3].

ومعلوم غلاء المال على صاحبه ،... خاصة الذي تعب بزراعته ، أو بنائه ، أو إحداثه ،...إلخ.

وأما غلاءُ النفس والزوجة ؛ فهو معلوم ، خاصة إذا كانت الزوجة محبوبة ومكافئة .

ومن هذا الإيثار الذي لم تعرفه البشرية : عرضُ سعد بن الربيع رضي الله عنه على عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه مناصفة ماله وزوجاته .

فعن عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه قال : لما قدمنا المدينةَ ، آخىٰ

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الحرث والمزارعة : باب إذا قال أكفني مؤونة النخيل وغيره .

(٢) صحيح البخاري : كتاب الهبة : باب فضيلة المنيحة . وصحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير : باب رد المهاجرين إلى الأنصار منائحهم ،... رقم (٧٠).

(٣) صحيح البخاري : كتاب المساقاة : باب كتابة القطائع ، وفي غيرهما .

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بيني وبين سعد بن الربيع ، فقال سعد بن الربيع : إني أكثر الأنصار مالاً ، فأَقسِم لك نصف مالي ، وانظر أيَّ زوجتَيَّ هَويتَ نزلتُ لك عنها ، فإذا حلت تزوَّجتَها . قال : فقال عبد الرحمٰن : لا حاجة لي في ذلك ، هل من سوق فيه تجارة ؟... الحديث بطوله . رواه البخاري[1] .

وقد روىٰ البخاري[2] نحوَ ذلك ، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أيضاً .

ونزولُ الإنسان عن زوجته هذا غاية الإيثار ، خاصة وقد عُرف العرب بالغيرة ، ولولا أن الواقع الذي هو فيه أعظمُ عنده من الغيرة لما أ قدم على هذا الإيثار وهو التنازل عن أحب شيء عنده . علماً بأن ذلك كان أول الهجرة ، والله تعالى أعلم .

ومن ذلك : نزول المهاجرين رضي الله عنهم على الأنصار رضي الله عنهم ضيوفاً ، حتى استغنوا ، أو صار لهم بيوت .

ومن ذلك : المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم ، حتى صار المهاجريُّ يرث الأنصاريَّ دون أقاربه وذوي رحِمِه ،... حتى نُسخ ذلك .

ومن ذلك : إرسال الطعام لأهل الصُّفَّة ، ولضيوف النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ،... وتعليق التمر في المسجد .

والصُّفَّةُ : نسبةٌ إلى مكان في الشمال الشرقي من المسجد النبوي الشريف ،

---

(١) صحيح البخاري : كتاب البيوع : باب ما جاء في قول الله عز وجل : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ... ﴾ .

(٢) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين .

ونزلاؤها : هم ضيوف الإسلام ، ممن قدم المدينة مسلماً ، وليس عنده مال ، ولا أقارب ، ولا يَعرف أحداً ينزل عليه ، فيبقى فيها حتى يجد مسكناً يؤويه ، أو عملاً يتقوت منه ،... لذا فإن عدَدَهم غيرُ مستقر ، يزيد وينقص حسب الأحوال والظروف .

ومن ذلك : إضافة الضيوف ، كما مر في حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وفيه قول الأنصاري لزوجته رضي الله عنهما : أكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ،... والنصوص في ذلك كثيرة جداً ، ولله الحمد والشكر .

ومن ذلك : عفافهم ، وطهارة ذيولهم ، وحفظ الأعراض ، حيث شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بذلك ، واستقبالهم للضيوف ، وخاصة إذا كانوا نساء .

فعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ما يضر امرأة نزلت بين بيتين من الأنصار ، أو نزلت بين أبويها ». كما رواه أحمد والبزار برجال الصحيح ، وصححه ابن حبان والحاكم[1].

فهي شهادة يعتز بها كلُّ أنصاري ، حيث العفة والأمانة وحفظ الجوار ، والغَيرة ، والشهامة ، والله تعالى أعلم .

ومن ذلك أيضاً : عفتهم رضي الله عنهم ، وكف أنفسهم عما لا يحل لهم ، وعدم استشراف نفوسهم إلى ما في أيدي الناس ، وكثرة صبرهم وتحملهم .

---

(١) مسند أحمد (٦ : ٢٥٧) وفضائل الصحابة ، رقم (١٤٤٨) وصحيح ابن حبان (١٦ : ٢٥٧) وموارد الظمآن ، رقم (٧٥١) والمستدرك (٤ : ٨٣) وكشف الأستار (٣ : ٣٠٤) وحلية الأولياء (٩ : ٢٢٤) ومجمع الزوائد (١٠ : ٤٠).

ففي حديث أنس عن أبي طلحة رضي الله عنهما ، قال صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ...أقرئ قومَك السلام ، فإنهم ـ ما علمتُ ـ أَعِفَّةٌ صُبر ». رواه أحمد والطيالسي ، والترمذي وحسنه ، وفي بعض النسخ : التصحيح ، وأبو يعلى والطبراني وابن أبي عاصم ، وصححه الحاكم وأقره الذهبي[1].

وفي حديث أنس رضي الله عنه ، قال صلى الله عليه وآله وسلَّم لأُسيد بن حُضَير رضي الله عنه : « وأنتم يا معشر الأنصار ؛ فجزاكم الله أطيبَ الجزاء ـ أو قال : خيراً ـ فإنكم ما علمتُ أَعِفَّةٌ صُبر ». رواه النسائي وأبو يعلى والطبراني وابن أبي عاصم ، وصححه ابن حبان والحاكم ، وأقره الذهبي[2].

ومن ذلك : تنازلهم عن الغنائم يوم الفتح ، ويوم حُنين ، ورضوا بالغنيمة العظمىٰ ، حيث أعطىٰ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم المؤلفةَ قلوبهم ولم يعطهم ، وإنما وكَلَهم إلى إيمانهم ، ورحبوا به صلى الله عليه وآله وسلَّم .

حيث قال لهم صلى الله عليه وآله وسلَّم : « يا معشر الأنصار ؛ أما ترضون أن يرجَع الناس بالشاة والبعير ، وتذهبون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى رحالكم ؟ ». كما في الحديث المتفق عليه[3].

---

(١) مسند أحمد (٣ : ١٥٠) ومسند الطيالسي (٢٧٣ رقم ٢٠٤٩) وسنن الترمذي : كتاب المناقب : باب في فضل الأنصار ، رقم (٣٩٠٣) والمستدرك (٤ : ٧٩) والآحاد والمثاني (٣ : ٣٥٠) ومسند أبي يعلى (٣ : ١٣) (٦ : ١١٧) والمعجم الكبير (٥ : ١٠١) ومجمع الزوائد (١٠ : ٤١) وعزاه للبزار .

(٢) فضائل الصحابة (١٩٢ رقم ٢٤٠) والمستدرك (٤ : ٧٩ – ٨٠) وصحيح ابن حبان (١٦ : ٢٦٥ – ٢٦٦ ، ٢٦٨) والمعجم الكبير (١ : ١٧٨ رقم ٥٦٨) ومجمع الزوائد (١٠ : ٣٣) وكنز العمال (١٢ : ١٩).

(٣) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان . وصحيح مسلم : كتاب الزكاة : باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام ، رقم (١٣٢ – ١٣٥).

فقد تركوا رضي الله عنهم وأرضاهم الدنيا وما فيها ،... ورضوا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم حظّاً وسكناً ومجاوراً ،...

بل بذلوا رضي الله عنهم نفوسَهم رخيصةً في سبيل الله تعالى لإعلاء هذا الدين ، وتحقيق ما يصبو إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، لذا فقد كانوا في جميع المعارك هم سعيرَها ، وأكثرَ استشهاداً من غيرهم ، لأنهم قالوا عن أنفسهم : صُبُرٌ عند الحرب . فصدقوا رضي الله عنهم

ففي حديث العباس رضي الله عنه قال : شهدتُ مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يوم حُنين ،... الحديث وفيه ـ قال : فاقتتلوا والكفار ، والدعوة في الأنصار ، يقولون : يا معشر الأنصار ؛ يا معشر الأنصار ؛ قال : ثم قُصِرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج ، فقالوا : يا بني الحارث بن الخزرج ؛ يا بني الحارث بن الخزرج ؛... الحديث بطوله ، رواه مسلم(1).

وقد ذكرتُ في (فضائل الصحابة الكرام رضي الله عنهم) من صبر مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يوم غزوة حنين ، عندما هجم عليهم المشركون ، وأن الأغلبية كانت من الأنصار ، رضي الله تعالى عن الجميع .

لذا كانوا أكثرَ القبائل شهداء :

فعن قتادة رحمه الله تعالى قال : ما نعلم حيّاً من أحياء العرب أكثرَ شهيداً وأعز يوم القيامة من الأنصار .

قال قتادةُ : وحدثَنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، أنه قُتل منهم يوم أُحُد سبعون ، ويوم بئر معونة سبعون ، ويوم اليمامة سبعون .

---

(1) صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير : باب في غزوة حنين ، رقم (٧٦).

قال : وكان بئرُ معونة على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ويومُ اليمامة على عهد أبي بكر - رضي الله عنه - يوم مسيلمة الكذاب . رواه البخاري[1] ولهذا لما ضاقت عليهم الحال ،... وشق عليهم السقاية ، وتعطلت البساتين ، وأرادوا أن يدعوَ لهم رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ؛ أن يجري لهم نهراً سحّاً ، فحلف لهم صلى الله عليه وآله وسلَّم ؛ ألّا يَسألوا شيئاً إلا أُعطوه ، وألّا يَسأَل الله تعالى لهم شيئاً إلا أَعطاهموه ، اغتنموها فرصة ، ونسوا دنياهم ، وسألوا الآخرة .

فعن أنس رضي الله عنه قال : شق على الأنصار النواضح ، فاجتمعوا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، يسألونه أن يكري لهم نهراً سحّاً ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « مرحباً بالأنصار ، مرحباً بالأنصار ، مرحباً بالأنصار ، والله لا تسألوني اليوم شيئاً إلا أَعْطَيْتُكموه ، ولا أَسأل الله تعالى لكم شيئاً إلا أَعطانيه ».

فقال بعضهم لبعض : اغتنموها ، واطلبوا المغفرة .

فقالوا : يا رسول الله ؛ ادع الله لنا بالمغفرة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « اللهم اغفر للأنصار ،... » الحديث بطوله ، رواه أحمد والبزار برجال الصحيح ، والنسائي ، وصححه الحاكم ، وأقره الذهبي[2].

فانظر ما في هذا الحديث من معجزات وكرامات وخوارق ، ومن دلالات

---

(١) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب من قُتل من المسلمين يوم أحد . وانظر فتح الباري (٧ : ٣٧٥ – ٣٧٦) لبيان هذه الأعداد . وغيرها ممن استشهد .

(٢) مسند أحمد (٣ : ١٣٩ ، ٢١٣ ، ٢١٦ – ٢١٧) وعمل اليوم والليلة (٢٧٨ – ٢٧٩ رقم ٣١٤) وكشف الأستار (٣ : ٣٠٥ – ٣٠٦) والمستدرك (٤ : ٨٠) والآحاد والمثاني (٣ : ٣٦٠) ومجمع الزوائد (١٠ : ٤٠) وقد ورد عند الطبراني في معاجمه الثلاثة الاقتصار على الدعاء فقط .

عظيمات ،... أكرم الله تعالى بها نبيَّه وحبيبَه وصفيَّه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم . بالإضافة إلى نظرة الأنصار رضي الله عنهم إلى الحياة الدنيا ، ونظرتهم إلى الآخرة .

وأما الدعاء لهم بالمغفرة ؛ فهو ثابت في الصحيحين وغيرهما ؛ من حديث أنس بن مالك وزيد بن أرقم وغيرهم رضي الله عنهم .

إلى غير ذلك مما قاموا به رضي الله عنهم .

لذا أحبهم رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ،... وأشهد الله سبحانه وتعالى على محبتهم ، وصاروا أهلَ سرِّه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وأمانته ، وبطانته ، وخاصَّته ، ومواليه ، وأنهم ليس لهم مولىٰ إلا الله عز وجل ورسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ،... ولولا الهجرة لتمنى أن يكون صلى الله عليه وآله وسلَّم واحداً منهم ، ولو سلك الناس وادياً أو شِعباً ؛ لسلك واديَهم وشِعبَهم ، وجعل صلى الله عليه وآله وسلَّم المحيا محياهم ، والممات مماتهم ،... وقد أكثر صلى الله عليه وآله وسلَّم من الدعاء لهم ولأولادهم وأزواجهم وذرياتهم ،.. بل حتى لمواليهم ، والوصاية بهم ، وعلى من يلي الأمرَ بعده أن يُحسن إلى محسنهم ، ويتجاوز عن مسيئهم ،... وفي الختام فقد جعل صلى الله عليه وآله وسلَّم علامةَ الإيمان حبَّهم ، وعلامةَ النفاق بغضَهم ، وأن من أخافهم فقد أخافه صلى الله عليه وآله وسلَّم ،...إلخ[1].

---

(١) انظر ما كتبته عن مناقب الأنصار رضي الله عنهم : (فضائل الصحابة الكرام رضي الله عنهم)، حيث توسعت في بيان فضائلهم في القرآن الكريم ، وفي السنة النبوية الشريفة ، وذكرت مختصراً لمناقبهم في مقدمة فضائل المدينة المنورة ، رضي الله عنهم وأرضاهم وعن سائر أصحاب رسول الله ﷺ ، وحشرنا معهم ، وأنزلنا منازلهم .

فكيف يكون أحفادهم ومجاوروهم ، ومن سكن مساكنهم مِمن جاء بعدهم ؟

هذا ما سأذكر مختصراً له في الفصل القادم إن شاء الله تعالى .

وقد جعلت هذا الفصل في مبحثين :

المبحث الأول : مسؤولية ساكن المدينة نحوها ونحو أهلها .

المبحث الثاني : مسؤولية ساكن المدينة نحو القادمين إليها .

أسأل الله تعالى أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يجعله ذخيرة نافعة يوم الدين ، ويَحفظه وسائر كتبي من كل مكروه ، وينفع به من قرأه وأصغىٰ إليه ، كما نفع به من سمعه ، إنه نعم المولىٰ ونعم النصير .

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين ، وسلَّم تسليماً كثيراً .

والحمد لله رب العالمين .

☆☆☆☆☆

المبحث الأول
مسؤوليّة ساكن المدينة نحوها ونحو أهلها

ـ الغرم بالغنم :

كلما عظمت منزلةُ الإنسان : زادت مسؤوليتُه ، وكلما ارتفعت مكانتُه كثرت واجباتُه ، وكلما علا شأنُه دُقِّق عليه في أخطائه ، وكلما عظم قدرُه ضُخِّمت سيئاتُه ، وكلما ارتفع كعبُه شُدِّد في حسابه ،...

ولما كان أمهاتُ المؤمنين رضي الله عنهن : أقربَ الناس من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وألصقَ الخلق به ،... ونِلن من الشرف والمكانة والمنزلة ما لم تنله امرأة ، حيث إنهن يَعشن معه في بيته ويعاشرنه ، ويرينه ،... صلى الله عليه وآله وسلَّم ،... فهن إذن لسن كغيرهن ، فإذا أعطاهن الله تعالى الثوابَ المضاعف ؛... فإنه جل شأنه يضاعف لهن العذاب أيضاً ، لو حصل منهن ما يقتضي العقوبة ـ لا سمح الله ـ لأنهن لسن كأحد من النساء .

قال الله سبحانه وتعالى موضحاً ذلك : ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾(١).

فالمفروض فيهن رضي الله تعالى عنهن : أن يكن قانتات عابدات تقيات

---

(١) سورة الأحزاب (٣٠ ـ ٣٢).

صالحات ،... في طول حياتهن ، ولا يأتين بأي معصيةٍ مهما كانت ، لأنهن لسن كأحد من النساء ؛ لشدة قربهن ، وعلو منزلتهن ، ورفعة مكانتهن ،... رضي الله عنهن .

ولذا صار لمن يجالس السلاطين والكبار أنظمةٌ معينةٌ حتى لا يخرج عن الأدب المتعارف عليه ، ومن جهل ذلك عرَّفه المختصون .

بل إن هؤلاء العظماء : الذين ارتفعت مكانتُهم ومنزلتُهم ،... إذا أخطؤوا فإن خطأهم : قد يشمل معرتُه غيرَهم ممن بعدهم ، خاصة إذا كانوا بحضرة من هم محسوبون عليه ،... ومن نالوا المنزلةَ والمكانةَ بسببه ، وفي المكان المعظَّم .

وهذا ما حصل مع الصحابة الكرام رضي الله عنهم ؛ حيث أخفى الله عز وجل معرفةَ ليلة القدر بسبب ملاحاة صحابيين كريمين رضي الله عنهما في المسجد النبوي الشريف ، فكان عظم الخطأ ؛ للمكان والزمان ، وعند من نالوا المنزلة بسببه ، وهو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم . فاجتمع الزمان والمكان والأشخاص .

فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « خرجتُ لأخبركم بليلة القَدْر ، فتلاحى فلانٌ وفلانٌ ؛ فرُفعتْ ، وعسى أن يكون خيراً لكم ،... ». الحديث بطوله رواه البخاري[1].

وروىٰ مسلم[2] نحوَه من أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

فأي شيء أشد بالنسبة للمسلمين من رفع معرفة ليلة القدر : لملاحاة هذين

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الإيمان : باب خوف المؤمن أن يحبط عمله وهو لا يشعر ، وكتاب فضل ليلة القدر : باب رفع ليلة القدر لتلاحي الناس ، وكتاب الأدب : باب ما ينهىٰ من السباب واللعن .

(٢) صحيح مسلم : كتاب الصيام : باب فضيلة ليلة القدر والحث على طلبها ، رقم (٢١٧).

الصحابيين الجليلين رضي الله عنهما ؟؟؟.

لذا كانت المسؤولية كبيرةً على أهل المدينة ، لاعتبارات كثيرة ، حيث اجتمع عندهم : الزمان والمكان والأشخاص ، وأرجو أن يكونوا أهلاً لمراعاة ذلك كله .

أنواع المسؤولية :

والمسؤولية نوعان : مسؤولية شرعية ، ومسؤولية رسمية أو دنيوية .

أما **المسؤولية الدنيوية** : فلست بصدد الحديث عنها ، فهي تقابل ما يأخذه الإنسان من أجر (راتب) لأن من أخذ الأجر حاسبه الله سبحانه وتعالى على العمل ، على وفق ذلك الأجر الذي يأخذه ، وهو مسؤول أمام من عيَّنه في ذلك العمل ، ويجب أن يؤدي عمله بطيب قلب ، وصفاء نفس ، وإخلاص نية ، وجد واجتهاد ،... مقابل الأجر الذي أخذه .

وهذه المسؤولية : قد يؤجر عليها الإنسان ؛ إذا أخلص لله تعالى ، وقصد بعمله مرضاةَ الله تعالى شأنه ، وليس في عمله معصية أو مخالفة ، وقَصَد إعفافَ نفسه ، وكفَّها عن المسألة ، أو إعالة والديه أو أحدهما ، أو إعانة أطفاله وزوجه ،...

خاصة إذا علمنا : أن حياة الإنسان يجب أن تكون كلها عبادة ، لأن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان كذلك ، كما قال جلت قدرته : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[1] ومفهوم العبادة في الإسلام شاملٌ لكل جزئيات الحياة ومناحيها ، وليس هو في جزئية ولو كانت مهمة ،... فليست هي الصلاة والصيام والزكاة والحج والذكر وقراءة القرآن الكريم ،... فحسب ، كما يتصوره كثير من الناس .

---

(١) سورة الذاريات (٥٦).

وأما **المسؤولية الشرعية** ؛ فهي المقصودة في الحديث هنا ، ولهذه المسؤولية مظاهر متعددة ، وأشكال مختلفة ،... وهي كثيرة جداً ، لكني سأذكر بعضها على حسب ما يسعنا الوقت .

وهذه المسؤولية قسمان ؛ الأول : مسؤولية تجاه المدينة وسكانها .

والثاني : مسؤولية تجاه القادمين إليها .

وهذا ما سأتحدث عنه في المبحثين القادمين ، إن شاء الله تعالى .

أما المسؤولية تجاه المدينة وسكانها ؛ فلها مظاهر كثيرة كما قلت ، أذكر بعضها للتدليل على الباقي ، والله تعالى هو المعين والحافظ .

ـ **حمد الله عز وجل وشكره** ، على ما أكرم ساكن المدينة المنورة المباركة ، حيث خصه الله تعالى من دون ملايين المسلمين بهذا الجوار ، والتنعم بهذه الميزات ، والإكرام بهذه الفضائل والمكرمات .

وهذا الشكر يستدعي القيامَ بطاعة الله تعالى ، والقيام بحق العبودية له ، والقيامَ بالأوامر وأداء الطاعات والعبادات ،... والابتعاد عن كل ما يسخط الله عز وجل ، وتقديم محامد الله تعالى ، والإكثار من ذكره عز وجل وشكره وحمده .

وذلك لأن بالشكر ـ لا يُحافظ الإنسان على النعم التي أكرمه الله تعالى بها فحسب ، بل ـ تزيد ، لأن الله عز وجل يقول : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[1] .

ومردودُ الشكر يعود على الإنسان الشاكر نفسه ، كما أخبرنا الله عز وجل بقوله : ﴿ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ﴾[2] .

---

(١) سورة إبراهيم (٧).

(٢) سورة لقمان (١٢).

والشكر عملٌ ، والحمدُ قولٌ ، كما قال الله تعالى : ﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ ﴾[1].
فهو استعمال نعم الله تعالى فيما وُضعت له ، والله تعالى أعلم .

ـ القيام بمحبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وطاعته ، واتباعه ، والتخلق بأخلاقه ، وصفاته ، وشمائله ، وأحواله ،... والاهتداء بهديه ، وكثرة الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وآله وسلَّم .

وكلُّ ذلك يستلزم قراءةَ سيرته وشمائله وأخلاقه ، ومعرفة أحواله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، حتى يتحقق الإنسانُ الساكنُ بها ، بحيث يكون صورةً مصغرةً عنه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، في الاتباع ،... والطاعة ، والتحقق في الأخلاق ، والأحوال ،... والله تعالى أعلم .

وإذا كان هذا مطلوباً من كل مسلم أين ما كان ؛ فهو من ساكن المدينة المنورة أشد ، والله تعالى أعلم .

ـ الشعور دائماً بالعجز عن القيام بواجب الشكر لله تعالى ؛ والقيام بالواجب المطلوب ، لأن المنَّةَ دائماً هي لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ومهما فعل الإنسان فلله تعالى المنة ، لأنه خالق فعله ، وهذا هو حال الأنصار رضي الله عنهم .

فعن عبد الله بن زيد رضي الله عنه ـ في قصة غنائم حُنين ـ قال صلى الله عليه وآله وسلَّم : « يا معشر الأنصار ؛ ألم أجدكم ضُلّالاً فهداكم الله بي ؟ وكنتم متفرقين فألَّفكم الله بي ؟ وعالةً فأغناكم الله بي ؟ ». كلما قال شيئاً . قالوا : الله ورسوله أَمَنّ ،... الحديث ، متفق عليه[2].

---

(١) سورة سبأ (١٣).

(٢) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان . وصحيح مسلم : كتاب الزكاة : باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام ، رقم (١٣٩).

وعن معاوية رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم خرج على حلقة من أصحابه ـ رضي الله عنهم ـ فقال : « ما أجلسكم ؟ » قالوا : جلسنا نذكر الله ، ونحمده على ما هدانا لدينه ، ومَنَّ علينا بك ،... الحديث بطوله ، وهذا لفظ أحمد والطيالسي والنسائي والطبراني[1]، وأما لفظ مسلم (جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ، ومَنَّ به علينا).

ـ الحرص دائماً من الساكن على **أن يكون داخلاً في دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم** ،... فيمن استجاب له صلى الله عليه وآله وسلَّم ، في إقباله على هذه المدينة المباركة « اللهم أقبل بقلوبهم »[2] وفيمن أحبَّ هذه المدينة المنورة « اللهم حبِّب إلينا المدينة ،... »[3] فيحبها أكثر من أي بلد آخر ، مهما كان انتماؤه إليه .

ـ أن يشعر دائماً أن وجودَه في هذه المدينة المنورة المباركة هو امتحان وابتلاء من الله جلت قدرته : فهل يشكر هذه النعمةَ فيزيده الله تعالى نعماً ، أم يكفر بهذه النعمةِ ؛ التي خصه الله تعالى بها بدون اختياره ، فيعاقبه الله سبحانه وتعالى ؟

لأن الإنسان في ابتلاء مستمر بالخير والشر ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾[4] فهو : إما شاكر لهذه النعمة أو كافر بها ، كما

---

(١) مسند أحمد (٤ : ٩٢) وسنن النسائي : كتاب أدب القاضي : باب كيف يستحلف الحاكم (٨ : ٢٤٩) ومنحة المعبود (١ : ٢٤٩) نقله البنا رحمه الله تعالى من مسند أحمد لسقوط مسند معاوية من المخطوط ، والمعجم الكبير (١٩ : ٣١١).

وانظر : عظيم قدره ﷺ ، رقم (٩).

(٢) كما في حديثي جابر وزيد رضي الله عنهما ، وقد مرا .

(٣) كما في حديث السيدة عائشة رضي الله عنها ، المتفق عليه ، وقد مرّ أيضاً .

(٤) سورة الأنبياء (٣٥).

قال الله جل شأنه ـ على لسان سليمان عليه السلام ـ : ﴿ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾[1].

ولكلٍّ من الشكر والكفر ـ لنعمة وجوده في هذه البلدة المباركة ـ مظاهر .

لذا على العاقل أن يكون شاكراً لنعمة الله تعالى ، قائماً بحق هذه المدينة وأهلها ، معترفاً بفضل الله تعالى عليه ،... ولا يكون كافراً لهذه النعمة ، جاحداً لفضله جل وعز عليه ، مقصراً بحق هذه المدينة وأهلها عليه ، أو مفرطاً في ذلك ،...

ـ الدعاء لمن كان السبب في مجيئه إلى هذه المدينة المنورة المباركة ؛ من الآباء أو الأجداد أو غيرهم ، ولو كانوا بعيدين ، حيث نال هذه المنزلةَ الرفيعةَ ، والمكانةَ الساميةَ ، والثواب الكبير المضاعف والصيانة والديانة ،... في حال وجوده في هذه المدينة المباركة ،... وكيف لا ، وقد أمرنا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بالدعاء لمن أسدىٰ إلينا معروفاً .

فعن عبد الله بن عُمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ...ومن صنع إليكم معروفاً ؛ فكافئوه ، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا الله له ، حتى تروا أن قد كافأتموه ». رواه أحمد والطيالسي وعبد بن حُميد والبخاري في الأدب المفرد وأبو داود والنسائي والبيهقي ، وصححه ابن حبان والحاكم والنووي[2].

---

(١) سورة النمل (٤٠).

(٢) مسند أحمد (٢ : ٦٨ ، ٩٥ – ٩٦ ، ٩٩ ، ١٢٧) ومسند الطيالسي (٢٥٧ رقم ١٨٩٥) والأدب المفرد =

ـ **الحرص على التمثل بحال الصحابة رضي الله عنهم** ، خاصة الأنصار رضي الله عنهم ، من الإيمان والعبادة والطاعة والإخلاص والأخلاق والأحوال ،... حتى يعطي صورةً صادقةً عمن حل في ديارهم وبيوتهم . فيبقى الصلاح والإصلاح قائماً موجوداً في هذه المدينة المنورة المباركة .

إضافة إلى حرصه الشديد على أن يكون معهم في الآخرة ، ولن يكون معهم حتى يحبهم ، ويعمل على التحقق بصفاتهم وأحوالهم ،... فيتحقق فيه قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « المرء مع من أحب » كما في حديثي عبد الله بن مسعود وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما ، المتفق عليهما[1] .

كما على الساكن أن يسعىٰ جاهداً من نفسه ألا يخالف أحوالهم ، وأخلاقهم وصفاتهم ؛... حتى يصل إلى حد الخبث ، والعياذ بالله تعالى .

ـ **على الساكن أن يحمل نفسَه على محبة المدينة وما فيها** ، لأن هذا هو شأن المحب ، يحب كلَّ شيء فيها ، ولا يقدِّم غيرَها عليها مهما كانت ، كيف وقد ظهرت محبةُ النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم لهذه المدينة المنورة المباركة في مظاهر مختلفة متعددة ، فمَن كان مُتَّبِعاً له صلى الله عليه وآله وسلَّم :

= (٨٧ رقم ٢١٦) وسنن أبي داود : كتاب الزكاة : باب عطية من سأل بالله ، وكتاب الأدب : باب في الرجل يستعيذ من الرجل ، رقم (١٦٧٢ ، ٥١٠٩) وسنن النسائي : كتاب الزكاة : باب من سأل بالله عز وجل (٥ : ٨٢) وفي السنن الكبرى (٢ : ٤٣ رقم ٢٣٤٨) ومسند عبد ابن حُميد (٢٥٦ - ٢٥٧ رقم ٨٠٦) والمستدرك (١ : ٤١٢) (٢ : ٦٣ - ٦٤) وصحيح ابن حبان (٨ : ١٩٩) والسنن الكبرى للبيهقي (٤ : ١٩٩) والآداب له (١٦١ - ١٦٢ رقم ٢٥٦) ومسند الشهاب (١ : ٢٦٠ - ٢٦١) وحلية الأولياء (٩ : ٥٦) وتاريخ جرجان (١٨٠ رقم ٢٣٥) والأذكار (٥١٧ رقم ٩٧١).

(١) صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب علامة الحب في الله . وصحيح مسلم : كتاب البر والصلة : باب المرء مع من أحب ، رقم (٢٦٤٠ - ٢٦٤١).

لزمه محبتُها ، وتقديمُها على غيرها ، ولا يقدِّم غيرَها عليها ، لأن من شأن المحب أن يحبَّ ما يُحبُّه حبيبه ، ويكره ما يكرهه حبيبه ، والله تعالى أعلم .

كما يلزمه ألّا يخرج منها رغبةً عنها ، ورغبةً في غيرها ، حتى لا يشمله الوعيدُ الشديد ، عند تقديمه غيرها عليها في السكنىٰ والعيش ، وقد مر قولُه صلوات الله عليه وآله وسلَّم ـ في الحديث المتفق عليه ـ : « والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ». فهي مقدمة على كل المدن .

ـ **الحرص على تعظيم حرمة الحرم** ، ولا أعني به المسجدَ النبوي الشريف ، بل هو حرم المدينة ، وتعظيمه عام بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى ، سواء كان في المعتقد أو الفعل أو القول ، لأن تعظيمه نابعٌ من القلب ، وهو تعظيمٌ لمحرِّم هذه البقعة المباركة ، ولساكنها صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ولهذا التعظيم مظاهر متعددة متنوعة ، ومن ذلك : احترام الحرم ، وعدم الصيد ، وعدم التعرض له ، وعدم قطعِ الشجر ، والكلأ ، والتقاطِ اللقطة ،... وعدم الاعتداء على الناس ، وعدم المشاجرة فيه ،...إلخ.

لذا فلا يجوز إخراجُ ترابها ، وحجارتها ، وكل ثابت منها ،... إلى خارج الحرم ، لأنه إذا حصل تهاون في حُرْمَة الحرم : فإن ذلك يؤدي إلى الضعف في الطاعة ، وعدم الامتثال ،...إلخ، والله تعالى أعلم .

ـ **الحرص على بقاء لاعج الشوق متقداً فيه** ، وحرقة القلب وجذوته مشتعلة ،... وأن يتفقد الإنسان نفسَه بين كل حين وآخر ، ويحاسبها ،... فإن ضعف : شحنه وعمل على إيقاده ،... لأن به تقع حرمة الحرم ، واستمرار القيام بأداء الأعمال ، والدأب على العبادة ، والطاعة ،... خاصة وهذه المدينة المباركة مكانُ عبادة ، وتفرُّغ لله عز وجل ، وإقبال عليه ، قبل أن تكون موضع تجارة ودنيا .

ولهذا كان الصحابة الكرام رضي الله عنهم يتفقدون أنفسهم ، وإيمانهم ، وكان السلف الصالح رحمهم الله تعالى يحاسبون أنفسهم ، واشتهر (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا) كما قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه[1].

ـ **الحرص على أن يكون الساكنُ على قدر المسؤولية التي نيطت به** ، حيث إنه اختير ليكون من ساكني هذه البلدة المنورة المباركة ،... وهذه نعمة تحتاج إلى الشعور بها دائماً ، والقيام بواجبها تجاه المولىٰ عز وجل الذي اختاره ليكون من سكانها ، والشكر له عز وجل على هذه المنحة التي أكرمه وخصه بها ، واتجاه من صار بجواره صلى الله عليه وآله وسلَّم ، والحرم الذي حلَّ فيه .

وعلى الساكن : أن يتذكر دائماً أشواقَ المسلمين وتحرقَهم ؛ تجاه رؤية هذه البلدة وأختِها المباركَتَيْن ، إذ ملايين المسلمين يود أحدهم لو رأىٰ هذه البقاع ـ ولو لحظة ـ يكتحل فيها طرفُه ؛ برؤية هذه المآثر والمعالم ، وقد يموت ولا يراها ولا يسعد بها ، بينما كثير من الساكنين يتنعم ويرتع بها ، غير مكترث ولا آبه ، ولا مقدِّر لها ، ولا شاكر لمن أنعم عليه بها . فما فيه الساكن يَحتاج إلى شكر دائم ،... واعتراف بالعجز ، والقيام بما يلزمه من واجبات وحقوق ،... وتخوف على زوال النعمة التي أكرمه الله سبحانه وتعالى بها .

ـ **الحرص الدائم من الساكن على أن يكون : دائمَ الطاعة لله تعالى ولرسوله** صلى الله عليه وآله وسلَّم ، والعمل جاهداً على عدم ارتكاب الخطايا والآثام والمعاصي والذنوب ـ صغيرها وكبيرها ـ لأن ذلك يورث مقتَ الله تعالى ، لشرف

---

(١) الزهد لعبد الله بن المبارك (١٠٣) والزهد لأحمد بن حنبل (١٢٠) ومحاسبة النفس لابن أبي الدنيا رقم (٢) وحلية الأولياء (١ : ٥٢) وكنز العمال (١٦ : ١٩٥).

الموضع والمكان ، إذ رُبَّ معصية تورث طردَ العاصي من الحرم ، بل قد تكون سبباً في غضب الله عز وجل . لأن الله جل شأنه يغار على انتهاك حرماته ، وهل أعظم من الحرمين ؟ ولا أدل على ذلك من عقوبة الأمة بإخفاء معرفة ليلة القدر بسبب تلاحي اثنين ـ كما مر ـ ولا أدل على ذلك من كتابة الإرادة ممن يريد أهلَ هاتين المدينتين بسوء ـ كما مر أيضاً ـ مع أن الهمَّ معفوٌّ عنه في غيرهما ، والله تعالى أعلم .

وإذا كان الله تعالى قد حرَّم (الرَّفثَ والفسوقَ والجدالَ في الحج) حرمةً للعبادة وللإحرام ، فلا أدلَّ على تحريم ارتكاب الخطايا والآثام حرمةً للحرم ، لأنه يحرم فيه كلُّ باطل ، خاصة إذا علمنا أن من ترك الجدالَ وهو مُحِقٌّ فهو مأجور ، فكيف إذا كان بالباطل ؟؟؟.

ـ **الحرص على عدم الوقوع في المخالفات في المعاملات كلها** ؛ سواء كانت مالية أو غيرها ،... لأن المعاصي تكون في المعاملات كما تكون في الأعمال ، فكل ما هو حرام أو منهي عنه خارج هذه المدينة المنورة المباركة ؛ فهو فيها أشدُّ حُرمةً ، لشرف المكان وحرمته .

فلا تطفيف في كيل ، ولا غش في بيع ، ولا غُبن في ربح ، ولا غلاء في سعر ، ولا رشوة في معاملة ،... ولا خديعة في عمل ، ولا تنقيص في ميزان ، ولا خيانة في عقد ، ولا إجحاف في تصرف ، ولا ربا في مال ، ولا احتكار في رزق ،...إلخ. فكل ذلك حرام في بلاد المسلمين ، لكنه في المدينة المنورة أشدُّ حرمةً ، لحرمة المكان وشرفه ، ويدخل في ذلك : التاجر ، والمزارع ، والصانع ، والعامل ، والموظف ، والأجير ،... لأن ذلك كله من واجب النصيحة للمسلمين ، ﴿ يَـٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ

﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾[1].

ـ الحرص على التخلق بالأخلاق الفاضلة ؛... من التواضع ، والمواساة ، وحسن المعاملة ، فلا حسد ، ولا بغضاء ، ولا تنقيص ، ولا استشراف ، وعليه أن ينظرَ في أمور دنياه إلى من هو دونه ، وفي أمور دينه إلى من هو فوقه ، وهذا ما وصف الله سبحانه وتعالى أهل المدينة من الأنصار ؛ بأنهم لا حسد ، ولا استشراف نفس ، ولا نفاسة على ما خَصَّ به غيرهم ، فقال الله تعالى عنهم : ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟﴾[2].

فهم لا يجدون في أنفسهم أي حرج أو نفاسة ولا حسد ؛ على ما أكرم الله تعالى به المهاجرين رضي الله عنهم . ويوضح حالهم رضي الله عنهم :

عن أنس رضي الله عنه قال : قالت المهاجرون : يا رسول الله ؛ ما رأينا من قوم قَدِمنا عليهم أحسن بذلاً من كثير ، ولا أحسن مواساةً في قليل ؛ كفونا الـمُؤنةَ ، وأشركونا في الـمَهْنَأ ، قد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله .

فقال صلى الله عليه وآله وسلَّم : « لا ، ما أثنيتم عليهم ، ودعوتم الله لهم ». رواه أحمد وابن أبي شيبة ، والبخاري في الأدب المفرد ، وأبو داود ، والنسائي في عمل اليوم والليلة ، وأبو يعلى ، وصححه الترمذي والحاكم ، وأقره الذهبي[3].

---

(١) سورة القصص (٢٦).

(٢) سورة الحشر (٩).

(٣) مسند أحمد (٣ : ٢٠٠ – ٢٠١ ، ٢٠٤) ومصنف ابن أبي شيبة (٩ : ٦٨) والأدب المفرد (٨٧ رقم ٢١٧) وسنن أبي داود : كتاب الأدب : باب في شكر المعروف ، رقم (٤٨١٢) وسنن الترمذي : كتاب القيامة : باب (٤٤) رقم (٢٤٨٧) وعمل اليوم والليلة (٢٢٢ رقم ١٨١) والسنن الكبرى (٦ : ٥٣) ومسند أبي يعلى (٦ : ٤١٠) والمستدرك (٢ : ٦٣) والسنن الكبرى للبيهقي (٦ : ١٨٣).

ـ **الحرص على أن يكون ساكن هذه المدينة : صافي الإيمان ، سليم المعتقد** ، كامل الاتباع ، تامّ الطاعة ، حسن الأخلاق ، فلا يبتدع فيها بدعةً ، ولا يُحْدِث فيها حدثاً ، ولا يُشجِّع فيها مُحْدِثاً ، ولا يُؤويه ، ولا يَحميه ، ولا يُجاريه ، لأن من أحدث فيها حدثاً ، أو آوىٰ مُحْدِثاً ؛ فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يَقبل الله تعالى منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً ، كما مرَّ في حديث سيدنا عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، المتفق عليه .

وذلك لأن هذه المدينة المباركة هي : مأرز الإيمان وملجؤه ، فلْتَبْق كذلك مستودعاً له ومأوىٰ ، ولا تفسد من داخلها ، ولا تُهدَّد من أساسها ، لأنها إذا فسدت ـ لا سمح الله ولا قدر ـ فسد العالم كله لأنها عاصمة الإسلام ، وقلبه النابض ،... والله تعالى أعلم .

ـ **الحرص من ساكنها على اغتنام فرصة وجوده فيها** ؛ سواء كان الساكن قاطناً أو مجاوراً أو مقيماً ، لأن الحكمَ واحد في اغتنام فرصة وجوده ، لذا عليه أن يغتنم الوقتَ بالطاعة والعبادة ، لأنه قد يضطر للخروج أو الانتقال منها أو ،...

كما عليه أن يغتنم صحتَه بطلب العلم والعبادة ، وفراغَه وشبابه ، لأنه لا يدري ما يحدث له في كبره ، وسقمه ، طالما أن الإنسان معرض لذلك ، كما عليه أن يغتنم غناه في الإنفاق والعمل الصالح ، لأنه لا يضمن بقاء المال عنده ،... وفي الأخير عليه أن يغتنم حياته قبل موته ، لأن العمر لا يُعوض ، والحياة لا تعود ، والندامة لا تنفع .

وقد حثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم على اغتنام ذلك :

فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ لرجل وهو يعظه ـ : « اغتنم خمساً قبل خمس ؛ شبابَك قبل هرمك ،

وصحتَك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغَك قبل شغلك ، وحياتَك قبل موتك ». رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي ، وصححه الحاكم وأقره الذهبي ، وحسنه الحافظان العراقي والسيوطي[1].

ـ **الحرص على ألا يكون الساكنُ سبباً في تجرئة الناس على إهانة حُرمة هذا الحرم** ، فلا يبدأ هو بانتهاك حُرمة الحَرم ، ذلك لأن الساكن إذا ارتكب فاحشة أو محظوراً ، وهانت عليه نفسه ، فرآه غيرُه ، فإن ذلك يجرئه على ما هو أكبر ، والمفروض في الساكن : أن يكون معظِّماً حرمةَ الحرم ، مدافعاً عنه ، وينقل ذلك إلى أولاده وغيرِهم ، حتى تبقىٰ هذه الحُرمةُ قائمةً موجودةً .

وقد حذَّرنا النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم من فعل ذلك ، لأن الحرم لن تُنتهك حرماتُه إلا مِن قِبل أهله ، فإذا هان انتهاكه مِن قِبل أهله هان على الناس ، وتطاولت أعناقهم ، ومثل ذلك في مكة المكرمة :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ...ولن يستحل البيتَ إلا أهلُه ، فإذا استحلوه فلا يُسأل عن هلكة العرب ، ثم تأتي الحبشةُ فيُخَرِّبونه ،... » الحديث ، رواه أحمد والطيالسي وابن أبي شيبة وابن الجعد ، وصححه ابن حبان والحاكم ، وعزاه البوصيري لأبي يعلى ، ورجالهم جميعاً ثقات[2].

---

(١) قصر الأمل (٨٩ رقم ١١١) والمستدرك (٤ : ٣٠٦) وشعب الإيمان (٧ : ٢٦) والمغني عن حمل الأسفار (٤ : ٤٥٩) والترغيب والترهيب (٦ : ٧٠) والجامع الصغير (١ : ١٨٣).

(٢) مسند أحمد (٢ : ٢٩١ ، ٣١٢ ، ٣٢٨ ، ٣٥١) ومسند الطيالسي رقم (٢٣٧٣) ومصنف ابن أبي شيبة (١٥ : ٥٢ – ٥٣) ومسند علي بن الجعد (٢ : ١٠٠٥) وصحيح ابن حبان (١٥ : ٢٣٩) والمستدرك (٤ : ٤٥٢ – ٤٥٣) ومجمع الزوائد (٣ : ٢٩٨) وإتحاف الخيرة المهرة (٤ : ٦) (١٠ : ٢٥٠) وانظر تعليقي على هذا الحديث (مكانة الحرمين الشريفين).

لذا فإني أُعيذ ساكنَ المدينة المنورة ـ على أي حال منه ـ أن يكون أولَ من يستحل حرمتها ، حتى لا تهون في أعين الآخرين ، ويكون عليه كفلٌ من كل ما يقع ، والله المستعان .

ـ أن يكون ساكن هذه المدينة المباركة المنورة قدوةً لغيره من المسلمين ؛ في دينه وعبادته وخُلقه ، ومعاملاته ، وأحواله ، وآدابه ، وسائر تصرفاته ،...إلخ.

وكيف لا يكون كذلك ؛ وهو يجاور صاحب الشريعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ويشاهد ليلَ نهار المآثر والدلائل على قيام دولة الإسلام الأولىٰ ، وأينما سار يشاهد ما يذكِّره بدين الله تعالى ، ورسولِه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وصحابته الكرام رضي الله عنهم ، وكل ذلك له تأثير كبير على نفس المسلم وقلبه ، ولا يجعل ذلك سبباً في انطفاء شعلة الاتباع والمحبة في قلبه ، لأن المرء على دين خليله كما ورد ، ولا أجَلَّ عند ساكن المدينة المنورة من الخليل الأعظم صلى الله عليه وآله وسلَّم .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « المرء على دين خليله ، فلينظر أحدُكم من يخالل ». رواه أحمد وإسحٰق والطيالسي وأبو داود ، والترمذي وحسنه ، وعبد بن حُميد ، والحاكم وصححه وأقره الذهبي ، وغيرهم(1).

---

(1) مسند أحمد (٢ : ٣٠٣ ، ٣٣٤) ومسند إسحٰق (١ : ٣٥٢ رقم ٣٥١) ومسند الطيالسي (٣٣٥ رقم ٢٥٧٣) ومسند عبد بن حُميد (٤١٨ رقم ١٤٣١) وسنن أبي داود : كتاب الأدب : باب من يؤمر أن يجالس ، رقم (٤٨٣٣) وسنن الترمذي : كتاب الزهد : باب (٤٥) رقم (٢٣٧٨) والمستدرك (٤ : ١٧١) وشرح السنة (١٣ : ٧٠) وحلية الأولياء (٣ : ١٦٥) وتاريخ بغداد (٤ : ١١٥).

ـ الحرص من الساكن أن يكون مثالاً للمسلم الحقيقي في إيمانه وتقواه ، وصلاحه وعبادته ، فهو المؤمن التقي ، والمسلم النقي ، الصالح القانت ، الملتزم بالعبادة ، والمعاملة الصادقة ، الصالحة ظاهراً وباطناً ،...

لأن هذه هي سِمَةُ أهل المدينة المنورة ، حيث أثنىٰ عليهم الله سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾[1].

فمن كان حاضرَ الإيمان ، مستحضرَه ؛ لا يقع في معصية أو مخالفة ولو كانت صغيرة ، إلا إذا غفل عن إيمانه ،... كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾[2].

وقد بيَّن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ذلك بقوله ـ كما ورد عن عدد من الصحابة الكرام رضي الله عنهم ـ « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمرَ حين يشربها وهو مؤمن ». متفق عليه[3]، والله تعالى أعلم .

ـ أن يكون ساكن المدينة المنورة : أميناً ، عفيفاً ،... غيوراً على المحرمات ، راعياً للذمام ، حافظاً للجوار ، كريماً ، شهماً ، حصيناً ، غاضّاً بصره وطرفه ، نظيفَ الذيل طاهرَه ،... سليمَ الصدر من الغدر والخيانة ، رحيماً بمن نزل بجواره ، عطوفاً عليه ، شفوقاً به ،... وهذه هي صفات أهل المدينة المنورة .

---

(١) سورة الحشر (٩).

(٢) سورة الأعراف (٢٠١).

(٣) صحيح البخاري : كتاب المظالم : باب النُّهبى بغير إذن صاحبه ، وفي غيرهما . صحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ،... رقم (١٠٠ – ١٠٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، ورواه البخاري في : كتابي الحدود والمحاربين : من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

فقد مر حديث السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ما يضر امرأةٌ نزلت بين بيتين من الأنصار ، أو نزلت بين أبويها ». رواه أحمد والبزار ، برجال الصحيح ، وصححه ابن حبان والحاكم .

- **حرص ساكن المدينة المنورة أن يكون عفيف النفس** ، كريمها ، كافّاً لها عما لا يحل ، صبوراً ، قنوعاً ، راضياً بما قسمه الله جل شأنه ، بعيداً عن الطمع والجشع ،... وهذه هي سمة أهل المدينة المنورة :

فقد مر قولُه صلى الله عليه وآله وسلَّم لأبي طلحة رضي الله عنه « أقرئ قومك السلام ، فإنهم - ما علمتُ - أَعِفَّةٌ صُبُرٌ ». رواه أحمد ، وصححه الترمذي والحاكم ، وأقره الذهبي ، ورواه غيرهم .

كما مر قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم لأُسيد بن حُضَير رضي الله تعالى عنه : « ...وأنتم يا معشر الأنصار ؛ فجزاكم الله أطيب الجزاء - أو قال : خيراً - فإنكم - ما علمتُ - أَعِفَّةٌ صُبُرٌ ». رواه النسائي وأبو يعلى ، وصححه ابن حبان والحاكم ، وأقره الذهبي .

- **أن يكون ساكنها متصفاً بجمال الصفات ، ومكارم الأخلاق** ، من برٍّ بوالدين ، وصلةٍ للرحم ،... وحمْلٍ للكَلِّ ، وإعانةٍ للمعدوم ، وصدقٍ للحديث ، وإقراءٍ للضيف ، وإعانةٍ على نوائب الحق ،... فهذه هي من جملة صفات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ؛ التي كان يتصف بها ، والتي أقسمت عليها السيدة خديجة رضي الله عنها ، عندما جاءها صلى الله عليه وآله وسلَّم بعد نزول الوحي إليه .

فعن السيدة عائشة رضي الله عنها - في قصة نزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم - وفيه : قالت له خديجة رضي الله عنها : كلا ، أبشر ، فوالله

لا يُخزيك الله أبداً ، والله إنك لتصلُ الرحمَ ، وتَصدقُ الحديثَ ، وتَحملُ الكَلَّ ، وتَكسِبُ المعدومَ ، وتَقري الضيفَ ، وتُعينُ على نوائب الحق ،... الحديث بطوله ، وفيه قصة ذهابه صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى ورقة بن نوفل . متفق عليه[1].

وهذه الصفات التي ذكرتها السيدة خديجة رضي الله عنها : تعتبر أصولَ مكارم الأخلاق ، وخاصة قولها رضي الله عنها : (وتعين على نوائب الحق) فهي جامعة لأفراد ما تقدم ، ولما لم يتقدم[2]، والله تعالى أعلم .

ـ أن يكون ساكنُها حريصاً على الآخرة أكثر من حرصه على الدنيا ؛ فلا تشغله دنياه عن آخرته ، ولا أموالُه وأعمالُه عن ربه تعالى ودينه وعبادته ،... لأن هذه هي صفة أهل المدينة المنورة :

لما حلَّ الجفاف بأرض الأنصار رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم ، وبساتينهم وأشجارهم ،... وأَقسَم لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أنهم لن يسألوه شيئاً إلا أعطاهم ، وأنه لن يدعو الله تعالى لهم شيئاً ؛ إلا أعطاه الله عز وجل لهم ، اغتَنَموها . فلم يسألوا الدنيا ، إنما سألوا المغفرة ، وقد مر الحديث بطوله ، ولا بأس بإعادته ثانية .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : شقَّ على الأنصار النواضح ، فاجتمعوا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم يسألونه أن يكري لهم نهراً سحّاً ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « مرحباً بالأنصار ، مرحباً بالأنصار ، مرحباً

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الوحي : باب (٣) حدثنا يحيى بن بكير ، وكتاب التفسير : سورة ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ باب حدثنا يحيى بن بكير ، وفي غيرها . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ، رقم (٢٥٢ – ٥٢٤).

(٢) انظر : فتح الباري (١ : ٢٤ – ٢٥).

بالأنصار ، والله لا تسألوني شيئاً إلا أعطيتكموه ، ولا أسأل الله تعالى لكم شيئاً إلا أعطانيه ».

فقال بعضُهم لبعض : اغتَنِموها ، واطلبوا المغفرة .

فقالوا : يا رسول الله ؛ ادع الله لنا بالمغفرة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار ،... ». رواه أحمد والبزار ، برجال الصحيح ، والنسائي في عمل اليوم والليلة ، وصححه الحاكم وأقره الذهبي . وقد مر ذكره .

وعن أسلم أبي عمران التُّجيبي رحمه الله تعالى قال : كنا بمدينة الروم ، فأخرجوا إلينا صفّاً عظيماً من الروم ، فخرج إليهم من المسلمين مثلُهم ـ أو أكثرُ ـ وعلى أهل مصر : عقبةُ بن عامر ، وعلى الجماعة : فَضالةُ بن عُبيد ـ فحمل رجلٌ من المسلمين على صفِّ الروم ، حتى دخل فيهم ، فصاح الناس وقالوا : سبحان الله يُلقي بيديه إلى التهلكة! فقام أبو أيوب رضي الله عنه فقال : يا أيها الناس ، إنكم تتأولون هذه الآيةَ هذا التأويل ، وإنما نزلت هذه الآيةُ فينا معشرَ الأنصار . لـمّا أعز الله الإسلامَ ، وكثر ناصروه ، فقال بعضُنا لبعض ـ سرّاً دون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ : إن أموالَنا قد ضاعت ، وإن الله قد أعز الإسلامَ ، وكثر ناصروه ، فلو أقمنا في أموالنا ، وأصلحنا ما ضاع منها ، فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ يردُّ علينا ما قلنا ـ : ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ ﴾[1] فكانت التهلكةُ الإقامةَ على الأموال وإصلاحها ، وترْكَنا الغزوَ . فما زال أبو أيوب رضي الله عنه شاخصاً في سبيل الله ، حتى دُفن

(١) سورة البقرة (١٩٥).

بأرض الروم . رواه الثلاثة والطيالسي والطبراني في آخرين ، وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم[1].

كيف وقد قال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم - يوم حُنين عند تقسيم الغنائم - : « ألا ترضون أن يرجع الناس بالشاء والإبل [بالدنيا ، بالأموال] وترجعون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى رحالكم ؟ فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به ». متفق عليه من حديثَي أنس ، وعبد الله بن زيد رضي الله عنهما ، وقد مرا في المبحث الثاني من الفصل الأول .

فقد أعطىٰ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم الدنيا للمؤلفة قلوبهم ، وللطلقاء من مسلمة الفتح . ووَكل الأنصار رضي الله عنهم إلى إيمانهم ، فحازوا رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، لذا على من سكن في ديارهم ؛ أن يتخلق بأخلاقهم ، ويعلم أن ما حازه خيرٌ من الدنيا وما فيها ، فلا يُشغل قلبَه بها ، وإن أعطيها فلا يُدخلها قلبَه ، فتحجبه عن ربه تعالى ، وعن العمل الصالح ، وليستخدمها في طاعة الله تعالى ، وفي سبيل مرضاته .

ولا يعني ذلك أن يترك الساكن فيها طلب الدنيا ، والعمل بها ، والسعي في طلب الرزق ، ويفتح فاه للسماء ، ويركن إلى غيره ، وإنما هو من باب قوله سبحانه

---

(١) سنن أبي داود : كتاب الجهاد : باب قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ ، رقم (٢٥١٢) وسنن الترمذي : كتاب التفسير : باب ومن سورة البقرة ، رقم (٢٩٧٢) وتفسير النسائي (١ : ٢٣٦ ، ٢٣٨ - ٢٣٩) ومسند الطيالسي (٨١ - ٨٢ رقم ٥٩٩) والمعجم الكبير ، رقم (٤٠٦٠) وصحيح ابن حبان (١١ : ٩ - ١٠) وموارد الظمآن ، رقم (١٦٦٧) والمستدرك (٢ : ٨٢ ، ٢٧٥) والسنن الكبرى للبيهقي (٩ : ٤٥ ، ٩٩).

وانظر : تخريج أحاديث الكشاف (١ : ١١٩ - ١٢٠).

وتعالى : ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾[1] ونعم المال الصالح بيد الرجل الصالح ، والله تعالى أعلم .

ـ الحرص على العناية بكتاب الله جل شأنه وكتب الحديث ، والتفسير والفقه المدلَّل ،...إلخ واحترامها ، وتقديرها ،... لأن القرآن الكريم والسنةَ النبويةَ الشريفةَ وحيٌ من عند الله عز وجل ، لكن السنة النبويةَ وحيٌ غيرُ متلوٍّ ولا معجز ،... لأن تعظيمَها من تعظيم الله تعالى ورسوله النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم .

وقد أوجب الله تعالى تعظيم البُدْن التي تنحر في الحج ، وأن ذلك من تعظيم الله تعالى ، لأنها من شعائره . كما قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾[2] فمنطوق الآية الكريمة : أن من كان في قلبه تقوىٰ فإنه يُعظِّم شعائر الله تعالى ، وأما مفهومها : فإن الذي لا يُعظِّم شعائرَ الله تعالى فليس في قلبه تقوىٰ ، والعياذ بالله تعالى .

وقد نهىٰ النبي المصطفى الكريم صلوات الله عليه وآله وسلم أن توضع التوراة على الأرض ، مع أن الذي وضعها هم اليهود ، فرفعها صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ووضعها على الوسادة ، مع أنها مُحرَّفةٌ ـ كما نص على ذلك القرآن الكريم ـ ثم هي دون القرآن الكريم منزلةً ومكانةً ، ومع هذا فقد أَبىٰ صلى الله عليه وآله وسلَّم أن توضع على الأرض .

فعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : أتىٰ نفرٌ من يهود فدعَوا

---

(١) سورة القصص (٧٧).

(٢) سورة الحج (٣٢).

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى القف ، فأتاهم في بيت الـمِدراس ، فقالوا : يا أبا القاسم ؛ إن رجلاً منّا زنىٰ بامرأة ، فاحكم ، فوضعوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم وسادةً فجلس عليها ، ثم قال : « ائتوني بالتوراة » فأُتي بها ، فنزع الوسادة من تحته ، فوضع التوراةَ عليها ،... الحديث ، رواه الشيخان ، لكن هذا لفظ أبي داود ، وإسناده حسن[1].

والقَف : اسم واد في المدينة .

والمدراس : البيت الذي يتدارس فيه اليهود كتابهم .

فقد رفض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أن توضع التوراة على الأرض ـ مع أنها محرَّفة ـ ووضعها على الوسادة تكريماً ، ومع هذا فإنّا نجد بعضَ المسلمين يضعون المصاحف الشريفةَ على الأرض ، سواء عند سجود التلاوة ، أو عند قيامهم إلى الصلاة ، أو عند انتهائهم من القراءة ، أو... مع أن حوامل المصاحف قريبة منهم ، وبجوارهم ، إنما هو التكاسل والغفلة وعدم الاكتراث والتعظيم .

ولا أظن المسلمَ يفعل ذلك بقصد الإهانة ، لأن إهانة القرآن كفر بالاتفاق ، ولو وضعه فوق الرأس ، إنما هو التكريم والتعظيم .

كما قد يظن بعضُ الناس : أنه يجوز وضعُ المصحف فوق السجاد في المسجد ، لأن السجاد في المسجد طاهر بدلالة الصلاة عليه . وهذا غلط ، لأن القصدَ ليس هو الطهارة والنجاسة ،... ألا ترىٰ أن وضعَ المصحف في موضع نجس حرام ، وهو ردَّةٌ إن قصد التنجيس والإهانة ، والعياذ بالله تعالى ، ولا أتصور وجودَ مسلمٍ في مسجدٍ يتلو كتاب الله تعالى ،... ويقصد إهانتَه ، إنما هو التكريم والتعظيم .

---

(١) سنن أبي داود : كتاب الحدود : باب في رجم اليهوديين ، رقم (٤٤٤٩).

ألا ترىٰ أن الأرضَ طيِّبَةٌ طاهرة ؛ يُتيمَّم منها ، ويُصلَّى عليها من غير حائل ، كما ورد في الحديث الشريف .

فعن جابر رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أُعطيتُ خمساً لم يُعطهن ـ أحدٌ من الأنبياء ـ قبلي ؛... »، الحديث .

وفيه : « وجُعلت لي الأرضُ طيِّبَةً ؛ طهوراً ومسجداً ، فأيما رجُلٍ أدركته الصلاةُ صلّى حيث كان ،... ». الحديث بطوله ، متفق عليه[1].

وكيف يجوز التيمم بها والصلاة عليها إذا لم تكن طاهرة ؟ إنما هو التكريم والتعظيم .

ثم إن الله تعالى لم يُجز مسَّ القرآن الكريم لغير الطاهر المتطهر ، فقال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴾[2].

ففي هذه الآيات الكريمة أمور :

الأول : إن قوله تعالى : ﴿ كَرِيمٞ ﴾ على صيغة (فعيل) بمعنى مفعول أي مكرَّم ، ومن أُولىٰ التكريم : احترامه ، ووضعه في مكان لائق ، وعدمُ امتهانه ، ووضعِه في مكان لا يليق به ، ولا شك أن وضعه في الأرض والإنسان فوقه ، أو يعلوه ، أو وضعه عند القَدَم ، أو في مكان قريب من النعال ، أو... كل ذلك غير لائق ، ولا من التكريم والتعظيم .

الثاني : إن ظاهرَ الآية الكريمة يدل على ألا يمسَّ المصحفَ الكريمَ إلا طاهر

---

(١) صحيح البخاري : كتاب التيمم : الباب الأول . وصحيح مسلم : كتاب المساجد : رقم (٣) وهناك أحاديث كثيرة ذكرتُها في غير هذا الكتاب .

(٢) سورة الواقعة (٧٧ – ٧٩).

مطهّر من البشر ، وهذا ما ذهب إليه عامةُ أهل العلم ، ومن أجازه فإنما للضرورة ، كالصبي للتعليم ونحوه ، فقد ذهبوا إلى تحريم مس المصحف للمُحْدِث والحائض والنفساء ؛ لعدم الطهارة ، تكريماً له .

وقد ثبت عن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ من حديث عدد من الصحابة ؛ كعَمرو بن حَزم وابن عُمر وعثمان ابن العاص وحكيم بن حزام وثوبان ،... رضي الله عنهم ـ قولُه صلى الله عليه وآله وسلَّم : « لا يمس القرآنَ إلا طاهرٌ »[1] .

قال الحافظُ ابنُ عبد البر المالكي رحمه الله تعالى ـ عن كتاب عمرو ابن حزم رضي الله عنه الذي فيه هذا الحديث ـ : كتاب مشهور عند أهل العلم معروف ، يُستغنىٰ بشهرته عن الإسناد ،... ولم يختلف فقهاءُ الأمصار بالمدينة والعراق والشام : أن المصحف لا يمسه إلا الطاهر على وضوء ،... ثم ذكر أسماء الأئمة الأربعة وغيرهم .

الثالث : إن كان المراد به : هو ما في اللوح المحفوظ ، فلا يمسه إلا الملائكة ، وهذا غاية التكريم أيضاً .

---

(١) انظر : الموطأ (١ : ١٩٩) ومصنف عبد الرزاق (١ : ٣٤١ - ٣٤٢) والمستدرك (١ : ٣٩٥ - ٣٩٧) (٣ : ٤٨٥) وصحيح ابن حبان (١٤ : ٥٠١ - ٥١٥) وسنن الدارقطني (١ : ١٢١ - ١٢٤) والسنن الكبرى (١ : ٨٧ ، ٨٨) (٤ : ٨٩ - ٩٠) وشرح السنة (٢ : ٤٧) والمعجم الكبير (٣ : ٢٢٩ - ٢٣٠ ، ٣١٣) (٩ : ٣٣) (١٢ : ٣١٣ - ٣١٤) والمعجم الأوسط (٣ : ٣٢٦ - ٣٢٧) والمعجم الصغير (٢ : ٢٧٧) ومجمع البحرين (١ : ٣٤٦ - ٣٤٧) والمصاحف ، رقم (٧٣٨ ، ٧٣٩) والمراسيل ، رقم (٩٢ ، ٩٣) والتمهيد (١٧ : ٣٩٦ - ٤٠٠) وخلاصة البدر المنير ، رقم (١٧٠) ونصب الراية (١ : ١٩٦ - ١٩٩) ومجمع الزوائد (١ : ٢٧٦ - ٢٧٧) والمطالب العالية (١ : ٢٨ - ٢٩) وإتحاف الخيرة المهرة (١ : ٤٨٢) والتلخيص الحبير (١ : ١٣١ - ١٣٢) (٤ : ١٧ - ١٨) وانظر مجموع الفتاوى ، وانظر تعليقي على السنن للإمام الشافعي (٢ : ٢٢١ - ٢٢٢) فقد ذكرت من رواه .

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى : إذا كان الله تبارك وتعالى يخبر أن الصحفَ المطهرةَ في السماء لا يمسها إلا المطهرون ، فالصحف التي بأيدينا كذلك ، ينبغي ألا يمسها إلا طاهر .اهـ.

وكل ذلك دلالة على عظم مكانة هذا الكتاب الكريم ، ووجوب الاعتناء به وتعظيمه ، فإذا كان الله تبارك وتعالى لم يسمح إلا لنفر من الخلق ـ وهم الملائكة ـ بمسه ، فكيف يعظمه المسلمون ؟ وإذا كان لم يجز لغير المتوضئ مسه ، أو حمله ـ مباشرة ـ مع أن المسلم لا ينجس ، فكيف يعظمه المسلمون ؟؟؟.

وإذا كان قد نُهي عن السفر به إلى بلاد الكفر خشية مسه[1] فكيف يعظمه المسلمون ؟ ثم إذا كانت حرمتُه أعظمَ من حرمة المسجد فكيف يعظمه المسلمون ؟ وإذا كان الله تعالى قد جعله مكرَّماً عنده أفلا يكون مكرَّماً كذلك عند المسلمين ؟ مع أن من صفات المؤمن الصادق : أن يحب ما يحبه مولاه ، ويكره ما يكرهه مولاه .

ويلتحق بذلك : كتب الحديث الشريف والفقه والأصول ونحوها ، وإن كانت كتب الفقه وما سواها دون القرآن الكريم وكتب الحديث الشريف ، والله تعالى أعلم .

لذا ليس من تعظيمه وتكريمه وضعه في الأرض ، والمصلِّي يعلوه في قيامه وسجوده وجلوسه ، وحاملُ المصاحف بجنبه . وقد رأيتُ من إغفال المسلمين ـ من القصص الكثيرة ـ ما يندىٰ له الجبين ، وكل ذلك مما لا ينبغي .

أسأل الله عز وجل أن يلهم المسلمين ـ خاصة طلبة العلم ـ احترامَ هذا الكتاب الكريم ، وتكريمه ، وتعظيمَه ، وتبجيلَه ، والله تعالى أعلم

---

(١) رواه مالك والشافعي وأحمد والبخاري ومسلم وغيرهم ، انظر سلسلة الذهب رقم (١٨).

ـ **على ساكن المدينة المنورة : أن يكون حريصاً عليها ، محافظاً على نظافتها** ، معتنياً بها ، وبنظافة شوارعها ، وأسواقها ، ومحلاتها ، وأجوائها ،... إضافة إلى نظافة الجسد والثياب والقلب والنفس ،... فيجمع بين نظافتي الظاهر والباطن .

وقد أثنىٰ الله سبحانه وتعالى على أهل المدينة بالطهارة ، فقال الله جل شأنه : ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾[1] .

لذا على الساكن في هذه المدينة المباركة : المحافظةُ على نظافتها ، فلا يلقي قمائم ومخلفات بيته منثورةً ، فيوسخ شوارعها ، وكذا ما يلقيه بعض الناس أثناء سيرهم في سياراتهم ، فقد يضر ذلك بالصحة العامة والخاصة . وكذا ما يفعله بعض الأولاد من الكتابة على الجدران ،... وغير ذلك .

ـ **الحرص على طلب العلم في الحرم النبوي الشريف** ، لأن من جاءه بهذه النية نال الأجر الكبير ، حتى كأنه كالمجاهد في سبيل الله تعالى . وهذا ما حث عليه النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم في هذا الحرم الشريف .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « من أتىٰ مسجدي هذا ـ يعني مسجدَ المدينة ـ لم يأته إلا لخيرٍ يُعَلِّمه أو يَتَعَلَّمه ؛ فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله ، ومن جاءه لغير ذلك ؛ فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره ». رواه أحمد وابن أبي شيبة وابن ماجه وأبو يعلى ، وصححه الحاكم وابن حبان[2].

---

(١) سورة التوبة (١٠٨) وانظر : فضائل المدينة المنورة ، وفضائل الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، لبيان سبب ورود هذه الآية الشريفة ، ومعناها .

(٢) مسند أحمد (٢ : ٤١٨ ، ٥٢٦ – ٥٢٧) وسنن ابن ماجه : المقدمة : باب فضل العلماء والحث على =

لذا فعلى كل ذاهب إلى هذا المسجد الكريم أن ينوي ـ إضافةً إلى قصده الصلاة ، والذكر والعبادة ، والصلاة على النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ أن يتعلَّم ـ إن كان متعلِّماً ـ أو يعلِّم ـ إن كان عالماً ـ حتى ينال الأجرَ الكبيرَ ، ولا يأته خالياً من قصد صالح .

ولأن هذه هي صفةُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ؛ التي دعا بها إبراهيم عليه السلام ، كما قال تعالى ـ على لسانه ـ : ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[1] .

فمن جملة مهامِّ النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ التي دعا بها إبراهيم ـ على نبينا وعليه الصلاة والسلام ـ تلاوة الآيات الكريمة ، وتعليم الكتاب الكريم ، وتعليم الحكمة ـ وهي السنة النبوية ـ بالإضافة إلى التزكية لهم ، والله تعالى أعلم .

ـ الحرص على عدم التبرم مما يلاقيه في هذه المدينة المنورة ؛ من ضيق العيش ، وشدة الحياة ، وشظف المجاورة ، وضغط النفس ، وشدة الحرارة ،... لأن ما يناله الساكن من الأجر المضاعف ، والثواب الكثير ، والشفاعة والشهادة على صبره على ذلك ؛ أضعاف ما يناله من الصبر ، لأن الغرم بالغنم ، ولو علم الساكن ما له من الأجر والثواب والمنزلة عند الله تعالى ـ إن صدق وصبر ـ لبقي عاجزاً عن شكر الله سبحانه وتعالى وحمده .

= طلب العلم ، رقم (٢٢٧) ومصنف ابن أبي شيبة (٢ : ٣٧١) (١٢ : ٢٠٩) ومسند أبي يعلى (١١ : ٣٥٩) والمستدرك (١ : ٩١) وصحيح ابن حبان (١ : ٢٨٧ – ٢٨٨) ومصباح الزجاجة (١ : ٣١) وصححه .

(١) سورة البقرة (١٢٩).

كما عليه بالرضا بما يجده في المدينة ، لأن من لم يرض بذلك فقد يُطرد ـ والعياذ بالله تعالى ـ خاصة والمدينة لها لأواء ، سواء في العيش ، أو السكنىٰ ، أو النفس ، أو الحياة ،... فإذا كان الساكن ينال من الثواب أضعافَ ما يناله من هو خارجها ؛ فعليه أن يدفع الثمن ، وذلك بصبره ورضاه ، حتى ينال الشفاعة أو الشهادة التي يرغبها كل مسلم .

وقد ذكرت فضلَ الصابر على لأوائها في (فضائل المدينة المنورة) فانظره إن شئتَ .

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ كما مر ـ : « لا يصبر على لأوائها وشدتها أحدٌ ؛ إلا كنتُ له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة ». حيث ورد من حديث ابن عمر وأبي سعيد وأبي هريرة وسعد رضي الله عنهم ـ في صحيح مسلم ـ وورد عن غيرهم في غيره أيضاً ، فهو متواتر . وقد مرت الإشارة إليه ، والله تعالى أعلم .

ـ على طالب العلم التأدب مع العلماء ، واحترامهم وتوقيرهم ، وعلى العامي التأدب مع أهل العلم ،... لأن توقير العلماء من توقير الشرع الشريف لما يحملوه من العلم ،... ومن مظاهر الأدب معهم ألا يتسرّع أحدُهم بالإفتاء بحضرة من هو أعلم منه ، أو من هو أكبر منه ، وهذا هو دأب الصحابة الكرام رضي الله عنهم في هذه البلدة المباركة .

فعن عبد الله بن عُمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أخبروني بشجرة مثَلُها مَثَلُ المسلم تؤتي أكلَها كلَّ حين بإذن ربها ، ولا تحتُّ ورقَها ؟ » [فوقع الناس في شجر البوادي] فوقع في نفسي أنها النخلة [ورأيتُ أبا بكر وعمر لا يتكلمان] فكرهتُ أن أتكلم وثَمَّ أبو بكر وعمر .

فلما لم يتكلما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : « هي النخلة » فلما خرجتُ مع أبي قلتُ : يا أبتاه والله لقد وقع في نفسي أنها النخلة . قال : ما منعك أن تقولها ؟ لو كنتَ قلتَها كان أحبَّ إليَّ من كذا وكذا . قال : ما منعني إلا أني لم أرك ولا أبا بكر تكلمتما ، فكرهتُ أن أتكلم أو أقول شيئاً . متفق عليه[1].

وعن أبي المنهال رحمه الله قال : سألتُ البراءَ بن عازب رضي الله عنهما عن الصَّرف ؟ فقال : سلْ زيدَ بنَ أَرقمَ ؛ فهو أعلمُ . فسألتُ زيداً فقال : سل البراءَ فإنه أعلم . ثم قالا : نهىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم عن بيع الوَرِقِ بالذهب دَيْناً . متفق عليه[2].

ففي الحديث بيان حال الصحابة الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم ، وما كانوا عليه من التواضع ، وإنصاف بعضهم بعضاً ، ومعرفة أحدهم حقَّ الآخر ، وإظهار فضل بعضهم بعضاً ،... إضافة إلى استظهار العالم في الفتيا بنظيره في العلم ، وموافقته فيه...إلخ.

وعن عبد الله بن بُريدة رحمه الله تعالى قال : سمعتُ سمُرةَ بنَ جُنْدُب ـ رضي الله عنه ـ يقول : لقد كنتُ على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم غلاماً ، فكنتُ أحفظ عنه ، وما يمنعني من القول إلا أن هٰهنا رجالاً هم أسنُّ مني[3]. والنصوص في هذا الباب كثيرة ولله الحمد والمنة .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب إكرام الكبير ، ويبدأ الأكبر بالكلام والسؤال ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب صفات المنافقين : باب مثل المؤمن مثل النخلة ، رقم (٦٣ – ٦٤).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الشركة : باب بيع الوَرِق بالذهب نسيئة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب المساقاة : باب النهي عن بيع الورِق بالذهب ديناً ، رقم (٨٧) واللفظ له .

(٣) تاريخ أبي زرعة الدمشقي (١ : ٥٥٤ – ٥٥٥) والاستيعاب (٢ : ٢١٥) والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١ : ٣١٨) وتهذيب الكمال (١٢ : ١٣٤).

فهذا هو أدب العلماء رحمهم الله تعالى مع بعضهم بعضاً وورعهم وتقواهم ، وهذه هي ثقتهم بعلم إخوانهم من أهل العلم ،...

بالإضافة لما يجب على طالب العلم : من التخوف والتورع ،... عن الفتيا ، وإحالته على من يكفيه ،... لا التسرع فيها من غير طلب ولا تعيين ، والله تعالى أعلم .

ـ الحرص الأكيد من ساكن المدينة على عدم إيذاء الجار بأي شيء كان ، بل يجب إكرامه ، والإحسان إليه .

واسم الجار : يشمل المسلمَ والكافرَ ، والعابدَ والفاسقَ ، والصديقَ والعدوَّ ، والغريب والبلديَّ ، والعربيَّ والعجميَّ ، والقريبَ والأجنبيَّ ، والنافعَ والضارَّ ، والأقربَ داراً والأبعد ،... وله مراتب بعضُها أعلى من بعض . ويبدأ من تأمينه البوائق حتى الإحسان ، مروراً بعدم إيذائه وبإكرامه ، ويشمل ذلك كله : الوصاةُ به .

والأمر بالإكرام يختلف حسب الأشخاص ، والأحوال ، فقد يكون فرض عين ، وقد يكون فرض كفاية ، وقد يكون مستحباً ، ويجمع ذلك كله : أنه من مكارم الأخلاق .

ومظاهر إكرام الجار كثيرة ، ومن ذلك : إذا استقرضك أقرضتَه ، وإن استعانك أعنتَه ، وإن مرض عدتَه ، وإن احتاج أعطيتَه ، وإن افتقر عدتَ عليه ، وإن أصابه خيرٌ هنيتَه ، وإن أصابته مصيبةٌ عزيته وواسيتَه ، وإذا مات اتبعتَ جنازته ، ولا تستطيل عليه بالبناء فتحجب عنه الريحَ إلا بإذنه ، وإذا أراد أن يضع خشبةً على جدارك أذنتَ له ، ولا تؤذيه بريح قِدرِك إلا أن تغرف له ، وإن اشتريتَ

فاكهةً فاهدِ له منها ، وإن لم تفعل فأدخلها سرّاً ، ولا يخرج بها ولدُك ليغيظ بها ولدَه ، ولا تؤذيه بصوتك ، ولا صوت مذياعك ومزمارك ، ولا بالضرب على سطحه إن كنت فوقه ، وأن تتحين ساعة نومه وراحته فلا تزعجه ،...إلخ.

فعن أبي شُرَيح الخزاعيِّ رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن » قيل : ومن يا رسول الله ؟ قال : « الذي لا يأمنُ جارُه بوائقَه ». متفق عليه ، واللفظ للبخاري[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر : فلا يؤذي جاره ،... » الحديث ، متفق عليه[2].

وفي رواية لمسلم ، عنه رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « ...ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ،... ».

وعن أبي شُريح العدويِّ رضي الله عنه ، أن النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ؛ فليحسن إلى جاره ،... » الحديث ، متفق عليه ، واللفظ لمسلم[3].

فهذه أربع حالات : تأمينُه الدواهي والشرور ، وعدمُ إيذائه ، ثم طلبُ إكرامه ، ثم الإحسانُ إليه ، والله تعالى أعلم .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب إثم من لا يؤمن جارُه بوائقَه . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب بيان تحريم إيذاء الجار ، رقم (٧٣).

والبوائق : جمع بائقة ، وهي الداهية ، والشيء المهلك ، والأمر الشديد الذي يوافي بغيته .

(٢) صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب الحث على إكرام الجار والضيف ،... رقم (٧٤ - ٧٦).

(٣) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٧٧).

وهذه الحالات ـ وغيرها ـ يشملها الوصاةُ بالجار .

فعن عائشة وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « ما زال جبريلُ يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه ». متفق عليهما[1].

وقد ضرب أهل المدينة المنورة المثَلَ الأعلى في حسن الجوار ؛ فقد كان الكبيرُ في الحي بمثابة الوالد للجميع ، والجارُ بمثابة العمِّ لهم ؛ يأمر وينهىٰ أولادَ الجيران ، وكأنهم أولاده...إلخ.

بل هناك من التكافل الاجتماعي والخُلقي وَ وَ وَ... بينهم : الشيء الجميل الذي قل وجودُه في غيرها .

لقد دعاني أحد الأخوة على الغداء ـ منذ سنوات ـ ومعي بعض الأخوة من جدة ، وبعد اعتذارات منا وافقنا ، لأن الدعوة كانت بعد صلاة الظهر ، فخشينا الإحراج ،... فاتصل بأهله ، وذهبنا جميعاً بعد نصف ساعة تقريباً ، وبعد قليل ؛ دعانا لتناول الطعام ، فكانت مفاجأتي كبيرة ، حيث رأيت أصنافاً من الطعام متعددة ، ولا يمكن لأهله أن تُعدّ تلك الأصناف الكثيرة ؛ في ذلك الوقت القصير ، وهي موظفة ، فبدأت أدعو الله تعالى له ولأهله ، فأشار إلي ، ثم حدثني بأن جميع ما نراه لم يطبخوا منه شيئاً ، إنما هو من الجيران ، حيث إن زوجته لما أخبرها ؛ اتصلت بالجيران ، وأخبرتهم الخبر ، فسكب كل بيت مما طبخوه ، وهذه عادة أهل المدينة المنورة إلى ذلك الوقت ، لذا اجتمع هذا العددُ الذي تراه من الطعام .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب الوصاة بالجار . وصحيح مسلم : كتاب البر والصلة : باب الوصية بالجار ، رقم (١٤٠ ، ١٤١).

فهل تَبقىٰ هذه العادة الكريمة من التكافل ؟ أرجو الله تعالى بقاءها وغيرها من العادات الجميلة .

- **الحرص على ألا يعامل الساكنُ مَن تحت يده - من عامل أو موظف أو أجير أو خادم - بالشدة والغلظة والفظاظة والقسوة ،...** فينال دعوةَ النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم عليه . بل عليه أن يكون رفيقاً شفوقاً رحيماً عطوفاً ، بالمسلمين ، حتى ينالَ دعوة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم له .

فالأستاذ مع طلابه ، والمدير مع الأساتذة عنده ،... ومدير الدائرة مع موظفيه ، والموظف مع مراجعيه ، ومدير المصنع والمعمل مع عماله ، والحاكم مع محكوميه ، والمزارع مع فلاحيه ، والتاجر مع صبيانه ، والإمام في المسجد مع المصلين ،... وغيرهم ، كلهم يلزمهم أن يكونوا في غاية الرفق والشفقة والرحمة والإحسان ،... ولا يكونوا شدةً وغلظةً وتنفيراً ،...

فعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول - في بيتي هذا - : « اللهم مَن وَلِيَ من أمر المسلمين شيئاً فشقَّ عليهم : فاشقق عليه . ومَن وَلِيَ من أمر المسلمين شيئاً فرَفَق بهم : فارفُق به ». رواه مسلم[1].

وإذا كان النبي المصطفى الكريم صلوات الله عليه وآله وسلم لم يرض أن يُطيل الإمامُ في الصلاة ؛ حتى لا ينفِّرَ الناسَ ، واعتبرهم منفِّرين ، فمن باب أولىٰ مَن ولي أمراً ينفع به المسلمين أو يضرهم .

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الإمارة : باب فضيلة الإمام العادل ،... رقم (١٩).

عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أيها الناس ؛ إن منكم منفِّرين ، فأيكم أَمَّ الناسَ فليوجز ، فإن مِن ورائه الكبيرَ ، والضعيفَ ، وذا الحاجة ». متفق عليه[1].

ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يدخلُ في الصلاة وهو يريد إطالتها ، فيسمع بكاءَ الصبيِّ فيتجوَّز في صلاته ، رأفة بأمه .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إني لأدخلُ في الصلاة وأنا أريد إطالتَها فأسمع بكاءَ الصبيِّ ؛ فأتجوَّزُ في صلاتي مما أعلم من شدة وَجْدِ أمه من بكائه ». متفق عليه[2].

ورواه البخاري[3] من حديث أبي قتادة رضي الله عنه .

فإذا كان هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ الرحمة المهداة ـ وفي عبادة هي أجلُّ العبادات ، والناسُ حريصون على سماع قراءته وإطالته صلى الله عليه وآله وسلَّم بها ، ومع هذا كان يتجوَّز فيها ، فما عداها من العبادات من باب أولىٰ ، كذلك ما عداه صلى الله عليه وآله وسلَّم من الأئمة فمن باب أولىٰ وأولىٰ أيضاً ، والله تعالى أعلم .

لذا فليحرص الساكن ـ على أي جهة كانت مسؤوليته ـ أن تنالَه دعوةُ النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم له بأن يرفق الله تعالى به ، ولا تقع

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الأذان : باب من شكا إمامه إذا طوَّل ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الصلاة : باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام ، رقم (١٨٢).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الأذان : باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٩١ - ١٩٢).

(٣) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين .

عليه الدعوة بالشدة ، والله المستعان .

علماً بأن مردود الرفق يعود على الرفيق نفسه ، كما قال صلى الله عليه وآله وسلَّم : « من يُحرم الرفقَ يُحرم الخير » وَ « إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ، ولا يُنزع من شيء إلا شانه » وَ « إن الله رفيق يحب الرفقَ ، ويُعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ، وما لا يعطي على ما سواه »[1] والنصوص في الرفق كثيرة ، والحمد لله تعالى .

ـ الحرص على حسن معاملة العبيد والأرقاء والخدم والأجير ، والعامل الضعيف ، فلا يلعن ، ولا يسب ، ولا يُقبِّح ، ولا يضرب ، ولا يحمِّله مالا يطيق ، ولا يشق عليه ،... وقد كثرت النصوص الشريفة عن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم في بيان ذلك .

وإذا كانت هذه الأعمال لا تجوز بالنسبة للعبيد الأرقاء المملوكين ؛ فالأجير الحر من باب أولىٰ ،... وأذكر نصين شريفين توضحان خطورة الموضوع ، وإلا فالنصوص كثيرة ، والحمد لله رب العالمين :

عن المعرور بن سُويد رحمه الله تعالى قال : لقيتُ أبا ذرٍّ رضي الله عنه بالربذة ، وعليه حُلَّةٌ ، وعلى غلامه حُلَّةٌ ، فسألته عن ذلك ، فقال : إني ساببتُ رجلاً ؛ فعيَّرتُه بأُمِّه ، فقال لي النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : « يا أبا ذر ، أَعَيَّرْتَهُ بأُمِّهِ ؟ إنك امرؤ فيك جاهلية ، إخوانكم خَوَلكم ، جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده ؛ فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مِما يلبس ، ولا تكلِّفوهم ما يغلبهم ، فإن كلَّفتموهم فأعينوهم ». متفق عليه[2]. وللحديث روايات أخرى .

---

(١) انظر هذه الأحاديث : صحيح مسلم : كتاب البر والصلة : باب فضل الرفق ، بأرقام (٧٤ – ٧٩).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الإيمان : باب المعاصي من أمر الجاهلية ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الأيمان : باب إطعام المملوك مما أكل ،... رقم (٣٨ – ٤٠).

والربذة : منطقة شرق المدينة المنورة ، استوطنها أبو ذر رضي الله عنه ، ومات فيها .

والخَوَل : الخدم والحشم .

فالحديثُ الشريفُ صريحٌ فيما سِيق فيه ، وفي بيان بعض ما يجب بالنسبة للعبيد ، فالأجير الحر من باب أولىٰ .

وانظر إلى تلك الحقوق الإنسانية التي لم تعرفها البشرية حتى يومنا هذا « ...فإن كلفتموهم فأعينوهم » .

وعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه ، قال : كنت أضرب غلاماً [عبداً] لي بالسَّوْط ، فسمعت من خلفي صوتاً : « اعلم أبا مسعود للهُ أَقْدَرُ عليك منك عليه ». فالتفتُّ ، فإذا هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فقلت : يا رسول الله ؛ هو حُرٌّ لوجه الله . فقال : « أما لو لم تفعل : لَلَفَحَتْكَ النارُ ، أو لـمَسَّتْكَ النارُ ». رواه مسلم(١).

فهو صريح في مراده أيضاً ، وانظر إلى هذه الرحمة ، والعطف ، ثم بيان تلك العقوبة ، مع أنه يضرب عبداً ، ولكن أليس هو بإنسان ؟؟؟ فأين المتشدِّقون بحقوق الإنسان ، والله تعالى أعلم .

ومن الإحسان إلى الأجير تقديم أجرته قبل جفاف عرقه ،... ولا يؤخره ، بل يحرم على المستأجِر أن يمنع حقَّ الأجير مهما كان السبب .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « قال الله تعالى : ثلاثةٌ أنا خصمُهم يوم القيامة ؛ رجلٌ أعطىٰ بي ثم غدر ، ورجلٌ

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الأيمان : باب صحبة المماليك ، وكفارة من لطم عبده ، رقم (٣٤ - ٣٦).

باع حراً فأكل ثمنَه ، ورجلٌ استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره ». رواه البخاري[1].

ومن كان الله جل جلاله خصمَه يوم القيامة : فإنه لا شك يكون من الهالكين ، والعياذ بالله تعالى ، لذا فليحذر المسلم : أن يعتديَ على حقوق العباد . وإذا كان لا يجوز أكلُ أجرة الأجير ، فكيف بمن يأكل أموالَ الناس بالباطل ، خاصة الأيتام ؟ أسأل الله تعالى الهداية والتوفيق .

ـ على ساكن هذه المدينة أن يكون حريصاً غايةَ الحرص على معاملة الجفاة من الأعراب والجاهلين ،... بالشفقة ، والرحمة ، والحنو ، والرفق والعطف وحسن المعاملة والملاطفة ،... ولا يعاملهم بمثل حالهم ، والنصوص في ذلك كثيرة .

فالأعرابي الذي بال في المسجد الشريف ، فثار الناس ليقعوا به قال لهم رسول الرحمة صلى الله عليه وآله وسلَّم : « دعوه ، وأهريقوا على بوله ذَنوباً من ماء ـ أو سجلاً من ماء ـ فإنما بُعثتُم مبشرين [وفي رواية : ميسرين] ولم تبعثوا معسِّرين ». متفق عليه[2].

زاد مسلم في روايته : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم دعاه فقال له : « إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ، ولا القذر ، إنما هي لذكر الله عز وجل ، والصلاة ، وقراءة القرآن الكريم ».

فانظر كيف عامله رسول الرحمة صلى الله عليه وآله وسلَّم مع أنه بال في

---

(١) صحيح البخاري : كتاب البيوع : باب إثم من باع حراً ، ورواه في كتاب الإجارة .

(٢) صحيح البخاري : كتاب الوضوء : باب صب الماء على البول في المسجد ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الطهارة : باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات ،... رقم (٩٨ – ١٠٠).

المسجد النبوي الشريف !!!

ومثل ذلك : الأعرابي الذي جبذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ بأبي هو وأمي ـ من ردائه جبذةً شديدةً ، حتى أثر ذلك في صفحة عنقه الشريف ثم قال : يا محمد ؛ مُرْ لي من مال الله الذي عندك . فالتفت إليه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فضحك ، ثم أمر له بعطاء . كما في حديث أنس رضي الله عنه ، المتفق عليه[1].

فانظر كيف عامله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فلم يضربه أو يسبه أو يتهجم عليه ، بل عامله بغاية اللطف والشفقة ، لأنه جاهل ، مع أنه عامله معاملةً قاسيةً ، وبحضرة الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، ومع هذا لم يراع هذا الأعرابيُّ حرمةً ولا ذمَّةً .

وهناك نصوص كثيرة ؛ فيها بيان تحمل النبي المصطفى الكريم الرحيم بالخلق صلوات الله عليه وآله وسلَّم ، وحسن معاملته للجفاة والجهال ،... يتألفهم ، ويرفق بهم ، ويرحمهم...إلخ.

لذا يلزم المتعلم أن يعطف على الجاهل ،... والسهل على الجافي ،... والقوي يرحم الضعيف ، والمسؤول يشفق على من تحت يده ،... والله تعالى يرحم الجميع ، وهو أعلم بهم .

ـ **على الزوجين معرفة حقوقهما وواجباتهما** ،... فإذا عرف كلٌّ واحد منهما حقوقَه الواجبةَ له ، وواجباتِه المترتبةَ عليه ، وطبَّقا ذلك : ساد البيتَ جوٌّ الهناء

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب التبسم والضحك . وصحيح مسلم : كتاب الاستسقاء : باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم ، رقم (١٦).

والسعادة والسرور ،... بإذن الله تعالى .

لذا على الرجل : الحرص على مداراة المرأة ، وحسن العشرة معها وحسن الإنفاق عليها ، وصيانة عرضها ، وحفظ سرِّها ، والاعتناء بها ووجوب العدل بينها وبين ضرَّتها ، والصبر عليها ، وحسن الوصية بها ، وعدم ضربها في أماكن ظاهرة ؛ كالوجه مثلاً ، وكذا بأداة حادَّة أو جارحة ، ولا يكون بقوة أو انتقام ،... لأن هذا كلَّه مخالفٌ لأمر الله تعالى وأمر رسوله المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، إنما يحق له تأديبها شريطةَ أن يكون غيرَ مبرِّح ،...إلخ.

وعلى المرأة : معرفة عظم حق زوجها عليها ، ووجوب طاعته في المعروف ، وتحقيق طلباته المشروعة ، وتحريم إيذائه ، ورفع صوتها عليه ، ووجوب إقرارها في البيت ، وعدم خروجها منه إلا بإذنه ، وعدم إذنها لأحد في بيته إلا بإذنه ،... ووجوب محافظتها على ماله وبيته وأولاده ، وأسرار بيته ، ولا تنفق من ماله إلا بإذنه ، ولا تتسرَّع بطلب الفراق بدون ما بأس ، والخلاصة : عليها أن تعلم أنه جنَّتُها ونارُها .

وإن حصل خلاف بينهما ـ لا سمح الله ـ فلا يكن ذلك أمام الناس حتى الأولاد ، وليكن بينهما ، وفي غرفة نومهما ما استطاعا ، وليتدرَّج الرجل في معاملة المرأة ، ولا يتسرَّع إلى المحاكم أو التحكيم ، فضلاً عن إيقاع الطلاق .

ولينظر كلٌّ واحد منهما : كيف كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يعامل زوجاته رضي الله عنهن كزوجات ؟ وكيف كنَّ رضي الله عنهن يعاملنه صلى الله عليه وآله وسلَّم كزوج ؟... وقد استقصيت ذلك في (حقوق الزوجين) فلينظره من أراد ، والله تعالى الموفق والمعين .

وأذكر هنا بعض النصوص الشريفة للتذكير لا غير :

قال الله تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً... ﴾(١).

وقال عز وجل : ﴿ ...وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ ﴾(٢).

وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾(٣).

وقال الله جلت قدرته : ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾(٤) إلى غير ذلك من الآيات الكريمة الكثيرة .

كما سأذكر أربعة أحاديث نبوية شريفة للتقريب أيضاً ، ومن أراد الزيادة فلينظر في الكتاب المذكور .

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما - في ذكره لحجِّ النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وفيه قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم في خطبة حجة الوداع - : « فاتقوا الله في النساء ، فإنكم أخذتموهن بأمان الله ، واستحللتم فروجَهن بكلمة الله ، ولكم عليهن أن لا يُوطئن فرشَكم أحداً تكرهونه ، فإن فعلن ذلك

---

(١) سورة الروم (٢١).

(٢) سورة البقرة (٢٢٨).

(٣) سورة النساء (١٩).

(٤) سورة النساء (٣٤).

فاضربوهن ضرباً غيرَ مبرِّح ، ولهن عليكم رزقُهن ، وكسوتُهن بالمعروف ،... ». الحديث بطوله ، رواه مسلم[1].

وعن عَمْرو بن الأحوص رضي الله عنه ـ نحوه ، وفيه قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ : « ...ألا واستوصوا بالنساء خيراً ، فإنما هنَّ عَوانٌ عندكم ، ليس تَملكون منهن شيئاً غيرَ ذلك ، إلا أن يأتين بفاحشة مبيِّنةٍ ، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع ، واضربوهن ضرباً غيرَ مبرِّح ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً ، ألا إن لكم على نسائكم حقّاً ، ولنسائكم عليكم حقّاً ،... ». الحديث ، بطوله ، رواه الترمذي ـ وصححه ـ والنسائي وابن ماجه[2].

وعن معاوية بن حَيْدَة القشيري رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله ؛ ما حقُّ زوجة أحدنا عليه ؟ قال : « أن تُطعمَها إذا طَعمتَ ، وتكسوَها إذا اكتسيتَ ، ولا تضربْ الوجهَ ، ولا تُقَبِّحْ ، ولا تهجر إلا في البيت ». رواه أحمد ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه ، والبغوي ، والبيهقي والطبراني ، وصححه ابن حبان والحاكم وأقره الذهبي[3].

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الحج : باب حج النبي ﷺ ، رقم (١٤٧).

(٢) سنن الترمذي : كتاب النكاح : باب ما جاء في حق المرأة على زوجها ، رقم (١١٦٣) وسنن النسائي الكبرى (٥ : ٣٧٢ رقم ٩١٦٩) وعشرة النساء (٢٤٦ رقم ٢٨٧) وسنن ابن ماجه : كتاب النكاح : باب حق المرأة على وزوجها ، رقم (١٨٥١).

(٣) مسند أحمد (٤ : ٤٤٦ – ٤٤٧ ، ٤٤٧) (٥ : ٣ ، ٥) وسنن أبي داود : كتاب النكاح : باب في حق المرأة على زوجها ، رقم (٢١٤٢ – ٢١٤٤) والسنن الكبرى للنسائي (٥ : ٣٧٣) (٦ : ٣٢٣) وتفسير النسائي (١ : ٣٨١) (٢ : ٢٠٦ – ٢٠٧) وعشرة النساء (٢٤٩ ، ٢٥٥ رقم ٢٨٩ ، ٢٩٨) وسنن ابن ماجه : كتاب النكاح : باب حق المرأة على الزوج ، رقم (١٨٥٠) وشرح السنة (٩ : ١٥٩ – ١٦٠) والمعجم الكبير (١٩ : ٤١٥ ، ٤٢٧ – ٤٢٨) والسنن الكبرى للبيهقي (٧ : ٢٩٥ ، ٣٠٥ ، ٤٦٦ – ٤٦٧) والآداب =

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « من كانت له امرأتان ، فمال مع إحداهما على الأخرى ، جاء يوم القيامة وأحدُ شقَّيْه ساقط ». رواه أحمد وابن أبي شيبة والطيالسي والدارمي وابن الجارود والأربعة في غيرهم ، وصححه كثيرون[1].

ـ الحرص على تعليم الأطفال الواجبات الشرعية ؛ مبتدئاً بهم في محبة الله عز وجل ، والتوكل عليه عز شأنه ، والثقة به جل جلاله ، وشكره وحمده ،... ومحبة رسوله المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، واتِّباعه وطاعته ، ومعرفة مكانته ومنزلته ،... ومحبة أصحاب رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ورضي الله عنهم ، ومعرفة مآثرهم ومفاخرهم ،... ويعلمهم تعظيم القرآن الكريم ، وتعظيم السنة النبوية الشريفة ، وتعظيم العلم وكتبه وأهله ،...إلخ.

فقد كان الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم يقولون لأولادهم : علموا أولادكم المغازي ؛ فإنها شرف آبائكم . حتى ينشأ الولد تقيّاً نقيّاً محبّاً صالحاً متَّبِعاً ،.. وهذا من أولىٰ الواجبات .

= له (٥٩ رقم ٥٧) والمستدرك (٢ : ٤٨٧ – ١٨٨) وصحيح ابن حبان (٩ : ٤٨٢) وانظر فتح الباري (٩ : ٣٠١) للجمع بينه وبين حديث أنس رضي الله عنه في اعتزال النبي ﷺ زوجاته رضي الله عنهن .

(١) مسند أحمد (٢ : ٢٩٥ ، ٣٤٧ ، ٤٧١) ومصنف ابن أبي شيبة (٤ : ٣٨٨) ومسند الطيالسي (٣٢٢ رقم ٢٤٥٤) وسنن الدارمي (٢ : ٦٧) والمنتقى (٢٤١ – ٢٤٢) وسنن أبي داود : كتاب النكاح : باب في القسم بين النساء ، رقم (٢١٣٣) وسنن الترمذي : كتاب النكاح : باب ما جاء في التسوية بين الضرائر ، رقم (١١٤١) وسنن النسائي : كتاب عشرة النساء : باب ميل الرجل إلى بعض نسائه دون بعض (٧ : ٦٣) والسنن الكبرى (٥ : ٢٨٠ – ٢٨١) وسنن ابن ماجه : كتاب النكاح : باب القسمة بين النساء ، رقم (١٩٦٩) وشرح السنة (٩ : ١٥٠) ومشكل الآثار (١ : ٢١٦) والمستدرك (٢ : ١٨٦) وصحيح ابن حبان (١٠ : ٧) والسنن الكبرى للبيهقي (٧ : ٢٩٧) في آخرين .

وقد كان النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم يعتني بهؤلاء الأولاد ، فيعلمهم التوكل على الله سبحانه وتعالى ، والاعتماد عليه ،... حتى ينشؤوا كذلك .

لقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما : « يا غلام ؛ إني أعلمك كلمات ؛ احفظ الله يحفظْكَ ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنتَ فاستعن بالله ، واعلم أن الأمةَ لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء ؛ لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رُفعت الأقلام ، وجَفَّت الصحف ». رواه أحمد وابن السني وأبو نعيم والطبراني وعبد ابن حُميد والآجري ، وصححه الترمذي والحاكم ، وأقره الذهبي[1].

ـ كما عليه أن يعلمهم الأحكام والآداب الشرعية من الفروض والواجبات والسنن والنوافل ، وإذا خالفوا ـ ولو سُنَّةً ـ نبههم ، حتى ينشؤوا عارفين بالأحكام ، قائمين بها ، مُتّبِعين لها ، والنصوص في هذا الباب كثيرة ، أذكر نصين ، تعطينا صورةً عن تعليمهم وعدم إهمالهم .

---

(١) مسند أحمد (١ : ٢٩٣ ، ٣٠٣ ، ٣٠٧) وسنن الترمذي : كتاب صفة القيامة : باب (٥٩) رقم (٢٥١٦) ومسند عبد بن حُميد (٢١٤ رقم ٦٣٦) ومسند أبي يعلى (٢١٤ : ٤٣٠) والمعجم الكبير (١١ : ١٢٣ ، ١٧٨ ، ٢٢٣) (١٢ : ٢٣٨) وعمل اليوم والليلة (٢٥٤ - ٢٥٥ رقم ٤٢٥) والمستدرك (٣ : ٥٤١ ، ٥٤١ - ٥٤٢) والشريعة (٢ : رقم ٤١٢ - ٤١٣) وشعب الإيمان (١ : ٢١٦ - ٢١٧) (٢ : ٢٧ - ٢٨) والآداب له (٤٧٣ - ٤٧٤) والأسماء والصفات (٧٥ - ٧٦) وحلية الأولياء (١ : ٣١٤).

وقد ذكره ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم (١ : ٤٥٨ وما بعد) الحديث التاسع عشر ، وذكر له عدداً من الطرق ، وأنه ألف رسالةً فيه ، وشرحها . قلت : هي (نور الاقتباس في وصية النبي ﷺ لابن عباس) رضي الله عنهما ، وهي مطبوعة .

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه بات عند ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ وهي خالته ـ ،... فنام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، حتى إذا انتصف الليلُ ـ أو قبله بقليل ، أو بعده بقليل ـ استيقظ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فجلس يمسح النومَ عن وجهه بيده ، ثم قرأ العشرَ الآيات الخواتمَ من سورة آل عمران ثم قام إلى شَنٍّ معلقة فتوضأ منها فأحسن وضوءَه ، ثم قام يصلي .

قال ابن عباس : فقمتُ فصنعتُ مثلَ ما صنع ، ثم ذهبتُ فقمتُ إلى جنبه [في عامة الروايات : فقمتُ عن يساره] فوضع يدَه اليمنى على رأسي ، وأخذ بأذني يفتلها [فحوَّلني فجعلني عن يمينه] فصلى ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم أوتر ،... الحديث ، متفق عليه[1].

فقد خالف رضي الله عنهما سنةً من سنن الصلاة ، وهي الوقوف عن يمين الإمام ، فنبهه صلى الله عليه وآله وسلَّم بفعله عليها .

وعن عُمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما قال : كنتُ غلاماً في حَجْر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وكانت يدي تطيش في الصحفة ؛ فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « يا غلام ؛ سمِّ الله ، وكُل بيمينك ، وكل مما يليك ». متفق عليه[2].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب العلم : باب السمر في العلم ، وفي غيرهما . وانظر فتح الباري (١ : ٢١٢) لمعرفة أماكن العزو . وصحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين : باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ، رقم (١٨١ - ١٩٣).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الأطعمة : باب التسمية على الطعام والأكل باليمين ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الأشربة : باب آداب الطعام والشراب ، وأحكامهما ، رقم (١٠٨).

فقد خالف رضي الله عنهما في أدب من آداب الطعام ، فنبهه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم عليه . وهكذا يجب أن يكون .

وهناك نصوص كثيرة في هذا الباب ، لا يسع المجال لذكرها .

ـ كما يلزمه أن يعلمهم الأحكام والآداب الشرعية المتعلقة بالناس ، من الحب في الله تعالى ، والبغض فيه ، وتوقير الكبير ، والرحمة على الصغير ، وإجلال العالم ، وذي الشيبة المسلم ،... وحفظ اللسان ، والوفاء بالعهد ، وغض البصر ، وستر العورة ، وقبض اليد عن المحرمات ، والزهد في الدنيا ،... والغيرة ، وصلة الأرحام ، وبر الوالدين ، وإكرام الضيف ، وحسن الجوار ،... والاقتصاد في الملبس والمأكل والمشرب ، وموادَّة المسلمين ،... وحسن الاستئذان ، وعيادة المريض ، وتشميت العاطس ، وإماطة الأذى ، وحفظ السر ، والتعاون على البر والتقوىٰ ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعدم النيل من أعراض المسلمين ، وعدم التعالي عليهم ،... وتعليمه الآداب الاجتماعية ،...إلخ.

ومن ذلك : آداب النوم المبكر ، فلا سهر إلا في طاعة الله تعالى ، وقد كان أهل المدينة لا يعرفون السهر الذي نراه في هذه الأيام ، ولقد أدركتُ أهل المدينة وهم ينامون مُبَكِّرين ،... وقَلَّ أن ترىٰ إنساناً بعد انتهائهم من صلاة العشاء بنصف ساعة تقريباً إلا في بيته ، وهو يتهيأ للنوم ، وبالمقابل قلَّ أن ترىٰ واحداً قبيل الفجر ؛ إلا وهو قائم يصلي ، أو يذكر الله تعالى أو يصلي على نبيه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم . وهذا هو السنة . فمتى نعود إليها ؟؟؟ أسأل الله تعالى التوفيق .

ـ الحرص على عدم التعالي بالحسب أو النسب أو العشيرة أو القبيلة أو البلد ، أو المنصب والمكانة ،... خاصةً والمدينة بلدُ هجرة ، وتضم من مختلف الأعراق

والأجناس والألوان والبلدان ،... فلا يقال : أصله من كذا ، أو جنسُه كذا ،... أو يتعالى على غيره بنسبه أو بلده ، فإن البلدَ لا يقدِّس الإنسان ،... وإن النسبَ لا ينفع صاحبَه ـ خلا نسب النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ لأن العبرةَ بالتقوىٰ ، والمنزلة عند الله تعالى ، ولا فرق بين إنسان وآخر ، فكلهم أبناء آدم ؛ ومولودون من ذكر وأنثى ، ولا ينظر الله سبحانه وتعالى إلى الصور والأجساد ، ولكن إلى العمل والقلب ، لذا فمن أثار نعرةً فهي مردودةٌ عليه .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إن الله لا ينظر إلى صوركم [وفي رواية : أجسادكم] وأموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم ». رواه مسلم[1].

وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم في غزاة ، فكَسَع رجلٌ من المهاجرين رجلاً من الأنصار ؛ فقال الأنصاري : يا للأنصار . وقال المهاجري : يا للمهاجرين . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « دعوها ، فإنها منتنة ». متفق عليه[2].

ومعنى كسعه : أي ضربه بمشط قدمه على أليته .

ومما قاله رسول الرحمة صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ في خطبة أيام التشريق ؛ في مِنى ـ : « أيها الناس ، ألا إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، ألا لا فضلَ لعربي على أعجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أسود ، ولا لأسود على

---

(١) صحيح مسلم : كتاب البر والصلة : باب تحريم ظلم المسلم وخذله ،... رقم (٣٣ - ٣٤).

(٢) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة المنافقين : باب ﴿ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ﴾، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب البر والصلة : باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً ، رقم (٦٢ - ٦٤).

أحمر ، إلا بالتقوىٰ ،... ». رواه أحمد بإسناد صحيح[1].

ـ الحرص من ساكن المدينة المنورة أن يكون غايةً في التواضع ، والرحمة ، والشفقة ، والرأفة بعباد الله تعالى ، خاصة الضعفاء ،... فلا يرفع صوته ، ولا يتعالى على أحد ، ولا يتعامل بغلظة أو فظاظة ،... خاصة داخل المسجد النبوي الشريف ، لأن رفع الصوت فيه مدعاة لإحباط العمل ، والعياذ بالله تعالى .

فعن السائب بن يزيد رضي الله عنه قال : كنتُ قائماً في المسجد فحصبني رجلٌ ، فنظرتُ ، فإذا عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه فقال : اذهب فأتني بهذين . فجئته بهما . قال : مَن أنتما ـ أو مِنْ أين أنتما ؟ قالا : مِن أهل الطائف . قال : لو كنتما مِن أهل البلد لأوجعتُكما . ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم !! رواه البخاري[2].

كيف وقد حذر الله عز وجل من رفع الصوت فوق صوت النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وذلك بإحباط العمل ، فقال جل شأنه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴾[3].

ومثله عدم رفع الصوت عند المنبر الشريف أيضاً ، والله تعالى أعلم .

---

(١) مسند أحمد (٥ : ٤١١) ومجمع الزوائد (٣ : ٢٦٦) وانظر فيه (٨ : ٨٣ – ٨٤).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الصلاة : باب رفع الصوت في المسجد . والحديث له حكم الرفع ، وإن كان ظاهره الوقف على عمر ، وإلا لما هدَّدهم رضي الله عنه بالجلد .

وانظر : فتح الباري (١ : ٥٦١) وفضائل المدينة المنورة (٢ : ٢٢٩ – ٢٣٦) لبيان حكم رفع الصوت في المسجد .

(٣) سورة الحجرات (٢). وانظر الآيات التي بعدها كيف أدَّب الله تعالى الناسَ مع نبيه الكريم ﷺ.

وانظر أيضاً : عظيم قدره ﷺ ، رقم (٢٤).

ـ **العمل على ترسيخ حرمة المدينة المنورة في أذهان الناشئة** ،.. وتعليمهم حرمة المدينة ، ومنزلتها ، ومكانتها ، والواجب نحو هذه البلدة المباركة ، والأخذ بآداب العيش فيها ،... وتعليمهم المآثر الموجودة فيها ، وآداب العيش فيها ، وتدريسهم فضائلها ، ومناقبها ، وما ورد فيها في كتاب الله عز وجل ، وسنة نبيه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ،... والتحذير من مخالفتها ، والوعيد على العصيان فيها ،...إلخ.

وهذا يتوجب أن يكون الكبارُ أنفسُهم عارفين بما يتوجب عليهم من القيام بحق هذه المسؤولية .

وقد رأيت كثيراً من الكبار ـ سواء من أهلها أم من غيرهم ـ مع الأسف ـ لا يعرفون شيئاً عن مآثر هذه المدينة المباركة ، ومعالمها ،... وواجباتهم نحوها ، بل سمعت من يرى أن المدينةَ كغيرها من المدن والقرى ، لا فرق بينها وبين غيرها عنده ، وهذا جهل فاضح ، وغفلة كبيرة ، ونقص وعيب في أولئك ، والمشتكىٰ إلى الله تعالى ، إذ لو كانت كغيرها لما جاء فيها من الفضائل والمناقب ما ذكر .

ولغفلة كثير من الآباء عن ذلك شط كثيرٌ من الأولاد ، ووقعوا في كثير من المخالفات الشرعية والاجتماعية والخلقية ،... فمن صيدٍ لحمام الحرم ،... ومن إزعاج بإذاعةِ سيارةٍ أو بيتٍ ، أو سرعةٍ بسيارة ، أو تفحيط بها ، أو رفعِ صوتٍ بغناء ونحوه في الليل المتأخر ،... أو حركاتٍ مريبة ، أو عدم احترامٍ لكبيرٍ أو امرأةٍ ،...إلخ.

ـ **وعلى نساء المدينة أيضاً مساعدة الرجال في تربية الأولاد** ، وتعليمهم آداب البيوت ،... والسلام ، والجوار ،... وحفظ العورات ، والأسرار العائلية ،... فهذا هو شأن النساء الأُول من أهل المدينة .

عن ثابت البناني رحمه الله تعالى ، عن أنس رضي الله عنه قال : أتىٰ عليَّ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وأنا ألعب مع الغِلمان . قال : فسلَّم علينا . فبعثني إلى حاجة ، فأبطأت على أمي ، فلما جئت قالت : ما حبسك ؟ قلت : بعثني رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم لحاجة . قالت : ما حاجته ؟ قلت : إنها سر . قالت : لا تُحدِّثَنَّ بسرِّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أحداً .

قال أنس رضي الله عنه : والله لو حدثتُ به أحداً لحدَّثْتُك يا ثابت . رواه مسلم[1] .

ـ وعلى نساء هذه المدينة المنورة أن يكنَّ أسرعَ نساء الإسلام تطبيقاً لتعاليم الإسلام ، وأخذاً لتنفيذ أحكامه ومبادئه ، وأخذ أنفسهن بالحشمة ، والتطبيق ،... لأن هذه هي صفة نساء الأنصار رضي الله عنهن .

فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : ...ما رأيت أفضل من نساء الأنصار ؛ أشدّ تصديقاً بكتاب الله ، ولا إيماناً بالتنزيل . لقد أُنزلت سورة النور ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ... ﴾[2] انقلب رجالهن إليهن ؛ يتلون عليهن ما أنزل إليهن فيها ، ويتلو الرجلُ على امرأته وابنته ، وأخته ، وعلى كل ذي قرابته ، فما منهن امرأة : إلا قامت إلى مرطها الـمُرَحَّل ؛ فاعتجرت به ، تصديقاً ، وإيماناً بما أنزل الله من كتابه ، فأصبحن يصلين وراء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم الصبحَ معتجرات ؛ كأن على رؤوسهن الغربان . رواه ابن أبي حاتم بإسنادين مطولاً ومختصراً ؛ أحدهما صحيح ، والثاني حسن ، ورواه أبو داود مختصراً ،

(١) صحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب من فضائل أنس بن مالك رضي الله عنه ، رقم (١٤٥ – ١٤٦).

(٢) سورة النور (٣١).

كما رواه من حديث أم سلمة رضي الله عنها مختصراً أيضاً ، بإسناد حسن[1]، والله تعالى أعلم .

وقولها : مرطها المرَحَّل : أي كساء أو إزار أو ثوب ،... يكون من صوف أو خز أو غيره ، وعليه صور رِحال الإبل .

ـ **على ساكن المدينة المنورة أن يكون حريصاً على الموت فيها** ، والدفن فيها ، والحشر منها ،... لينال الشفاعةَ أو الشهادة ـ الخاصَّةَ ـ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، بمن ولمن يموت في المدينة ، وهذه منزلة عالية ، لا يشاركه فيها أحد ممن هو خارجها .

وقد مر قولُه صلى الله عليه وآله وسلَّم : « من استطاع أن يموت في المدينة فليمت بها فإني أشفع لمن يموت في المدينة ». رواه أحمد وابن ماجه ، وصححه الترمذي وابن حبان والإشبيلي ، ورواه النسائي من وجه آخر .

لذا لا يُكثر الساكنُ فيها الحريصُ على الموت فيها الخروجَ منها ، وإن خرج فلا يطيل البعد عنها إلا لضرورة ، والله تعالى أعلم .

ـ **على ساكن المدينة المحافظة على الأموال العامة والخاصة فيها لأنه مسؤول عن ذلك كله** ، سواء كان موظفاً أو عاملاً في أي جهة كان ،... فإن كان موظفاً ؛ فلا يختلس ولا يسرق ولا يأخذ أكثر من حقه ، من صاحب العمل ، وكذا لا يجوز له أن يقبل هديةً أو رشوة ، أو نحو ذلك ،... مقابل عمله الذي يؤديه ؛ إذا

---

(١) سنن أبي داود : كتاب اللباس : باب في قوله تعالى : ﴿ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ﴾، رقم (٤١٠٠ ، ٤١٠١) وتفسير ابن أبي حاتم (٨ : ٢٥٧٥) وتفسير ابن كثير (٣ : ٢٨٤) والدر المنثور (٦ : ١٨١ – ١٨٢) وزاد نسبته لابن مردويه .

كان يأخذ أجرةً على عمله ، لأن ذلك كله غُلولٌ ـ والعياذ بالله تعالى ـ يأت به يوم القيامة ، يحمله على كتفه .

فعن بُريدة بن الحُصَيْب الأسلمي رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « من استعملناه على عمل ؛ فرزقناه رزقاً ، فما أخذه بعد ذلك ؛ فهو غُلول ». رواه أبو داود بإسناد صحيح ، وصححه ابن خزيمة والحاكم وأقره الذهبي ، ورواه البغوي والبيهقي[1].

وعن أبي حُميد الساعدي رضي الله تعالى عنه ـ في قصة ابن اللُّتْبِيَّة ـ قال : فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم على المنبر ، فحمد الله وأثنىٰ عليه ، وقال : « ما بال عامل أبعثه فيقول : هذا لكم ، وهذا أُهدي لي ، أفلا قعد في بيت أبيه ، أو في بيت أمه ، حتى ينظر أيُهدى له أم لا ، والذي نفس محمد بيده ؛ لا ينال أحدٌ منكم منها شيئاً ؛ إلا جاء به يوم القيامة ؛ يَحمله على عنقه ؛ بعيرٌ له رُغاءٌ ، أو بقرةٌ لها خُوارٌ ، أو شاةٌ تيعر » ثم رفع يديه حتى رأينا عُفْرَتَيْ إبطيه ، ثم قال : « اللهم هل بلغتُ ؟ » الحديث ، متفق عليه[2].

فكل ما يأخذه العاملُ أو الموظفُ وغيرُهما من هدايا ونحوها محاباةً وتخفيفاً : فهو حرامٌ ، لأنه خيانةٌ ، وبخس للحق الواجب عليه استيفاؤه لأهله ، والله تعالى أعلم .

وكل ما يتدرع به إلى محظور أو يوصل إليه ،... فهو محظور ، ولو كان قرضاً

---

(١) سنن أبي داود : كتاب الخراج والإمارة : باب في رزق العمال ، رقم (٢٩٤٣) وصحيح ابن خزيمة (٤ : ٧٠) والمستدرك (١ : ٤٠٦) وشرح السنة (١٠ : ٨٩) والسنن الكبرى (٦ : ٣٥٥).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الهبة : باب من لم يقبل الهدية لعلة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإمارة : باب تحريم هدايا العمال ، رقم (٢٦ – ٢٩).

يجر منفعةً ، اللهم إلا أن يكون ممن كان يَقبل منه ذلك قبل عمله ، لكن لا بد أن يكون على الحالة السابقة ؛ من غير زيادة أو مصلحة ، والله تعالى أعلم .

وكذا لا يأكل مال غيره ، ولا يظلم أحداً ، ولا يعتدي على أحد ، لأن هذه هي سمةُ أهل المدينة المنورة ، حيث قال الله عز وجل فيهم : ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1]، والله تعالى أعلم .

- وكذا يلزم كل من يقوم بعمل - مهما كان - أن يؤديه على الوجه المطلوب ، المتفق عليه ، لأن ذلك من الأمانة ، كما قالت ابنة صاحب مدين لأبيها ؛ عن موسى عليه السلام : ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾[2].

ولأن هذا من النصيحة لعامة المسلمين .

لذا عليه أن يكون غايةَ الأمانة في الأداء والعطاء ، فلا كتمان ولا نقصان ولا تقصير .

فعن عدي بن عَمِيرة الكندي رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « من استعملناه منكم على عمل ، فكتمنا مِخْيَطاً [إبرة] فما فوقه ؛ كان غُلولاً [خيانة] يأتي به يوم القيامة ». رواه مسلم[3].

- الحرص على خيرات المدينة المنورة ، خاصة المياه ، لأن المدينةَ قليلةُ الأمطار ، قليلةُ المياه ، لذا لا يجوز الإسراف في صرف المياه فيها ؛ سواء كان ذلك في غسل السيارات ،... أو غسل البيوت ، أو السلالم [الدرج] وغير ذلك .

---

(١) سورة الحشر (٩).

(٢) سورة القصص (٢٦).

(٣) صحيح مسلم : كتاب الإمارة : الباب السابق ، رقم (٣٠).

لأنه إذا جاء التحذير من الإسراف في الوضوء والطهارة ؛... وهما واجبان شرعاً ؛ فما ليس بواجب من باب أولىٰ .

ومياهُ المدينة المنورة عامتها جوفية ، وإن كان قد غار أو رُدم كثير من الآبار فيها ، وضياعُ الخير إما بالإسراف فيه ، أو بارتكاب المعاصي والآثام ، لذا فليحذر المسرفُ من أن يكون سبباً في إنقاصها . كما أن على مرتكب المعاصي والذنوب ألا يكون من أسباب ضياع الخير .

وقد جاء التحذير من الله عز وجل ـ بالنسبة للماء ـ بأمور ثلاثة : إما أن يحبس القطرَ من السماء ،... وهذا ظاهر في هذا الزمان . وإما بتغوير المياه وإذهابها في جوف الأرض ، وهذا مشاهد في هذا الزمان أيضاً ، إذ جفاف الآبار ، وتغوير الماء منها مشاهد هو الآخر . وإما بتغيير طبيعة المياه ، من تَمَلُّح ومرارة ونحو ذلك ، وإن كان هذا لم يقع في المدينة الآن ، ولله الحمد ، لكنه وقع في بعض البلاد .

والعالَمُ ـ في تصور بعضهم ـ مُقبِلٌ على جفاف . ونسمع الحديثَ يدور في البحث عن مصادر المياه ، ويتخوف الناس من حروب بسبب المياه ، لذا على ساكن المدينة المنورة ألا يكن سبباً في تقليل مياهها ، أو ضياعها ـ لا سمح الله تعالى ـ وذلك بإسرافه ، أو بمعصيته لله تعالى .

ومن ذلك العناية بالشجر وخاصة نخيل المدينة ، حيث بدأ الزحفُ على مزارعها من ناحية ، وتقليل أنواع النخيل من ناحية أخرى ، مما قلَّص عددَ أنواعها ، وهذا ليس من اللائق ، لذا على مصلحة الزراعة والأمانة وأصحاب البساتين ،... زراعةُ ما بدأ بالانقراض من شجرها ، والله تعالى أعلم .

ـ العمل على تعمير المدينة ،... واستصلاح أراضيها ، وزراعة بساتينها ، وإيجاد المنافع فيها ، وقيام المصانع والمعامل فيها ، والعمل على صرف أموال أهلها فيها ،

لا أن تُصرف خارجها ، فعلى الأغنياء فيها استغلال أموالهم في مشاريع ، بما يعود النفع على أهلها بالخير والسعادة والرفاهية ؛ من بناء المدارس والمستشفيات والكليات والمعاهد ،... لأن هذا من أوائل حقوق المدينة على أهلها ، خاصة والجالب إليها مرزوق ولله الحمد ، والله تعالى أعلم .

ـ **الحرص على الحفاظ على الترابط الأسري والعادات الجميلة** والتقاليد الاجتماعية التي كانت موجودةً ، وقائمةً بين الأُسر في المدينة المنورة ، حيث كانت فيها عادات وتقاليد وَ... غاية في الأهمية ، وقد أدركتُ بعضها ، وقد بدأت الآن تضعف ،... كما بدأت بعضُ الأسر بالتفكك ، نتيجة مشاكل الحياة ، والانغماس في أمور الدنيا ، ولم يعد الأقارب يلتقون ـ غالباً ـ إلا في المناسبات ، بعكس ما كانوا عليه .

كيف كان الجيران يتعاملون ؟... وكيف كان أصحاب الدكاكين والمحلات يتعاملون ؟ وكيف كان الاحترام بين الكبير والصغير ؟... كل ذلك بالاحترام والمحبة والتقدير ، كيف كان حمل الضعيف ؟... وجبر الكسير ؟... وإن كان ـ والحمد لله تعالى ـ مازال موجوداً في كثير من الأُسر فيها ، وبدأ الناس يتحسسونها من جديد .

أذكر حادثة رأيتها بعيني ، وما زالت مؤثرة في نفسي ، وذكرتُها في عدد من المناسبات :

خرجت من معتكفي بعد صلاة العيد من المسجد النبوي الشريف عام (١٣٨٦ هـ) وبعد زيارة أهل البقيع ـ كما هي عادة أهل المدينة المنورة ـ قررتُ ومعي بعض الأخوة ـ رحم الله تعالى من مات منهم ـ أن نفعل مثلَ أهل المدينة ، في زيارة البيوت ومعايدة أهلها ، فتوجهنا إلى منطقة باب قباء ، ولا نعرف أحداً من الناس ،

فجئنا أولَ البيوت وكان فوق مخفر شرطة باب قباء آنذاك ، [لأنه الآن أُزيل] ووجدنا البابَ مفتوحاً ، فسلَّمنا على أهل الدار ، واستأذنا بالدخول ، فأجابتنا امرأةٌ ـ من خلف الحجاب ـ بالتحية والترحاب ، وأَذِنت لنا بالدخول ، واستقْبَلَنا طفلٌ صغيرٌ ؛ بين الرابعة والخامسة من العمر ،... يلبس لباسَ العيد ، ودخلنا غرفة الضيوف ـ وهي على جهة اليمين من باب الدار ـ وقد وُضع على الطاولة الحلويات ، وما لذ وطاب من طعام أهل المدينة وسأَلْنا عن صاحب الدار ؟ فكانت المفاجأة المحزنة ،... لنا جميعاً ، عندما خاطبتنا المرأةُ من وراء الحجاب قائلةً : أيها الكرام ، باشروا أنتم ،... فوا لله ما عندنا وَلِيٌّ في البيت إلا هذا الولد الصغير الذي أمامكم ، فإن صاحبَ الدار قد مات البارحة ، ففغرنا بالبكاء ، وتألمنا أشد الألم ،... فقال لها أحدُنا ـ وهو فضيلة الشيخ عبد الرؤوف الحناوي رحمه الله تعالى ، وهو من أهل دمشق ، ويدرِّسُ في الرياض ـ : لِمَ فتحتِ البيتَ إذاً ؟ فقالت : ما أردت أن أغلقه ، وقد كانت عادةُ صاحبه أن يفتحه هذا اليوم ، وحتى تبقىٰ عينُ هذا الولد مفتوحةً ،... فخرجنا ونحن في غاية التأثر ، بعد أن قبَّلنا هذا الولدَ ، ودعونا الله عز وجل له أن يبقيه ذخراً لوالدته ، وأن يَحفظه لها ، ويجعله من خيار عِباده وعُبَّاده . ولا أعرف الولد الآن .

ـ وفي ختام هذا المبحث أقول : يلزم المحافظة على آثار المدينة ؛ المنقولة ، وغير المنقولة ، لأن كثيراً من معالم السيرة النبوية الشريفة لا تُعلم إلا إذا عُرف موقعها ، والأممُ حريصةٌ على آثارها ، مع أن آثارها لا تعادل شيئاً بالنسبة للآثار الإسلامية ،... بل تحافظ على آثار غيرها ، سواء في متاحفها ، أو في بلدانها مع أنها ليست لها ، كما هو الحال في الآثار الإسلامية في إسبانيا ،... وأغلبُ الآثار الإسلامية هي في

منطقة المدينة ، وقد خفيت معرفتُها على كثير من أهلها ، فضلاً عن غيرهم ، وقد سألت كثيراً من أهل العلم والفضل عن قضايا وردت في الحديث الشريف وفي السيرة النبوية فلم يعرفوها ، أما غير هؤلاء فهم أبعد من ذلك ، إذ لا يعرفون كثيراً من البدهيات في مواقع السيرة وقد عرفت ذلك من طلابي في الجامعة عند تدريسي الحديث الشريف والسيرة النبوية الشريفة ،... فإذا كان طلابُ الجامعات لا يعرفون ذلك والمفروض فيهم ذلك ، فمَن سواهم من باب أولىٰ .

وهذا والله عقوق ، بل لعله أدنى مراتب العقوق ،... وإلا فكيف بمسلم لا يعرف أين وُلد نبيُّه الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وأين مكان قبره ، وكم بينه وبينه من الزمن ؟؟؟ والأمم تحرص على بقايا مِن آثار أجدادها ،... وتجعل لها المتاحف لتعرِّف الحاضر بالماضي .

علماً بأن الله تعالى قد شرع لنا المحافظةَ على الآثار ، وذكرها في كتابه الكريم ، بل شرع كثيراً من العبادات وربطها بأمكنة وأزمنة لها سابقة في الذكر لأمم سابقة ، مما يُعد محافظة على الآثار .

فقد جعل الله تعالى مقامَ إبراهيم عليه السلام مصلًّى ، بعد طلب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال الله جل شأنه : ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾[1] .

وجعل الصفا والمروة من شعائره جل شأنه ، وأمر بالسعي بينهما ، تذكيراً بما فعلته هاجرُ أمُّ إسماعيل عليه السلام ، يوم نفد الماءُ منهما ، وصارت تبحث عن غواث ، فقال الله تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾[2] إضافة إلى الرَّمَل ، والرجم ، وغيرهما كثير .

(١) سورة البقرة (١٢٥).

(٢) سورة البقرة (١٥٨).

والنبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم هو أول من حثَّ على المحافظة على آثار المدينة ، فمن سعى إلى الحفاظ على آثار المدينة المنورة فقد أحيىٰ سنتَه صلى الله عليه وآله وسلَّم .

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : نهىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم عن آطام المدينة أن تهدم .

وفي رواية عنه رضي الله عنهما ، قال صلى الله عليه وآله وسلَّم : « لا تهدموا الآطام ؛ فإنها زينة المدينة ». رواه الطحاوي ـ من طريقين ـ والبزار ، ورجالهما رجال الصحيح ، وحسنه الحافظ في مختصر البزار[1].

والآطام : جمع أُطُم ، وهو الحصن المبني بالحجارة ، ويشملُ كلَّ بناء مرتفع ، وقيل : كل بيت مربع مسطح ، وقد بقيت هذه الآطام إلى زمن قريب ، كما حدثني بعض أهل المدينة ، وهم يعرفون مواقعها ، وهي قريبة من بيوتهم ، لذا فكل ما هو زينة للمدينة مما هو من آثارها ؛ فلا ينبغي هدمُه وإزالته ، والله تعالى أعلم .

وإذا كان صلى الله عليه وآله وسلَّم أمر بالمحافظة على هذه الآطام ونهىٰ عن هدمها ـ مع أنها من آثار الجاهلية ـ فكيف بالمآثر الإسلامية والخاصَّة بالنبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم وصحابته الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم وقد فعل ؟؟؟.

خاصة وأن هناك كثير من معالم السيرة النبوية الشريفة لا تُعرف السيرةُ النبوية على وجه الدقَّة والتحديد إلا بها ، وقد بدأت هذه المعالم بالاندثار ، لذا

---

(١) شرح معاني الآثار (٤ : ١٩٤) وكشف الأستار (٢ : ٥٤) ومجمع الزوائد (٣ : ٣٠١) ومختصر زوائد مسند البزار (١ : ٤٧٨) وانظر التعليق على كشف الأستار .

ازداد الجهل بالسيرة النبوية كثيراً ، والمشتكىٰ إلى الله عز وجل .

ثم إن الله تعالى أخبرنا عما حصل في الأمم السابقة وكيف حفظ الله تعالى آثار موسى وهٰرون على نبينا وعليهما الصلاة والسلام ، أتت بها الملائكة .

قال الله عز شأنه : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾[1] .

قال الإمام الطبري رحمه الله عند قوله تعالى[2] : ﴿ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ ﴾ جائز أن تكون تلك البقية : العصا ، وكسر الألواح ، والتوراة ـ أو بعضها ـ والنعلين ، والثياب.اهـ. وكان قد نقل عن بعض المتقدمين أنها : عصا موسى ، وعصا هٰرون ، والمن ، وبعض الألواح ، وثياب موسى ، وثياب هٰرون . وهذا قول عامة المفسرين .

فإذا حفظ الله تعالى بعضَ آثار موسى وهٰرون على نبينا وعليهما الصلاة والسلام ، ألا نُحافظ ـ نحن معشر الأمة ـ على آثار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ؟؟؟ وهو صلى الله عليه وآله وسلَّم الأَوْلىٰ منهما بذلك ؟؟؟.

ثم إن الله عز وجل أمرنا بالسير في الأرض لننظر آثار المشركين ، فنتعظ بها ، ولا نقع فيما وقعوا فيه ـ من الكفر والعصيان ـ فيصيبنا ما أصابهم ، كعاد وثمود ،... كما علينا أن نعتبر بأفعال المسلمين ، لنعمل مثلَ ما عملوا ، ونصنع مثلَ ما صنعوا ، والله تعالى أعلم .

---

(١) سورة البقرة (٢٤٨).

(٢) تفسير الطبري (٤ : ٣٣٠ - ٣٣٤) وانظر أصحاب الأقوال فيه .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾(1).

وقال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾(2).

وقال تعالى عن قوم صالح : ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓاْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾(3).

فإذا كان هذا في آثار السابقين ، ولا تتم العظة إلا بمشاهدتها ، فكيف بآثار الإسلام الأولىٰ ؟ أسأل الله تعالى التوفيق والهداية .

لذا فإني أقترح ثلاثةَ أمور :

١ـ إنشاء متحف ؛ يوضع فيه كل ما يعتبر من الآثار ، فإن كان يسهل حملُه ونقلُه نُقل ، وإلا وُضع رسمٌ له ، على أن يُكتب عند كل أثر : مكانتُه ، ومنزلتُه ، ووضعُه في تاريخنا ،...إلخ.

٢ـ وضع مجسم للمدينة المنورة ، توضح فيه جميع الأماكن الأثرية ، وبيوت الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، والمعالم المهمة .

٣ـ رسم صورة كبيرة للمدينة المنورة ، يوضح فيها المعالم القديمة التي نسيها الناسُ ، كتحديد بيت أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه ، وبيت كلثوم بن الهِدْم رضي الله عنه ، وغزوة أحد ومعالمها ، وغزوة الخندق ومعالمها ، وسقيفة بني ساعدة ،.. وغيرها من المعالم ، لأن مثلَ هذه الصورة ، وكذا المجسم : لها تأثير

(1) سورة النحل (٣٦) وانظر : سورة الأنعام (١١) وسورة النمل (٦٩).

(2) سورة الروم (٩) وانظر : سورة غافر (٢١ ، ٨٢) وسورة محمد (١٠).

(3) سورة النمل (٥٢).

كبير في معرفة كثير من قضايا السيرة النبوية الشريفة ، والله تعالى أعلم .

والأمم تسعى جاهدة في تعريف أبنائها بمعالم تواريخهم ، وخاصة ما كان فيه لها فخر واعتزاز ، لذا فإنها تنشئ المتاحف المختلفة لتعريف الحاضر بالماضي ؛ كالمتحف الحربي ، والمتحف الوطني ،... وغيرهما ، وتنفق عليها الأموال الطائلة ،... بل رب صورة تباع بالملايين ، وليس لبلد أو أمة لها من تاريخها ما تفخر به ما لهذه الأمة ، علماً بأن كثيراً من آثار هذه المدينة المنورة توجد في متاحف مختلفة ، ولها عناية خاصة لذا كان الأولىٰ أن يكون هذا المتحف في موقع الأحداث ، لا خارجه ، والله تعالى أعلم .

أرجو الله تعالى أن يحقق الآمال ، إنه نعم المولىٰ ونعم النصير

☆☆☆☆☆

المبحث الثاني

مسؤوليتة تجاه القادمين إليها

ولمكانة هذه المدينة المنورة المباركة ، ولدعوة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم بتحبيبها : « اللهم حبِّب إلينا المدينة »[1] ودعوةِ قلوب المؤمنين من جميع الأقطار بالإتيان إليها : « اللهم أقبل بقلوبهم »[2] وبيانِه صلى الله عليه وآله وسلَّم فضلَ المجاورة فيها ، والترغيب في سُكناها ، وحثِّه صلى الله عليه وآله وسلَّم الدائب على الموت فيها ،... إضافة إلى وجوده صلى الله عليه وآله وسلَّم فيها ، ووجودِ مسجده الكريم فيها ،...إلخ. كل ذلك جعل القلوبَ تهواها ، وتحنُّ إلى رؤيتها ، وترغب في زيارتها ، وتشتاق لسكناها ،...إلخ.

فكيف يعامَل هؤلاء المحبون القادمون ؟

وقبل الجواب على هذا السؤال أقول :

إن أغلبَ ما مر في المسؤولية تجاه المدينة المباركة وأهلها ؛ مطلوبٌ هو الآخر تجاه القادمين إليها ،... كما أن أغلب المطلوب تجاه القادمين إليها مطلوبٌ هو الآخر تجاه المدينة المنورة وأهلها أيضاً ، لكن فصلت بينهما للتقريب ، والله تعالى هو المعين .

ـ إن أولىٰ الواجبات : **القيام بشكر هذه النعمة** ، حيث اختصه الله تعالى بها دون ملايين المسلمين ، فجعله ينال من الثواب ما لم ينله أحدٌ ممن هم خارج

---

(١) متفق عليه ، من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها ، وقد مر ذكره .

(٢) من حديثي جابر وزيد رضي الله عنهما ، وقد مر ذكرهما .

المدينة ، لذا يلزم أن ينعكس ذلك بحسن استقباله القادمين ، وحسن معاملتهم ، وصادق مودتهم ، وأن يكون غاية في التواضع ، والشعور بالمسؤولية ، لأن ذلك هو صفة أهل المدينة ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

ـ إن المسلمين **ينظرون إلى المدينة المنورة** على أنها أفضل البلدان ، وإلى أهل المدينة نظرة غاية في التجلة والاحترام ، وأنهم أفضلُ الناس ، ويُكنّون لهم من المودة والاحترام ، والتقدير والمحبة وَ... الشيءَ الكثير . وسبب نظرتهم هذه : لأنهم جيرانُ النبيِّ المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، اختصهم الله عز وجل بذلك ، وجار الكريم يُكرم ، والجار يتأثر بجاره ، والجار أحق بصقبه ، ولأنهم أولاد الصحابة الكرام من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم ، وأن كل ما يصدر عنهم فهو محسوب على الإسلام...إلخ.

لذا يلزم أهل هذه المدينة المنورة ممن اختصهم الله جل جلاله بهذا الجوار : أن يكونوا قدوةً حسنةً ؛ في كل شيء ، في العقيدة ، والعبادة ، والمعاملة ، والأخلاق ، والأحوال وَ...إلخ. فيعطوا صورةً حسنة عمن هم بِجِواره صلى الله عليه وآله وسلَّم ،... ولا يعطوا صورةً معكوسةً عمن هم فيها ،... خاصة وقد ذكرتُ قبلُ : أن عملَ أهل المدينة يعتبر ـ فيما مضى ـ من التشريع عند المالكية ، وهو مرجح عند كثيرين أيضاً ، والنفوسُ تميل إلى ذلك ، لأنهم جيرانُ النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وأبناءُ الصحابة رضي الله عنهم وأحفادُهم .

وهذا ما يلاحظ الآن ، حيث بدأ بعضُ أئمة المساجد ـ في بعض الأقطار ـ يُطيلون في دعاء القنوت ـ في الوتر ـ في شهر رمضان ، لأن الأئمةَ في الحرمين

الشريفين صاروا يطيلونه ، مع أن إطالته ليست من السنة ، وقد ذهب الإمام أحمد رحمه الله تعالى[1] إلى عدم جواز الدعاء بغير المأثور ، كما نص عليه ابنُ هبيرة ، وهو مكروه عند كثيرين .

وكذا القبض بعد القيام من الركوع ؛ ولم أعثر على نصِّ حديثٍ صحيحٍ صريحٍ بخصوصه ،... ولا أعلم أحداً من أئمة الفقه السابقين استحسنه ، فضلاً عمن رآه سنةً ، أو واجباً ، إنما ورد في رواية قصيرة عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى بالإباحة ، والكثيرُ من أئمة الحنابلة لا يرونه[2]، وهو ما عليه عامةُ المذاهب الأخرى .

وهناك أمور غيرها كثير ، والله تعالى أعلم .

فالناسُ تبعٌ لأهل المدينة ، وكذا مكة .

لذا أرجو من الله سبحانه وتعالى أن يكون ساكنُها من أهل الخير ؛ حتى يحمل الناسُ عنه كلَّ خير إن شاء الله تعالى ،... وأن يكون مَظْهَراً حقيقياً لصاحب الشريعة صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ومثالاً صادقاً للمسلم الصالح .

ـ أن يكون **محباً للقادمين إليها ، مسروراً بقدومهم** ، غيرَ متضجر من حضورهم ،... لأنهم استجابةُ دعوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم « اللهم أقبل بقلوبهم » وَ « اللهم حبِّب إلينا المدينة » لذا فإن أعداداً كبيرةً تقدم هذه البلدة المباركة لزيارة ، أو هجرة ، وهؤلاء مؤمنون مُحِبّون ، ولما كان المؤمنون إخوة ، فكيف يستقبل الأخُ أخاه إذا حضر بعد غياب ؟ إضافة إلى أن هذه الصفة هي صفة أهل المدينة المنورة ، كما قال تعالى في وصفهم : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ

---

(١) الإفصاح (١ : ١٤٢).

(٢) انظر : الإنصاف للمرداوي (٢ : ٦٣) وحاشية المحرر لابن مفلح (١ : ٦٢) والفروع (١ : ٤٣٣).

﴿وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ﴾[1]، والله تعالى أعلم .

ـ **التواضع ، وحسن العشرة ، وإيثارهم على أنفسهم** ،... مع احتياجهم إلى ما بأيديهم ، والبدء بالضيف قبل البدء بالنفس ، وتقديم حاجة الضيف المحتاج على حاجة نفسه وأهله ،... لأن ذلك من القيام بشكر هذه النعمة ، وهذه هي سيما أهل المدينة قديماً .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه وأرضاه ، أن رجلاً أتىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فبعث إلى نسائه ، فقلن : ما مَعَنا إلا الماء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « من يَضم ـ أو يضيف ـ هذا ؟ » فقال رجل من الأنصار : أنا ، فانطلق به إلى امرأته ، فقال : **أكرمي ضَيفَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم** . فقالت : ما عندنا إلا قوتُ صبياني . فقال : هيئي طعامَك ، وأصْبِحي سراجَك ، ونوِّمي صبيانك ؛ إذا أرادوا عَشاء ، [زاد مسلم في روايته : وقرِّبي للضيف ما عندك] فهيأت طعامَها ، وأصبحت سراجَها ، ونوَّمت صبيانَها ، ثم قامت ؛ كأنها تصلح سراجَها ، فأطفأته ، فجعلا يُرِيانه أنهما يأكلان ، فباتا طاويَيْن ، فلما أصبح ؛ غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فقال : « ضحك الله الليلة ـ أو عجب ـ من فعالكما » فأنزل الله : ﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[2]. متفق عليه ، وهذا لفظ البخاري[3].

---

(١) سورة الحشر (٩).

(٢) سورة الحشر (٩).

(٣) صحيح البخاري : كتاب مناقب الأنصار : باب ﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞ﴾، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الأشربة : باب إكرام الضيف ، وفضل إيثاره ، رقم (١٧٢ - ١٧٣).

فقد أطعما ضيفَهما طعامَ صبيانهما ، وباتا وصبيانُهما طاوين ،... ثم كيف أطفأت السراج ،... وجعلا يُريانه أنهما يأكلان ، وما كانا يأكلان شيئاً ، لذا استحقّا هذا الثناء من الله عز وجل ، وصار ما فعلاه دستوراً لأهل المدينة يحتذي به مَن بعدهما ، رضي الله عنهما وعن سائر الصحابة الكرام ، وعمن سلك سبيلهما مِن بعدهما .

ـ **عدم التبرم والانزعاج والتضايق مما يحصل من القادمين إليهم** ، لأنهم أهل سفر ، والسفر له منغصات ، لذا فليَتَحَلَّ ساكنُها بالصبر مما يلاقيه من الأذى ،... اقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وامتثالاً لما يقع في جنب الله سبحانه وتعالى ، وليذكر كثرةَ الآيات التي تحث على الصبر ، حيث زادت على (١٠٠) آية ، إضافة إلى أن هذا من لأواء المدينة .

وقد مر حديث أنس رضي الله عنه ، في قصة الأعرابي ، وكيف جبذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، حتى أثّر ذلك في صفحة عنقه الشريف ، وأغلظ له بالقول .

كما هناك نصوص كثيرة فيها بيان حسن معاملته صلى الله عليه وآله وسلَّم للجفاة من الأعراب ، وصبره عليهم ، ذكرتُ طرفاً منها في غير هذا الكتاب .

لذا فمن رضي أن يكون نازلاً منازلَهم : فليتأدب بآدابهم ، وليتجمل بأحوالهم ، وليتخلق بأخلاقهم ، وليتصف بصفاتهم ، وليتحل بشمائلهم ، وليفعل فعالهم ، والله تعالى أعلم .

ـ **حسن استقبال هؤلاء الضيوف وإكرامهم** ، وحسن التعامل معهم ، وخدمتهم ، ومساعدتهم ، والعناية بهم ،... وعدم إيذائهم ، أو التقصير معهم ،... لأن هذا كله من الإيمان ،...إلخ. وإذا كان هذا في الضيوف عامة ، فكيف بالضيوف في المدينة المنورة ؟؟؟.

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر : فلا يؤذي جارَه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ،... ». متفق عليه[1].

وعن أبي شُرَيح الخزاعي رضي الله عنه قال : سمعت أذناي وأَبْصَرَت عيناي [ووعاه قلبي] حين تكلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم فقال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفَه جائزتَه ». قالوا : وما جائزتُه يا رسول الله ؟ قال : « يومُه وليلتُه ، والضيافة ثلاثة أيام ، فما كان وراء ذلك فهو صدقةٌ عليه ». متفق عليه[2].

وقد كان المهاجرون : يَنزلون على الأنصار رضي الله عنهم جميعاً - إن عرفوهم - وإلا نَزَلوا في الصُّفَّة ،... فإن جاءت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم صدقة ؛ وزَّعها صلى الله عليه وآله وسلَّم عليهم ، ولم يُصب منها شيئاً ، وإن جاءته هدية أكرمهم بها ، ونال منها ، وإن لم يأته شيء وزعهم على بيوت المسلمين ليضيفوهم ، كما مر في حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، والذي فيه قول الأنصاري لامرأته رضي الله عنهما : أكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم . مع أن هؤلاء الضيوف ليسوا خاصِّين بالنبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، إنما هم ضيوف الإسلام ، كما في حديثه رضي الله عنه عند البخاري[3].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره » وباب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه ، وفي غيرها . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب الحث على إكرام الجار والضيف ،... رقم (٧٤ - ٧٦).

(٢) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٧٧) وفي كتاب اللقطة : باب الضيافة ونحوها ، رقم (١٤ - ١٦).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الرقاق : باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم عن الدنيا .

وهذا ديدنهم رضي الله عنهم منذ القديم ،... توارثوه كابراً عن كابر ، وجيلاً عن جيل ، وقد ذكرت ـ في مقدمة الفصل الثاني ـ كيف كان أهلُ المدينة من الأوس والخزرج ، قبل الإسلام يعاملون تُبَّعاً الحِميري .

وقد استمر أهلُ المدينة المنورة على هذا المنوال ، من زمن الأجداد ؛ إلى عهد قريب ، وأسأل الله تعالى أن يكرم أهل المدينة بالمحافظة على تلك المآثر ، حيث كانوا يُنْزِلون الزوار في (القاعات) ولا يأخذون منهم أجراً ، وإذا لم ينزل على واحد منهم ضيف ؛ يبقى يندب حظه ، ويتأسف ، لأن الله جل شأنه لم يرسل له ضيوفاً في ذلك العام ، وقد حدثني عدد من أهل المدينة عن آبائهم ذلك . فجزاهم الله تعالى عن المسلمين قديماً وحديثاً خير الجزاء ، وأكرمهم بما يستحقون من ثواب وأجر .

ـ **أن يقوم بالواجب الديني نحو إخوانه المؤمنين** ،... سواء كانوا قادمين ، أو غيرهم ، فيحب لهم ما يحبه لنفسه ، ويكره لهم ما يكرهه لنفسه ، فيحب لهم الخيرَ ومستلزماته ، ويكره لهم الشرَّ ومتطلباته ،... لأن هذا كله من مستلزمات الإيمان .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أنه قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يُحب لأخيه ما يُحب لنفسه ». متفق عليه[1].

فكل ما يحبه لنفسه مما هو مشروع ومطلوب : يلزمه أن يُحبه لإخوانه المؤمنين ، وكل ما يكرهه مما هو غير مشروع ؛ فعليه أن يكرهه لإخوانه المؤمنين أيضاً . ولو تمسك المسلمون بهذه القاعدة النبوية لاستراحوا من كثير من الويلات التي تحيط بهم ، والله تعالى أعلم .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الإيمان : باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه ، رقم (٧١).

- **ألا يبخل على إخوانه بالسلام والتحية، والموادّة والعطف**.. لأنهم إذا سمعوا ذلك اطمأنوا وارتاحوا، مع أن السلام حق، كما بيّنه النبي المصطفى الكريم عليه وآله الصلاة والسلام.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «حق المسلم على المسلم خمس: ردُّ السلام، وتشميتُ العاطس، وإجابةُ الدعوة، وعيادةُ المريض، واتباعُ الجنائز». متفق عليه[1].

وفي رواية لمسلم[2] عنه رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال: «حق المسلم على المسلم ستٌّ» قيل: وما هنّ يا رسول الله؟ قال: «إذا لقيته فسلِّم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس - فحمد الله - فسَمِّتْه، وإذا مرض فعدْه، وإذا مات فاتَّبِعه». فزاد النصيحة.

ونلاحظ أنه قد جعل السلامَ أولَ الحقوق، فلينتبه مضيعوها.

وطريقة السلام: أن يسَلِّم الراكبُ على الماشي، ويسلِّم الماشي على القاعد، والصغيرُ على الكبير، والقليلُ على الكثير،...إلخ.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم: «يسلم الراكبُ على الماشي، والماشي على القاعِدِ، والقليلُ على الكثيرِ - زاد البخاري في رواية - والصغيرُ على الكبيرِ». متفق عليه، واللفظ للبخاري[3].

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الجنائز: باب الأمر باتباع الجنائز. وصحيح مسلم: كتاب السلام: باب من حق المسلم على المسلم رد السلام، رقم (٤).

(٢) صحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٥).

(٣) صحيح البخاري: كتاب الاستئذان: باب يسلّم الراكب على الماشي، وباب يسلم الماشي على القاعد، وباب تسليم القليل على الكثير. وصحيح مسلم: كتاب السلام: باب يسلِّم الراكب على الماشي، والقليل على الكثير، رقم (١).

ـ **حسن استقبالهم ، بالوجه الطلق ، والابتسامة في الوجوه** ، والبشاشة على المحيا ،... ولا يستقبلهم بالعبوسة والفظاظة ، لأن ذلك كله من الإيمان :

فعن أبي ذرٍّ رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « تبسُّمُك في وجه أخيك صدقة ». رواه البخاري في الأدب المفرد ، والترمذي وحسنه ، وابن حبان في صحيحه ، والبزار في مسنده[١].

لذا فليغتنم المسلم هذه الصدقةَ التي لا تكلفه شيئاً ، وقد غفل عنها كثير من المسلمين ، خاصة الذين يقابلون القادمين ، ويتعاملون معهم ومع غيرهم . مع أن هؤلاء أحوج إلى هذه السُّنَّة من غيرهم ، وبخاصة طالب العلم والإرشاد ، والله تعالى أعلم .

ـ **عدم ظلمهم ، أو بهتهم** ، لأن هذا يتنافى مع الإيمان والأخوة والمحبة ،... خاصة وعقوبةُ الظلم وخيمةٌ ، فهو ظلمات يوم القيامة ،... ودعوة المظلوم لا ترد ، لأنه لا شيء يحجبها ، وأهل الظلم هم أول من يُخسف بهم ، والعياذ بالله تعالى . وكيف لا يكون الظلم مُحَرَّماً وقد حرَّمه الله تعالى على الناس ، كما حرَّمه تعالى على نفسه ، وجلَّ الله تعالى أن يَظلم .

فعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فيما يرويه عن الله تبارك وتعالى أنه : « قال : يا عبادي ، إني حرَّمتُ الظلمَ على نفسي ، وجعلته بينكم مُحَرَّماً فلا تَظالموا ،... ». الحديث بطوله ، رواه مسلم[٢].

---

(١) سنن الترمذي : كتاب البر : باب ما جاء في صنائع المعروف ، رقم (١٩٥٦) والأدب المفرد (٢٩٨ رقم ٨٩٤) وصحيح ابن حبان (٢ : ٢٢١ ، ٢٨٦ - ٢٨٧) والبحر الزخار (٩ : ٤٥٧ - ٤٥٨) وانظر : كشف الخفاء (١ : ٢٩٦).

(٢) صحيح مسلم : كتاب البر والصلة : باب تحريم الظلم ، رقم (٥٥).

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إن الظلمَ ظُلماتٌ يوم القيامة ». متفق عليه[1].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « اتقوا الظلم ؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ». رواه مسلم[2].

وقد ورد من طريق غيرهما أيضاً .

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم لما بعث معاذاً إلى اليمن ، قال : « ...واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب ». متفق عليه[3].

وذلك لأن دعوةَ المظلوم مستجابة ، يرفعها الله سبحانه وتعالى فوق الغمام .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ثلاثة لا يُردُّ دعاؤهم : الإمامُ العادلُ ، والصائمُ حتى يُفطرَ ، ودعوةُ المظلوم ، يرفعها الله فوق الغَمام ، ويَفتحُ لها أبواب السماء ، ويقول الربُّ عز وجل : وعِزَّتي لأنصرَّك ولو بعد حين ». رواه أحمد وعبد الرزاق والطيالسي وعبد بن حُميد والترمذي وحسنه ، وابن ماجه ، وابن خزيمة وابن حبان والطبراني والبغوي والبيهقي ، وحسنه الحافظ ابن حجر[4].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب المظالم : باب الظلم ظلمات يوم القيامة . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٥٧).

(٢) صحيح مسلم : في الكتاب و الباب السابقين ، رقم (٥٦).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الزكاة : باب أخذ الصدقة من الأغنياء ، وترد في الفقراء حيث كانوا ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ، رقم (٢٩ - ٣١).

(٤) مسند أحمد (٢ : ٣٠٤ - ٣٠٥ ، ٤٤٥) ومسند عبد بن حُميد (٤١٥ - ٤١٦) والزهد والرقائق (٣٨٠ - ٣٨١) ومسند الطيالسي (٣٣٧) وسنن الترمذي : كتاب الدعوات : باب في العفو والعافية ، رقم (٣٥٩٨) =

وقد رواه أحمد والطيالسي وابن أبي شيبة ، والبخاري في الأدب المفرد ، وأبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان والبغوي والبيهقي - في آخرين ، بلفظ : « ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن : دعوة المظلوم ، ودعوة المسافر ، ودعوة الوالد على ولده ».

ولهذا أمر النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم بنصرة المظلوم ، ولم يحدِّده ، أو يقيِّده بقيد .

فعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : أَمَرَنا النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلَّم بسبع ، ونهانا عن سبع : أمرنا باتباع الجنائز ، وعيادة المريض ، وإجابة الداعي ، ونصرة المظلوم ،... الحديث بطوله ، متفق عليه[1].

ومن ذلك : **السماحة في البيع والشراء ، والتقاضي والأخذ** ، والعطاء ،... خاصة مع القادمين ، فهذه هي عادة أهل المدينة المنورة ، مع أنه مطلوب شرعاً .

فقد كان أهل المدينة عمالَ أنفسهم ، فهم الذين يبيعون ويشترون ، ويعملون في محلاتهم ، ومتاجرهم ، ومزارعهم ، وبيوتهم ،... وليس عندهم عمال من خارج المدينة ، فكانوا غايةً في النُّبْل والسماحة ، وكرم الأخلاق ، وحسن المعاملة ،...إلخ.

مازلت أذكر قصتين حصلتا مع والدي رحمه الله تعالى عندما قدم حاجّاً ،

= وكتاب صفة الجنة : باب ما جاء في صفة الجنة ، رقم (٢٥٢٦) وصحيح ابن حبان (٣ : ١٥٨) (٨ : ٢١٥) (١٦ : ٣٩٦ - ٣٩٧) وصحيح ابن خزيمة (٣ : ١٩٩) وشرح السنة (٥ : ١٩٦) وشعب الإيمان (٥ : ٤٠٩ - ٤١٠) وشرح الأذكار لابن علان (٤ : ٣٣٨).

(١) صحيح البخاري : كتاب الجنائز : باب الأمر باتباع الجنائز ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب اللباس : باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة ،... رقم (٣).

وقدم المدينة المنورة ، وأنا بصحبته ، عام (١٣٨٦هـ).

الأولىٰ : عندما اشترىٰ رحمه الله تعالى أقمشةً كهدايا ، ومد يدَه في جيبه ، ليخرج محفظةَ نقوده ، ليدفع الثمنَ ، فإذا به لم يَجدها ، فارتبك رحمه الله تعالى ارتباكاً شديداً ، ولم يدر ما يفعل ، فانتبه صاحب المحل ـ وهو من أهل المدينة ـ فسأله ، فلما أخبره قال : خذ القماش ، وأت بالثمن بعد ذلك ، وإن لم يتيسر فأنت مسامَحٌ به ، فرفض الوالد رحمه الله تعالى ـ لأنه كما هو معروف عنه : عزيزُ النفس ـ أن يأخذ القماش حتى يُحضر الثمن ، وأصر صاحبُ المحل ، وأصر الوالد رحمه الله تعالى ، حتى أتىٰ البيت ، فوجد محفظتَه ، فعاد إلى المحل ، ودفع الثمن ، ثم أخذ البضاعة .

وأما الثانية فهي أغرب من الأولىٰ فلا داعي لذكرها .

هذه العادات الجميلة عند أهل المدينة مأخوذةٌ من الهدي النبوي ، وأسأل الله تعالى استمرار وجودها :

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع ، وإذا اشترىٰ ، وإذا اقتضىٰ ». رواه البخاري[1].

ففي هذا الحديث الشريف حثٌّ على السماحة في المعاملة بيعاً وشراء ، واستعمال معالي الأخلاق ، وترك المشاحة ، والحض على ترك التضييق على الناس في المطالبة ، وأخذ العفو عنهم ،...إلخ.

ـ **ومن ذلك حسن الخلُق مع هؤلاء القادمين ، فلا يرفع صوته** ، ولا يزجر ، ولا يتضجر ، ولا يلعن ، ولا يسب ، ولا يبدِّع ،... ـ كما سيأتي بيانه في فقرة قادمة ـ

---

(١) صحيح البخاري : كتاب البيوع : باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع .

بل يكون باشّاً ضاحكاً مبتسماً ،... لأن تلك من صفات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وعنها أخذ عامةُ أهل المدينة المنورة ، وهي ما زالت في أغلبهم ، كما هو ملاحظ في الكبار المسنين منهم .

فعن عبد الله بن عَمْرو رضي الله عنهما قال : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم فاحشاً ، ولا مُتَفَحِّشاً ، وكان يقول : « إن من خياركم أحاسنكم أخلاقاً ». متفق عليه[1].

وعن أنس رضي الله عنه قال : « لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم فاحشاً ، ولا لَعّاناً ، ولا سبّاباً ،... ». الحديث رواه البخاري[2].

لأن هذه الصفات السيئة : ليست من صفات المؤمن الحق ، وذلك لأن صاحبها فاسق ، والعياذ بالله تعالى ، إلا أن يتوب .

فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر ». متفق عليه[3].

ـ ومن المعلوم : أن أهل السنة في العالم الإسلامي يعتورهم أربعةُ مذاهب فقهية ، كما يوجد في المسلمين غير أهل السنة أيضاً ،... ولا شك وجود بعض الخلافات الفرعية بين هذه المذاهب ، كما أن عامةَ المسلمين ليسوا فقهاء ، بل إن

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب حسن الخلق والسخاء ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب كثرة حيائه ﷺ ، رقم (٦٨).

(٢) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين ، وفي غيرهما .

(٣) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب قول النبي ﷺ : « سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر »، رقم (١١٦ ، ١١٧). وانظر مكانة النبي الكريم ﷺ ، فقد ذكرت جملة من النصوص في بيان أخلاقه ﷺ .

كثيراً من أهل العلم غيرُ مُلمّ بالخلافات الفقهية ، وكل واحد من المسلمين يَتَعَبَّد على حسب ما قرأ ، أو تعلم ، أو نشأ عليه ،... من الأمور الفقهية في بلاده ، ويصعب أن يتزحزح عن ذلك . وليس الدِّينُ محصوراً في مذهب من هذه المذاهب الفقهية فضلاً أن يحويه عالمٌ واحدٌ ، ولو كان أعلمَ أهل الأرض .

لذا يلزم **من ساكن المدينة أن يكون واسع الصدر عند رؤيته ما يخالفه في الأمور الفقهية** ، ولا يتسرع بالإنكار بمجرد رؤيته ما يخالف وجهة نظره ، فقد يكون المنكِرُ مخطئاً في إنكاره ، وأن الحق مع القادم ، وقد يكون العكس .

لذا لا يجوز الإنكار لمجرد عدم معرفة ذلك الحكم ، كما لا يجوز أن يكون مجردُ الاختلاف في الحكم مفسداً للوُدِّ الموجود بينهم .

لأن من المعلوم أن أغلى شيء عند الإنسان معتقدُه الذي يدين به ، وأنَّ تنازلَ المرء عن آرائه ليس بالأمر السهل ،... لذا قد يَحمل هذا الإنكار إلى التنافر والتناحر ، ثم إلى ما هو أشد من ذلك ، والمسلمون ليسوا بحاجة إلى مزيد من الانشقاق والتناحر ، بعد أن ولّى زمانهما .

لقد اختلف الصحابة الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم وقد فعل ، في كثير من الأحكام الفرعية ، ورجع بعضهم إلى أقوال بعض ، أو استمروا على آرائهم ،... ولم يفسد اختلافُهم الودَّ القائم بينهم ، لكن كثيراً من الناس لا يعلمون الضروريات ، فضلاً عن دقائق الأحكام والفروع ،... لذا فليتنبه الساكن ، فقد يكون لمن تنكر عليه عذرٌ وأنت تلوم ، والله تعالى أعلم .

ـ وأشد من ذلك : **تبديعُه وتفسيقُه ولعنُه وتكفيرُه** ،... فكل ذلك حرام ، وإن كان التكفيرُ واللعنُ ،... أشدَّ ، لأنه يعود على قائله ، لذا فليحذر المسلم من

التسرع في اتهام الآخرين بالتبديع والتفسيق واللعن والتكفير ، لمجرد اختلافٍ في وجهة نظر ، أو في حكمٍ فقهي ، أو لجهلٍ في الحكم ، أو لضيقٍ في الأفق ،... أو لعدم التفريق بين الحكم العقدي والحكم الفقهي ،...إلخ. لأن التكفير ليس بالأمر السهل ، فمن كفَّر مسلماً ولم يكن أهلاً لذلك ؛ رجع التكفير إلى قائله ، ومثلُه التفسيقُ والتبديع واللعن ،...

إضافة إلى أن أشد شيء على الإنسان أن يُنتقد أو يهان : معتقدُه ، وأن مثل ذلك قد يُحدث فتنة خطيرة ، والمسلمون ليسوا بحاجة لمثلها ، ويكفيهم ما هم فيه من الفتن والانشقاق والاختلاف ، خاصة في هذا الزمان .

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « أيما رجل قال لأخيه : يا كافر . فقد باء بها أحدهما ». متفق عليه(١).

زاد مسلم في روايته : « إن كان كما قال ، وإلا رجعت عليه ».

ورواه البخاري(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وعن أبي ذرٍّ الغفاري رضي الله عنه ، أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « لا يرمي رجلٌ رجلاً بالفسوق ، ولا يرميه بالكفر ؛ إلا ارتدت عليه ، إن لم يكن صاحبه كذلك ». رواه البخاري ورواه مسلم بمعناه(٣).

وعن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب بيان حال من قال لأخيه المسلم : يا كافر ، رقم (١١١).

(٢) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين .

(٣) صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب ما ينهىٰ عن السباب واللعن . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب بيان حال من رغب عن أبيه وهو يعلم ، رقم (١١٢).

وآله وسلَّم : « ...ولعن المؤمن كقتله ،... ». متفق عليه[1].

والنصوص في هذا الباب كثيرة .

لا زلت أذكر تلك الحادثة التي وقعت أمامي في المسجد ، رأيت شخصاً يزعم أنه من طلبة العلم ، وبعد أن انتهينا من صلاة العشاء ، وإذا به يرفع صوته ، ويشير إلى رجلٍ يُصلي ، ويزعم أنه من قوم كذا ، ومن بلد كذا ، وهم كفار ومشركون ،... ويزعم أنه يعرفهم ، وَ... وَ... وَ ،...إلخ، وكان رجل من أهل العلم حاضراً ، فأخذه الناس إليه ، وكم كانت المفاجأة مذهلةً له ولمن سمع صراخه ، عندما تبيَّن أن الرجل ليس من ذلك البلد ، ولا من تلك الطائفة ،... وأنه من أهل العلم ، وأنه أَزهريٌّ ، حضر الآن من إحدىٰ البلاد العربية ، وهو مسبوق بصلاته ، فقام ليتم صلاتَه .

لذا فليحذر المسلم من تلك التسرعات والتشنجات ، فإنما هو من وراء لسانه ، وليتق الله تعالى في المسلمين ، وفي الحرم الذي هو فيه ، والله تعالى هو المعين .

ـ والقادمون إلى هذه البلدة المباركة أقسام : منهم العلماء ، وطلبة العلم ، والكبار ، والصغار ، والنساء ، والضعفاء ، والمساكين ، والفقراء ، والمرضىٰ ،...إلخ. فكيف يتعامل مع هؤلاء جميعاً ؟!!!

ـ احترام شعور العلماء ، وتوقيرهم ، وتقديرهم ، وتبجيلهم ، وقضاء حوائجهم ، ومساعدتهم ، حيث إن الله تعالى ما جعل فيهم العلم إلا ليكونوا مناراً للخلق ، ويهدون الناس إلى الحق ، ويعلمونهم أحكام الله تعالى ، وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب من كفَّر أخاه بغير تأويل فهو كما قال ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه ،... رقم (١٧٦).

وقد رفع الله جل شأنه مكانتهم، وأعلى شأنهم، وأثنىٰ عليهم.

فقال سبحانه وتعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾[1]. والنصوص القرآنية كثيرة.

لذا جعل النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم فضلَ العالِم على الناس كفضله صلى الله عليه وآله وسلَّم على أدنى الناس، وأن العلماء ورثة الأنبياء، وأن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم، رضى بما يصنع،...إلخ.

فإذا كانت هذه هي منزلة العالِم عند الله عز وجل، وعند رسوله المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم؛ فكيف يجب أن تكون عندنا؟ لذا يلزمنا أن نُجِلَّه ونحترمه ونقدره،...إلخ.

فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال: «ليس مِن أمتي مَن لم يُجِلَّ كبيرَنا، ويرحم صغيرَنا، ويعرف لعالِمنا حقه». رواه أحمد والطحاوي والطبراني، وصححه الحاكم وعبد الحق، وحسنه الهيثمي[2].

وهناك نصوصٌ كثيرةٌ فيها بيان وجوب احترام العالِم، وتوقيره، ومعرفة حقه،...إلخ.

- **إجلال ذي الشيبة المسلم، وتوقير الكبير المسن** - من رجل وامرأة - واحترامه، والرفق به، والشفقة عليه، لأن هذا واجب شرعاً، لما لذي الشيبة المسلم من منزلة عند الله سبحانه وتعالى، ولأن الدنيا دول، فإذا كنتَ اليوم شابّاً؛ فستكون

---

(١) سورة المجادلة (١١).

(٢) مسند أحمد (٥ : ٣٢٣) ومشكل الآثار (٣ : ٣٦٥ رقم ١٣٢٨) والمستدرك (١ : ١٢٢) ومجمع الزوائد (١ : ١٢٧) (٨ : ١٤) وإتحاف المهرة (٦ : ٤٣١) وكنز العمال (٣ : ١٧٩).

غداً ـ إن شاء الله تعالى ـ شيخاً مسنّاً ، فإذا أكرمتَ اليومَ شيخاً كبيراً مسنّاً : هيأ الله تعالى لك في شيخوختك مَن يُكرمك ويُحسن إليك . ثم إن هذا يخفف عن الشيخ الكبير بعض المعاناة التي يشعر بها ؛ لكبر سنه ، وضعف بدنه ، وشدة حاجته ، خاصة إذا كانت ثمت صلة قرابة بينهما .

عن عبد الله بن عَمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ليس منا من لم يعرف حقَّ كبيرنا ويرحم صغيرنا ». رواه أحمد والحميدي ، وابن أبي شيبة ، والبخاري في الأدب المفرد ، وأبو داود ، وصححه الترمذي والحاكم والإمام النووي ، وأقره الذهبي ، وحسنه العراقي[1]،...

ورواه البخاري في الأدب المفرد ، والبيهقي في الشُّعب ، وصححه الحاكم وأقره الذهبي ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظه[2].

وقد ورد عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم .

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم أنه قال : « ليس منا من لم يوقر كبيرنا ، ويرحم صغيرنا ». رواه أحمد ، والترمذي وحسَّنه ، وعبد بن حُميد ، وابن حبان ، والبزار والطبراني في الكبير والبغوي وغيرهم[3].

---

(١) مسند أحمد (٢ : ١٨٥ ، ٢٠٧ ، ٢٢٢) ومسند الحميدي ، رقم (٥٨٦) ومصنف ابن أبي شيبة (٨ : ٥٢٧) والأدب المفرد ، رقم (٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٦٠) وسنن أبي داود : كتاب الأدب : باب في الرحمة ، رقم (٤٩٤٣) وسنن الترمذي : كتاب البر والصلة : باب ما جاء في رحمة الصغار ، رقم (١٩٢٠) والمستدرك (١ : ٦٢) والآداب للبيهقي ، رقم (٤٩ ، ٥٠) وشعب الإيمان (٧ : ٤٥٧ - ٤٥٨) ورياض الصالحين (١٧٣ رقم ٣٥٣) والمغني عن حمل الأسفار (١ : ٤٩١).

(٢) الأدب المفرد ، رقم (٣٥٥) والمستدرك (٤ : ١٧٨) وشعب الإيمان (٧ : ٤٥٨).

(٣) مسند أحمد (١ : ٢٥٧) وسنن الترمذي : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٩٢١) ومسند عبد بن حُميد (٢٠٢ رقم ٥٨٦) وصحيح ابن حبان (٢ : ٢٠٣ ، ٢١١) وكشف الأستار (٢ : ٤٠١) والمعجم الكبير =

وليعلم المسلمُ أن مِن إجلال الله تعالى وتعظيمه ،... إجلالَ ذي الشيبة المسلم ، وحامل القرآن .

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إن من إجلال الله تعالى : إكرامَ ذي الشيبة المسلم ، وحامل القرآن ؛ غيرِ الغالي فيه ، والجافي عنه ، وإكرام ذي السلطان الـمُقسِط »رواه أبو داود ، وحسنه الأئمة النوويُّ والذهبيُّ والعراقيُّ وابنُ حجر والسيوطي[1]. رحمهم الله تعالى ، والله تعالى أعلم .

ـ **احترام الضعفاء والمساكين والمعوزين ،... والإحسان إليهم** ، وإقالة عثراتهم ، ومساعدتهم ،... لأنك لا تدري ما حال هؤلاء عند الله جلت قدرته ، فقد يكونون من كبار الأولياء والصالحين ، ممن لهم مكانة عند الله عز وجل ، أو مِنْ مستجابي الدعوة ،... بحيث لو حرَّك أحدهم شفتيه : استجاب الله تعالى دعاءه ، وتغيرت المعالم .

كما على الإنسان : ألا يغترَّ بقوته وشبابه وصحته ،... فقد تأتيه ساعات وأيام كوالح يرجو فيها المساعدة ، والأيام دول ، والله تعالى هو الحافظ .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إن الله تعالى قال : من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرَّب إليَّ عبدي

= (١١ : ٧٢ ، ٤٤٩) وشرح السنة (١٣ : ٣٩ – ٤٠) ومسند الشهاب (٢ : ٢٠٩) وشعب الإيمان (٧ : ٤٥٨) ومجمع الزوائد (٨ : ١٤) وهذا مما يستدرك عليه .

(١) سنن أبي داود : كتاب الأدب : باب في تنزيل الناس منازلهم ، رقم (٤٨٤٣) وشرح السنة (١٣ : ٤٢) وميزان الاعتدال (٤ : ٥٦٥) والمغني عن حمل الأسفار (١ : ٤٩١) ورياض الصالحين (١٧٣ رقم ٣٥٢) والجامع الصغير (١ : ٣٧٧ رقم ٢٤٦٩) وفيض القدير (٢ : ٥٢٩).

بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضته عليه ، وما يزالُ عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنوافل حتى أُحبَّه ، فإذا أحببتُه كنتُ سمعَه الذي يسمع به ، وبصرَه الذي يُبصر به ، ويدَه التي يبطش بها ، ورِجلَه التي يمشي بها ،... ». الحديث بطوله ، رواه البخاري(١).

وعنه رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « رُبَّ أشعث ؛ مدفوع بالأبواب : لو أقسم على الله لأبره ». رواه مسلم(٢).

وعند غيره زيادة [رب أشعث أغبر ، ذي طمرين ، تنبو عنه أعين الناس] . والطِّمرُ : الثوبُ الخَلَق .

فهؤلاء الضعفاء والمساكين الذين لا يؤبه بهم ؛ منهم من له مكانة كبيرة عند الله سبحانه وتعالى ،... حيث جعلهم جل شأنه محلَّ نظره ، وموضع الاستجابة من دعائهم بالنصر والرزق والرحمة ،... فبهم يرحمُ الله سبحانه وتعالى الخلائقَ ، وينصرهم ، ويرزق بهم ،... وهم عامة أهل الجنة .

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « هل تُنصرون وتُرزقون إلا بضعفائكم ». رواه البخاري(٣).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « أبغوني ضعفاءكم ؛ فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم ». رواه أحمد والثلاثة ، وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم وأقره الذهبي ، ورواه غيرهم(٤).

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الرقاق : باب التواضع .

(٢) صحيح مسلم : كتاب البر والصلة والآداب : باب فضل الضعفاء والخاملين ، رقم (١٣٨) وكتاب الجنة : باب النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الضعفاء ، رقم (٤٨).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب من استعان بالضعفاء والمساكين في الحرب .

(٤) مسند أحمد (٥ : ١٩٨) وسنن أبي داود : كتاب الجهاد : باب في الانتصار برذل الخيل والضعفة ، رقم =

لذا على المسلم احترامهم ، والإحسان إليهم ، وطلب الدعاء منهم ـ طالما لهم هذه المنزلة عند الله تعالى ـ وإن كان الإنسان لا يعرف منازلهم ، ولكن يُحسِّن الظن ، لكن لا يعني أن يكون المسلمُ خبّاً يخدعه كل من يراه ، بل عليه أن يكون حصيفاً صيرفيّاً ، والله تعالى أعلم .

ـ **العناية بالفقراء والمساكين والمعوزين والمنكسرين** : لأن هؤلاء أحوج إلى المساعدة والعناية ، لما يشعرون به من ضعف وعَوَز ومهانة ، وانكسار خاطر ،... مع أن الفقراء المسلمين لهم منزلة كبيرة عند الله عز وجل ، حيث إنهم أول من يدخل الجنة ، وهم أكثر أهلها ،...إلخ.

فعن عمران بن حصين رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « اطلعتُ في الجنة فرأيتُ أكثرَ أهلها الفقراء ، واطلعتُ في النار فرأيتُ أكثر أهلها النساء ». هذا لفظ البخاري[1].

ورواه مسلم[2] ـ بلفظه ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « قمتُ على باب الجنة ؛ فإذا عامَّةُ من دخلها المساكين ، وإذا أصحابُ الجَدِّ محبوسون ، إلا أصحابَ النار فقد أُمر بهم إلى النار ، وقمتُ على باب النار

= (٢٥٩٤) وسنن الترمذي : كتاب الجهاد : باب ما جاء في الاستفتاح بصعاليك المسلمين ، رقم (١٧٠٢) وسنن النسائي : كتاب الجهاد : باب الاستنصار بالضعيف (٦ : ٤٥ – ٤٦) والمستدرك (٢ : ١٠٦ ، ١٤٥) وصحيح ابن حبان (١١ : ٨٥) والسنن الكبرى للبيهقي (٣ : ٣٤٥) (٦ : ٣٣١) وغيرهم .

(١) صحيح البخاري : كتاب الرقاق : باب فضل الفقر ، ورواه في كتابي : النكاح ، وبدء الخلق .

(٢) صحيح مسلم : كتاب الذكر والدعاء : باب أكثر أهل الجنة الفقراء ، وأكثر أهل النار النساء ،... رقم (٩٤).

فإذا عامةُ من دخلها النساء ». متفق عليه[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « يدخل فقراءُ المسلمين الجنةَ قبل أغنيائهم بخمسمائة عام وهو مقدار نصف يوم ». رواه أحمد وابن أبي شيبة والنسائي ، وصححه الترمذي وابن حبان ، وغيرهما[2].

وقد جاء عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم بنحوه .

ومن هنا حصل خلاف بين أهل العلم : أيهما أفضل الغني الشاكر أم الفقيرُ الصابر ، ولكلٍّ قولٍ أدلتُه ، وليس هذا موضع بحثه هنا .

ـ **العناية بالملهوف وذي الحاجة والمعوز** : فهم من أحوج الناس إلى المساعدة ، وردُّ لهفة الملهوف تردُّ إليه نفسَه ، وقضاءُ حاجة المحتاج من أهم الأعمال الخيرية التي ينال بها الإنسان الأجرَ ، إضافةً إلى أنها تجعل لك منزلة عنده .

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « على كل مسلم صدقة » قالوا : يا نبي الله ؛ فإن لم يجد ؟... قال : « يعين ذا الحاجة الملهوف ». متفق عليه[3].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب النكاح : باب (٨٧) حدثنا مسدد . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٩٣).

(٢) مسند أحمد (٢ : ٢٩٦ ، ٣٤٣ ، ٤٥١ ، ٥١٣ ، ٥١٩) ومصنف ابن أبي شيبة (١٣ : ٤٦) وسنن الترمذي : كتاب الزهد : باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم ، رقم (٢٣٥٣ ، ٢٣٥٤) وسنن النسائي الكبرى (٦ : ٤١٢) وسنن ابن ماجه : كتاب الزهد : باب منزلة الفقراء ، رقم (٤١٢٢) وصحيح ابن حبان (٢ : ٤٥١) وغيرهم .

(٣) صحيح البخاري : كتاب الزكاة : باب على كل مسلم صدقة ، فمن لم يجد فليعمل بالمعروف ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الزكاة : باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف ، رقم (٥٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « كلُّ سُلامى من الناس عليه صدقة ، كلَّ يوم تطلع فيه الشمس ، تعدل بين الإثنين صدقة ، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفعُ له عليها متاعه صدقة ،... » الحديث ، متفق عليه[1].

وسيأتي الحديث عن فضل قضاء الحوائج بعد قليل إن شاء الله .

ـ ومن ذلك **أن يكون رفيقاً بهم ، شفوقاً عليهم** ، عطوفاً بهم ، محسناً إليهم ، حنوناً عليهم ،... حيث قَدِموا من أماكن بعيدة ، وأنفقوا كثيراً مما يملكون ، ورأوا من المشاق ما الله به عليم ، حتى وصلوا إلى هذه البلاد المباركة ، يحدوهم الشوق والحب والأمل ، ليروا هذه البلادَ المباركةَ ،... ويتنعموا فيها لحظات ، ويسعدوا برؤية ما فيها من معالم ومشاهد وآثار ،...إلخ. لذا وجب الرِّفقُ بهم ، والإحسان إليهم ،... ولا يعاملهم بعكس ذلك ، لأن الله عز وجل يحب الرِّفقَ ، ومن حُرم الرفقَ حرم الخيرَ كله ، والعياذ بالله تعالى .

فعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إن الله يحب الرفق في الأمر كله ». متفق عليه[2].

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « من يُحرم الرفقَ : يُحرم الخيرَ ». رواه مسلم[3].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب من أخذ بالركاب ونحوه ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٥٦).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب الرفق في الأمر كله ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب السلام : باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام ،... رقم (١٠).

(٣) صحيح مسلم : كتاب البر : باب فضل الرفق ، رقم (٧٤ - ٧٦).

ـ أن يكون رحيماً بهم ، رؤوفاً بهم ، شفوقاً عليهم ، عطوفاً عليهم ، لأن هذه هي من صفات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، حيث جعله الله تعالى رحمةً للعالمين ، وسماه الله تعالى رؤوفاً رحيماً ، وقد حثنا صلى الله عليه وآله وسلَّم على التراحم ، وحذَّرنا من عدمها ، فالذي يَرحم يُرحم ، والذي لا يَرحم لا يُرحم ، وقد كثرت النصوص في ذلك :

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ في جوابه للأقرع بن حابس ـ : « من لا يَرحم لا يُرحم ». متفق عليه[1].

يعني ـ والله تعالى أعلم ـ : من لا يرحم الخلقَ لا يرحمه الله تعالى ، كما يوضحه الحديث التالي :

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « من لا يرحم الناسَ لا يرحمْه الله عز وجل ». متفق عليه[2].

ومن المعلوم أن الذي لا يَرحم إنما هو الشقي ، لأن الرحمةَ لا تُنزع إلا منه ، والعياذ بالله تعالى :

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وهو الصادقُ المصدوقُ يقول : « إن الرحمةَ لا تُنزع إلا من الشقي ». رواه أحمد والطيالسي ، والبخاري في الأدب المفرد ، وأبو داود ، وصححه الترمذي [وفي بعض النسخ : التحسين فقط] وابن حبان والحاكم وأقره الذهبي ، والبيهقي

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته . وصحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال ، رقم (٦٥).

(٢) صحيح البخاري : كتاب التوحيد : باب قول الله تبارك وتعالى : ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ... ﴾، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٦٦).

في آخرين[1].

وإذا كان النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم هو الرحمة المهداة ، وبُعث رحمةً للعالمين ، وهو الرؤوف الرحيم ،... واللهُ تعالى يحب الراحمين والمتراحمين ،... لذا فمن سكن ديارَهم وجاورهم فليكن متصفاً بصفاتهم ، وإلا فهو محروم ، والعياذ بالله تعالى ، وحتى لا يوصف بذلك الوصف المشين .

ـ **أن يعطف على الصغار ، ويرحمهم ، ويمازحهم** ،... ويعاملهم معاملة حسنة لطيفة خالصة ، حتى يرجعوا إلى بلادهم ؛ وهم يحملون ذكريات حسنة عن هذه البلاد وأهلها الطيبين ، ولأن هذه هي صفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم .

ولو نظرنا كيف كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يعامل الصغار ـ من ذكور وإناث ـ ويعطف عليهم ، ويحسن إليهم ، ويتحمل ما يصدر منهم ،... لرأينا العجب العجاب .

فقد كان صلى الله عليه وآله وسلَّم يقرِّبهم منه ، ويسلِّم عليهم ، ويمازحهم ، ولا يغضب منهم ، ويحملهم ، ويُقبِّلهم ، ويُركبهم على ظهره وعلى صدره الشريف ، وقد بايعهم ، وكان يُوتى بهم فيبرِّك عليهم ،...إلخ.

---

(١) مسند أحمد (٢ : ٣٠١ ، ٤٤٢ ، ٤٦١ ، ٥٣٩) ومسند الطيالسي (٣٣٠ رقم ٢٥٢٩) ومصنف ابن أبي شيبة (٨ : ٥٢٧) والأدب المفرد (١٣٦ رقم ٣٧٦) وسنن أبي داود : كتاب الأدب : باب ما جاء في الرحمة ، رقم (٤٩٤٢) وسنن الترمذي : كتاب البر : باب ما جاء في رحمة المسلمين ، رقم (١٩٢٣) وصحيح ابن حبان (٢ : ٢٠٩ ، ٢١٣) والمستدرك (٤ : ٢٤٨ – ٢٤٩) والسنن الكبرى للبيهقي (٨ : ١٦١) وشعب الإيمان (٧ : ٤٧٦) والآداب (٥١ – ٥٢) وشرح السنة (١٣ : ٣٧ – ٣٨) ومسند أبي يعلى (١٠ : ٥٢٦) (١٢ : ٧) وتاريخ بغداد (٧ : ١٨٣) ومسند الشهاب (٢ : ٦) والترغيب والترهيب (٤ : ٢٥١ – ٢٥٢) وفيض القدير (٦ : ٤٢٢).

ولهذا أحبه الصبيان والعيال حبّاً شديداً ، حتى إن أغلب الشمائل نقلت إلينا عن طريقهم ، لكثرة ملازمتهم له صلى الله عليه وآله وسلَّم وحضورهم مجالسه ،... ورؤيتهم إياه ، إضافة إلى الهيبة التي كانت تعلوه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فلم يتمكن الكبار من استمتاعهم برؤيته ، واكتحال عيونهم بتحديق النظر إلى شخصه الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم .

عن أنس رضي الله عنه قال : ما رأيتُ أحداً كان أرحمَ بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ،... الحديث ، رواه مسلم[1].

كما مرَّ قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ...ويرحم صغيرنا ». وهو مرويٌّ عن عدد من الصحابة الكرام رضي الله عنهم .

ـ العناية بمريضهم ، ومحاولة إسعافه ، وإحضار الطبيب له ، وكذا العلاج اللازم له ، ومساعدته في الذهاب إلى المشفى ، لأن ذلك كله خير ، فإذا كان عائدُ المريض يخوض في مخرفة الجنة ، فكيف بمن يعتني به ويمرِّضه ؟؟؟.

علماً بأن ذلك كله من حقوق المسلم ، ومن الرحمة الموجودة في قلبه ، والنصوص في ذلك كثيرة جداً .

فعن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « من عاد مريضاً لم يزل في خُرْفَة الجنة حتى يرجع ». رواه مسلم[2].

زاد في رواية أخرى : قيل يا رسول الله ؛ وما خرفة الجنة ؟ قال : « جناها ».

وقد مر قبل قليل قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « حق المسلم على المسلم خمس : ...وعيادة المريض ». متفق عليه .

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الفضائل : الباب السابق ، رقم (٦٣).

(٢) صحيح مسلم : كتاب البر والصلة : باب فضل عيادة المريض ، رقم (٣٩ - ٤٠).

كما مر في الرواية الأخرى عند مسلم : « وإذا مرض فعده ».

ـ وإذا رأىٰ **منهم ما يكره ؛ فعليه أن يستر** ، ما لم يكن في الستر والسكوت عنه خطر على الأمة ، أما إذا كان الأمر خاصاً ؛ فلا يَتتبع عورات المسلمين ؛ ليفسدها ، فقد نهينا عن تتبع عورات الناس ، لأن من اتبع عوراتهم يفضحه الله تعالى ، ولو في عقر داره . بينما إذا ستره فإن الله سبحانه وتعالى يستره في الدنيا والآخرة .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « لا يستر عبدٌ عبداً في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة ». رواه مسلم[1].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « المسلم أخو المسلم ،... ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة ». متفق عليه[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « ...ومن ستر مسلماً ؛ ستره الله في الدنيا والآخرة ». رواه مسلم[3].

وسيأتي ذكره كاملا إن شاء الله تعالى في الفقرة التالية .

خاصة والمدينة المنورة يفد إليها أناسٌ كثير ، وقد يجري من أحدهم ما لا يجب التحدث به ، فضلاً عن إشاعته ، فيكون ذلك من العورات التي أمرنا بسترها ،

---

(١) صحيح مسلم : كتاب البر والصلة : باب بشارة من ستر الله عيبه في الدنيا ؛ بأن يستر عليه في الآخرة ، رقم (٧٢).

(٢) صحيح البخاري : كتاب المظالم : باب لا يظلم المسلمُ المسلمَ ولا يُسلمه . وصحيح مسلم : كتاب البر : باب تحريم الظلم ، رقم (٥٨).

(٣) صحيح مسلم : كتاب الذكر والدعاء : باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن ، وعلى الذكر ، رقم (٣٨).

وعدم إفضاحها ، ولهذا وردت أحاديث كثيرة فيها المنع من تتبع عورات المسلمين ، وبيان فضل من سترها ، ومنها :

عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « يا معشر من آمن بلسانه ، ولم يدخل الإيمانُ قلبَه ، لا تغتابوا المسلمين ، ولا تتبعوا عوراتِهم ، فإنه من يتَّبعَ عوراتِهم يتَّبعُ اللهُ عورتَه ، ومن يتَّبع الله عورتَه يفضحْه في بيته ». رواه أحمد وأبو داود بإسناد صحيح[1].

ورواه الترمذي ـ وحسنه ـ وابن حبان في صحيحه والبغوي ، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما بنحوه[2].

كما ورد بنحوه عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم .

وعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « إنك إن اتَّبعتَ عورات الناس أفسدتَهم ، أو كدتَ أن تُفسدَهم ».

قال أبو الدرداء رضي الله عنه : كلمةٌ سمعها معاوية من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم فنفعه الله بها . رواه البخاري في الأدب المفرد ، وأبو داود وابن حبان والطبراني وأبو يعلى والبيهقي ، وإسناد أغلبهم صحيح ، وصححه النووي[3].

---

(١) مسند أحمد (٤ : ٤٢١ ، ٤٢٤) وسنن أبي داود : كتاب الأدب : باب في الغيبة ، رقم (٤٨٨٠).

(٢) سنن الترمذي : كتاب البر والصلة : باب ما جاء في تعظيم المؤمن ، رقم (٢٠٣٣) وصحيح ابن حبان (١٣ : ٧٥ – ٧٦) وشرح السنة (١٣ : ١٠٤).

(٣) الأدب المفرد (٩٨ رقم ٢٤٨) وسنن أبي داود : كتاب الأدب : باب في النهي عن التجسس ، رقم (٤٨٨٨) وصحيح ابن حبان (١٣ : ٧٢ – ٧٣) والمعجم الكبير (١٩ : ٣٦٥ ، ٣٧٩) ومسند الشاميين (١ : ٢٧٢) (٣ : ٩٨) ومسند أبي يعلى (١٣ : ٣٨٢) والسنن الكبرى (٨ : ٣٣٣) ودلائل النبوة (٦ : ٤٤٧) وحلية الأولياء (٦ : ١١٨) ورياض الصالحين (٦٠٢ – ٦٠٣ رقم ١٥٦٩).

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « من رأىٰ من مسلم عورةً فسترها ، كان كمن أحيا موؤودةً مِن قبرها ». رواه أحمد والطيالسي والبخاري في الأدب المفرد وأبو داود والنسائي في الكبرى ، وابن حبان والحاكم وصححاه وأقره الذهبي ، والطبراني والبيهقي في آخرين[1].

ـ على ساكن المدينة أن يسعىٰ جاهداً لتفريج كربة المسلمين ـ خاصة من القادمين منهم ـ ويقضي حوائجهم ، ويزيل همومهم ، ويخفف عنهم ما يغمهم ،... لأن الذي يزيل كربةَ المكروب ، ويُفرِّج همَّه : فإن الله سبحانه وتعالى يفرج كربتَه يوم القيامة ، ويقضي له حوائجه في الدنيا والآخرة .

ذلك لأن المؤمنَ أخو المؤمن ، وحقُّ الأخوة الإيمانية يقتضي عدمَ ظلمه وتسليمه ، كما يقتضي ستَرَه وقضاءَ حوائجه ، وتفريجَ كربته ، وتيسير الإعسار عليه .

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « المسلم أخو المسلم ، لا يَظلمه ولا يُسْلِمه ، من كان في حاجة أخيه ؛ كان الله في حاجته ، ومن فرَّج عن مسلم كربةً ؛ فرَّج الله عنه بها كربةً من كُرَب يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ؛ ستره الله يوم القيامة ». متفق عليه[2].

---

(١) مسند أحمد (٤ : ١٤٧ ، ١٥٨) والأدب المفرد (٢٥٧ – ٢٥٨ رقم ٧٥٩) ومسند الطيالسي ، رقم (١٠٠٥) وسنن أبي داود : كتاب الأدب : باب في الستر عن المسلم ، رقم (٤٨٩١) والسنن الكبرى للنسائي : كتاب الرجم : باب الترغيب في ستر العورة (٤ : ٣٠٧ – ٣٠٨) والسنن الكبرى للبيهقي (٨ : ٣٣١) وشعب الإيمان (٥ : ٢٨٠) (٧ : ١٠٥) وصحيح ابن حبان (٤ : ٢٧٤ – ٢٧٥) والمستدرك (٤ : ٣٨٤) والمعجم الكبير (١٧ : ٣١٩).

(٢) صحيح البخاري : كتاب المظالم : باب لا يظلم المسلم ولا يسلمه . وصحيح مسلم : كتاب البر والصلة : باب تحريم الظلم ، رقم (٥٨).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « من نفَّس عن مؤمن كربةً من كُرَب الدنيا ؛ نفَّس الله عنه كربةً من كُرَب يوم القيامة ، ومن يسَّر على معسر ؛ يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ،... ». رواه مسلم[1].

ففي هذين الحديثين : فوائدُ كثيرةٌ ينالها المسلمُ ، وإكراماتٌ جليلةٌ يمنحها الله تعالى لعبده المؤمن ، وهو : الذي يقضي حوائج المسلمين ، ويُيَسِّر عليهم ، وينفِّس كُرَبَهم ،...إلخ.

ـ **ويعمل على مساعدة الأعمى والمريض والمسكين والمحتاج** ،.. فيدل من يحتاج منهم على الطريق ، ولا يضلهم عن السبيل ، لأن من أضل محتاجاً ـ كالأعمى ـ عن السبيل فهو ملعون ، والعياذ بالله تعالى ، ومثلُه ألا يخشى اللهَ تعالى أن يبتليه ، ويعافي المريض .

فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « لُعن من كمه أعمى عن السبيل ». رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد ، وعبد بن حُميد وأبو يعلى والطبراني وابن حبان والحاكم وصححاه ، وغيرهم[2].

مع أن إرشاد الضال وهداية السبيل ـ خاصة الأعمى ـ من حقوق الطريق ،

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الذكر والدعاء : باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ، رقم (٣٨).

(٢) مسند أحمد (١ : ٢١٧ ، ٣٠٩ ، ٣١٧) ومسند عبد بن حُميد (٢٠٣ رقم ٥٨٩) والأدب المفرد (٢٩٨ رقم ٨٩٥) ومسند أبي يعلى (٤ : ٤١٤ – ٤١٥) والمعجم الكبير (١١ : ٢١٨) وصحيح ابن حبان (١٠ : ٢٦٥) والمستدرك (٤ : ٣٥٦) والسنن الكبرى للبيهقي (٨ : ٢٣١) ومجمع الزوائد (١ : ١٠٣).

وقد ورد ذلك عن عدد من الصحابة ؛ منهم : عمر ، وأبو ذر ، وأبو هريرة ، والبراء ابن عازب ،... رضي الله عنهم[1].

- **أن يغض الطرف ، ويصرف البصر** عما يقع من محرمات ، من نساء وعورات ،... خاصةً والمدينةُ يقدَمُها خلقٌ كثيرٌ ،... منهم الرجال والنساء ، فقد تنكشف عورات ، وتسقط حجبٌ ، فعلى المسلم غضُّ البصر ، لأنه واجب ، وليس له من ذلك إلا ما كان عن فجأة ، ومِن غير قصد منه .

وقد أمر الله تعالى بذلك ، فقال جل شأنه : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ﴾[2].

كما أمر النبي المصطفى الكريمُ صلى الله عليه وآله وسلَّم بصرف البصر وغضه أيضاً ، وجعل غضَّ البصر حقّاً من حقوق الطريق ، شأنه في ذلك شأن كف الأذى عن المسلمين .

عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم عن نظر الفُجاءَة ؛ فأمرني أن أصرف بصري . رواه مسلم[3].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه

---

(١) انظر : مسند أحمد (٤ : ٢٨٢ ، ٢٩١ ، ٢٩٣ ، ٣٠١) (٥ : ١٦٨ - ١٦٩) ومسند الطيالسي (٩٧ رقم ٧١١) وسنن أبي داود : كتاب الأدب : باب في الجلوس والطرقات ، رقم (٤٨١٦ ، ٤٨١٧) وسنن الترمذي : كتاب الاستئذان : باب ما جاء في المجالس على الطرقات ، رقم (٢٧٢٧) والسنن الكبرى للنسائي (٦ : ٤١٨ - ٤١٩) وسنن الدارمي (٢ : ١٩٤) والأدب المفرد (٣٨١ رقم ١١٥٢) وصحيح ابن حبان (٢ : ٣٥٧ ، ٣٥٨) والمستدرك (٤ : ٢٦٤ - ٢٥٦) وصححه وأقره الذهبي ، وشرح السنة (١٢ : ٣٠٥) وعمل اليوم والليلة لابن السني (٢٥٦ - ٢٥٧ رقم ٤٢٧) وغيرها .

(٢) سورة النور (٣٠).

(٣) صحيح مسلم : كتاب الآداب : باب نظر الفجأة ، رقم (٤٥).

وآله وسلَّم : « إياكم والجلوس في الطرقات » قالوا : يا رسول الله ؛ ما لنا بُدٌّ مِن مجالسنا نتحدَّث فيها . قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « فإذا أبيتم إلا المجلس ؛ فأعطوا الطريقَ حقَّه ». قالوا : وما حقُّه ؟ قال : « غض البصر ، وكف الأذى ، وردُّ السلام ، والأمرُ بالمعروف ، والنهيُ عن المنكر ». متفق عليه[1].

وقد ورد عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم .

وقد جمع الحافظ ابن حجر رحمه الله حقوق الطريق فبلغت (١٤) أربعة عشر حقاً ، ونظمها في أربعة أبيات هي[2] :

جَمَعتُ آدابَ مَنْ رامَ الجُلوسَ على الطَّ ... ريقِ مِن قَولِ خَيرِ الخَلْقِ إِنْساناً
أَفْشِ السَّلامَ ، وَأَحْسِن في الكَلام ... وَشَمِّتْ عاطِساً وسَلاماً رُدَّ إِحْساناً
في الحَمْلِ عاوِن ومَظْلوماً أَعِنْ وأَغِثْ ... لَهْفانَ اهْدِ السبيلَ وَاهْدِ حَيْرانا
بِالعُرفِ مُرْ وَانْهَ عَنْ نُكرٍ وَكُفَّ أَذى ... وَغُضَّ طَرْفاً وَأَكْثِرْ ذِكْرَ مَوْلانا

ـ أن يكون ناصحاً أميناً لهم ، مقدِّماً العون لمساعدتهم ، ساعياً لتأمين طلباتهم ، صادقاً معهم ، وفيّاً لهم ، لأن النصيحةَ واجبةٌ لعامة المسلمين ، كما هي لخاصَّتهم « الدين النصيحة » وهذا شأن أهل المدينة قديماً وإلى عهد قريب ، وأرجو الله أن يديم فضله عليهم .

وقد مر حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، والذي فيه قول الأنصاري لزوجته رضي الله عنهما : (أكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ،...)

---

(١) صحيح البخاري : كتاب المظالم : باب أفنية الدور والجلوس فيها ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب اللباس : باب النهي عن الجلوس في الطرقات ، رقم (١١٤) وكتاب السلام : باب من حق الجلوس على الطريق رد السلام ، رقم (٣).

(٢) فتح الباري (١١ : ١١) ثم ذكر أدلة كل واحد من هذه الحقوق الأربعة عشر .

متفق عليه .

- **أن يُظهر محبتَه للمدينة ، ومحافظتَه عليها للقادمين** ، ويشوِّقهم إلى محبتها ،... - وإن كانوا لها محبِّين مبجِّلين - وينقل إليهم العمل على تعظيمها ، واحترامها ، وتنزيهها ، وتطهيرها ، وتنظيفها ، لأنها أفضل المدن ، وأهلها أفضل أهل البلدان ،... فيكون قد حقَّق دعوةَ النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، كما مر : « اللهم حبِّب إلينا المدينةَ كحبنا مكة أو أشد ».

- **ألا يُجرِّئ الناسَ على انتهاك حرمة المدينة وعلى إهانتها ،... وإضعاف مكانتها في نفوسهم** ، وذلك بأن ينتهك حُرمتَها أمامهم ، فيرتكب من المخالفات والمنكرات والمحظورات ؛ ما يُجرئ الناس على ارتكاب ما هو أكبر منها فيها ،... ويُخفف ما في نفوسهم من تعظيم وتبجيل ، إذ طالما أن المهابة موجودة في نفوس أهلها تجاهها ؛ تكون موجودةً في نفوس الآخرين .

وقد مر حديثُ أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « ...ولن يستحل البيتَ إلا أهلُه ، فإذا استحلوه فلا يُسأل عن هلكة العرب ، ثم تأتي الحبشةُ فيُخَرِّبونه ،... » الحديث بطوله ، رواه أحمد والطيالسي وابن أبي شيبة وابن الجعد ، وصححه ابن حبان والحاكم ، وغيرهم ، ورجاله ثقات .

وهذا الحديثُ الشريف - وإن كان ورد عن مكة - إلا أن فيه دلالةً على أن أهلَ الدار هم أول من يستحلُّها ، فإذا استحلّوها هانت على الآخرين ، والله تعالى أعلم .

- **أن يكون أهلَ عِفَّة وأمانة ، وغَيْرة على المحرمات ، ورعاية للذِّمام** ، والحفاظ

على الحرمات ، والعناية بالغريب ،... خاصة إذا كان أنثى ، لأن هذه صفة أهل المدينة . حيث هم أهلُ عفَّة وأمانة وشهامة .

وهذه الصفة مما يُمدح به الإنسان ، لأنها من صفات الكمال فيهم .

كما قال الله سبحانه وتعالى على لسان ابنة صاحب مدين حيث قالت لأبيها عن موسى عليهما السلام : ﴿ يَـٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴾(١).

وبه مدح العفريتُ نفسَه لسليمان عليه السلام ، عندما طلب نَقْلَ عرش بلقيس ، من اليمن إلى فلسطين ، فقال تعالى على لسانه : ﴿ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ﴾(٢).

فكلٌّ قد وُصف بهاتين الصفتين الجميلتين ؛ القوة والأمانة ، والتي لابد منهما .

كما قد مر حديث السيدة عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « ما يضر امرأة نزلت بين بيتين من الأنصار ، أو نزلت بين أبويها ». كما رواه أحمد والبزار ، وصححه ابن حبان والحاكم ، والله تعالى أعلم .

أسأل الله تعالى أن يكرمنا جميعاً برضاه ، ويرزقنا القوةَ في الأعضاء والإيمان ، ويكرمنا بالأمانة فيما استودعنا سبحانه وتعالى في الباطن والظاهر ، إنه نعم المولىٰ ونعم النصير .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم .

☆☆☆☆☆

---

(١) سورة القصص (٢٦).

(٢) سورة النمل (٣٩).

الخاتمة، أحسن الله ختامنا جميعاً

وفي ختام ذكري لهذا المختصر ؛ أرجو الله عز وجل أن أكون قد وُفِّقتُ في إظهار منزلة ساكن هذه المدينة المنورة المباركة ، وبيان مسؤوليته ، وقلت : إنه مختصر ، لأن إعطاء الصورة الحقيقية الكاملة لذلك ؛ يحتاج إلى وقت طويل ، كما يحتاج إلى جهد أكبر ، لكن حسبي ما ذكرت ، راجياً منه تعالى أن ينفع به من قرأه أو سمعه ، وأن يكون ما ذكرتُ دالًّا على المقصود بإذن الله تعالى .

كما أسأله تعالى المبتدئ لنا بنعمه قبل استحقاقها ، المديمها علينا بإفضاله مع تقصيرنا ، الجاعلنا في خير أمة أخرجت للناس ،... أن يأخذ بأسماعنا وأبصارنا وقلوبنا وألسنتنا إلى طاعته ، وأن يملك لنا أنفسنا وألسنتنا وجميعَ جوارحنا عما يخالف طاعتَه جل شأنه ، وطاعة ومتابعةَ نبيه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ، فإنه إذا وكلنا إليها وكلنا إلى غير كاف ، وأن يحضرنا بالعصمة والتوفيق ، وينطق ألسنتنا بالحق الذي لا تخلطه الشبه ، ولا تميل به الأهواء ، ولا تخونه الغفلات .

اللهم ارزقني الصدق في القول والقصد ،... والإخلاص في العمل ، والنجاح في المقصد ، وحقِّقني فيما أدعو إليه ، واجعل سائر أعمالي خالصةً لوجهك الكريم ، واغفر لي ولوالِدَي ولوالد والِدَي ولمشايخي وزوجي وأولادي ، ومن يلوذ بي ، واحفظنا جميعاً بعنايتك ، وتولنا بفضلك ، واكلأنا برحمتك ، وسدِّد خطانا على منهج حبيبك صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ولا تسلِّط علينا من لا يخافك ، ولا

يرحمنا ، وارزقنا حسن الختام من غير ابتلاء ولا محنة ، اللهم وكما أكرمتنا بالعيش فيها سنوات طويلات ؛ اجعل مثوانا الأخير فيها ، وحشرنا منها مع أهلها ، واجمعنا جميعاً وأحفادنا ومن نحب في مستقر رحمتك ، بزمرة حبيبك المصطفى الكريم ، ونبيك المجتبى الفخيم ، وصفوة خلقك العظيم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، برحمتك يا أرحم الراحمين ، اللهم آمين ثم آمين .

وصلى الله على سيدنا ومولانا وحبيبنا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعه إلى يوم الدين ، وسلَّم تسليماً كثيراً .

والحمد الله رب العالمين

المدينة المنورة

وكتب

أبو إبراهيم

خليل إبراهيم مُلا خاطر العزَّامي

نزيل المدينة المنورة

☆☆☆☆☆

مصادر الرّسالة

١ ـ القرآن الكريم .

(أ)

٢ ـ الآحاد والمثاني ، لابن أبي عاصم ، ت باسم فيصل الجوابرة ، دار الراية ، الرياض .

٣ ـ الآداب ، للإمام البيهقي ، ت محمد عبد القادر عطا ، مكتبة عباس الباز ، مكة المكرمة .

٤ ـ إتحاف الخيرة المهرة ، للإمام البوصيري ، ت عبد الرحمٰن سعد والسيد محمود إسماعيل ، مكتبة الرشد بالرياض .

٥ ـ إتحاف ذوي الفضائل المشتهرة ، للشيخ عبد العزيز الغماري ، مع الأزهار المتناثرة ، القاهرة .

٦ ـ إتحاف المهرة ، للحافظ ابن حجر ، مركز خدمة السنة بالجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة .

٧ـ الأحكام الوسطى للإمام الإشبيلي ، ت حمدي السلفي وصبحي السامرائي مكتبة الرشد بالرياض .

٨ ـ أخبار أصبهان ، للحافظ أبي نعيم الأصبهاني ، الدار العلمية .

٩ ـ أخبار مكة ، للفاكهي ، ت الدكتور عبد الملك بن دهيش ، مكتبة النهضة الحديثة بمكة المكرمة .

١٠ ـ الأدب المفرد ، للإمام البخاري ، ت كمال يوسف الحوت ، عالم الكتب بيروت .

١١ ـ الأذكار ، للإمام النووي ، ت محمد رياض خورشيد ، مكتبة الغزالي ، مؤسسة مناهل العرفان .

١٢ ـ الاستيعاب ، للحافظ ابن عبد البر ، ت علي معوض وعادل عبد الموجود دار الكتب العلمية .

١٣ ـ أُسْد الغابة في معرفة الصحابة ، لابن الأثير الجزري ، دار الفكر ، بيروت

١٤ ـ الأسماء والصفات ، للإمام البيهقي ، ت الشيخ محمد زاهد الكوثري .

١٥ ـ الإصابة في تمييز الصحابة ، للحافظ ابن حجر ، ت البجاوي ، دار نهضة مصر ، القاهرة .
١٦ ـ الإفصاح ، لابن هبيرة ، المؤسسة السعيدية ، الرياض .
١٧ ـ إمتاع الأسماع ، للمقريزي ، ت الأستاذ محمود محمد شاكر ، الشؤون الدينية ، قطر .
١٨ ـ الإنصاف ، للمرداوي ، ت محمد حامد الفقي ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة .
١٩ ـ الأوائل للإمام الطبراني ، ت محمد السعيد البسيوني ، دار الكتب العلمية بيروت .
٢٠ ـ الأوائل ، للإمام أحمد بن عمرو النبيل ، ت محمد ناصر العجمي ، دار الخلفاء ، الكويت .

(ب)

٢١ ـ البحر الزخار = مسند البزار ت ، د . محفوظ الرحمٰن زين الله ، مؤسسة علوم القرآن ، ومكتبة العلوم والحكم .
٢٢ ـ البحر المحيط ، للإمام أبي حيان ، مكتبة النصر الحديثة ، الرياض .
٢٣ ـ البداية والنهاية للإمام ابن كثير ، مكتبة النصر الحديثة ، الرياض ، ومكتبة المعارف ، بيروت .
٢٤ ـ بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ، للحافظ الهيثمي ، ت الدكتور حسين الباكري ، مركز السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

(ت)

٢٥ ـ تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي ، الخانجي ، مصر .
٢٦ ـ تاريخ جرجان ، لحمزة السهمي ، ت محمد حبيب الله القادري ، دائرة المعارف العثمانية ، الهند .
٢٧ ـ تاريخ ابن أبي خيثمة (مخطوط).
٢٨ ـ تاريخ أبي زرعة الدمشقي ، ت شكر الله القوجاني ، نشر مجمع اللغة العربية ، دمشق .
٢٩ ـ التاريخ الكبير ، للإمام البخاري ، دائرة المعارف العثمانية ، الهند .
٣٠ـ تاريخ المدينة ، لابن شبة ، ت الدكتور فهيم شلتوت ، نشر السيد حبيب محمود ، المدينة المنورة .
٣١ ـ تحفة الأشراف ، للحافظ المزي ، ت عبد الصمد شرف الدين ، الدار القيمة .

٣٢ـ تخريج أحاديث الكشاف ، للإمام الزيلعي ، ت سلطان الطبيشي ، دار ابن خزيمة ، الرياض .
٣٣ ـ ترتيب المدارك ، للقاضي عياض ، دار مكتبة الحياة ، بيروت .
٣٤ ـ الترغيب والترهيب ، للحافظ المنذري ، دار الفكر ، بيروت .
٣٥ ـ تفسير ابن أبي حاتم ، ت أسعد محمد الطيب ، مكتبة نزار الباز ، مكة المكرمة .
٣٦ ـ تفسير الطبري ، نسخة دار المعارف .
٣٧ ـ تفسير القرطبي ، دار الكتاب العربي ، القاهرة .
٣٨ ـ تفسير ابن كثير ، دار الفكر ، بيروت .
٣٩ ـ تفسير النسائي ، ت سيد الجليمي ، وصبري الشافعي ، مكتبة السنة ، القاهرة
٤٠ ـ التلخيص الحبير ، للحافظ ابن حجر ، نشر السيد عبد الله هاشم يماني .
٤١ ـ تلخيص المستدرك ، للحافظ الذهبي ، بحاشية المستدرك .
٤٢ ـ التمهيد ، للحافظ ابن عبد البر ، نشر وزارة الأوقاف ، بالمغرب .
٤٣ ـ تهذيب الكمال ، للحافظ المزي ، ت الدكتور بشار عواد ، مؤسسة الرسالة .

(ث)

٤٤ ـ الثقات ، لابن حبان ، دائرة المعارف العثمانية ، الهند .
٤٥ ـ الثقات ، لابن شاهين ، الدار السلفية ، الكويت .

(جـ)

٤٦ ـ جامع الأحاديث ، ترتيب الشيخ أحمد عبد الجواد ، المدينة المنورة ، دمشق
٤٧ ـ الجامع لأخلاق الراوي ، للإمام الخطيب البغدادي ، ت الدكتور محمود الطحان ، نشر مكتبة المعارف ، بالرياض .
٤٨ ـ الجامع الصغير ، للحافظ السيوطي ، دار الفكر ، بيروت .
٤٩ ـ جامع العلوم والحكم ، للحافظ ابن رجب الحنبلي ، ت الشيخ شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس ، مؤسسة الرسالة .
٥٠ ـ جزء فيه أحاديث نافع بن أبي نعيم ، للحافظ محمد بن إبراهيم المقرئ ، ت الحويني الأثري ، دار الصحابة بطنطا .

(حـ)

٥١ ـ حاشية المحرر= النكت والفوائد السنية لابن مفلح ، مكتبة المعارف ، الرياض

٥٢ ـ حلية الأولياء ، لأبي نعيم ، مكتبة الخانجي ومطبعة السعادة ، مصر .

٥٣ ـ حياة الأنبياء ، للإمام البيهقي ، ت الشيخ محمد محمد الخانجي ، مطبعة التضامن الأخوي ، مصر .

(خـ)

٥٤ ـ خلاصة البدر المنير ، للحافظ ابن الملقن ، ت حمدي السلفي ، مكتبة الرشد بالرياض .

٥٥ ـ خلق أفعال العباد ، للإمام البخاري ، ت الدكتور عبد الرحمٰن عميرة ، دار عكاظ بجدة .

(د)

٥٦ ـ الدر المنثور ، للحافظ السيوطي ، دار الفكر ، بيروت .

٥٧ ـ الدرة الثمينة = أخبار مدينة الرسول ﷺ ، ت صالح محمد جمال ، مكتبة الثقافة بمكة المكرمة .

٥٨ ـ دلائل النبوة ، لأبي نعيم ، ت الدكتور محمد رواس القلعجي ، المطبعة العربية ، حلب .

٥٩ ـ دلائل النبوة ، للإمام البيهقي ، ت الدكتور عبد المعطي القلعجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(ر)

٦٠ ـ روح المعاني ، للعلامة الآلوسي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٦١ ـ الروض الأنف ، للإمام السهيلي ، توزيع الباز ، مكة المكرمة .

٦٢ ـ رياض الصالحين ، للإمام النووي ، ت عبد العزيز رباح ، وأحمد الدقاق ، دار المأمون ، دمشق .

(ز)

٦٣ ـ زاد المسير ، لابن الجوزي ، ت الدكتور محمد عبد الرحمٰن عبد الله ، دار الفكر ، بيروت .

٦٤ ـ الزهد ، للإمام أحمد بن حنبل ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٦٥ ـ الزهد ، للإمام عبد الله بن المبارك ، ت الشيخ حبيب الرحمٰن الأعظمي

(س)

٦٦ـ سبل الهدى والرشاد للإمام الصالحي ، ت عادل عبد الموجود وعلي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٦٧ ـ سلسلة الذهب ، خليل إبراهيم ملا خاطر . نشر دار القبلة .

٦٨ ـ سنن الترمذي ، ت الشيخ أحمد محمد شاكر وآخرين ، المكتبة الإسلامية بيروت .

٦٩ـ سنن الدارقطني ، ت السيد عبد الله هاشم اليماني ، المدينة المنورة .

٧٠ـ سنن الدارمي ، ت السيد عبد الله هاشم اليماني ، المدينة المنورة .

٧١ ـ سنن أبي داود ، ت الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار إحياء السنة النبوية .

٧٢ ـ السنن الكبرى ، للإمام البيهقي ، دائرة المعارف العثمانية ، الهند .

٧٣ ـ السنن الكبرى ، للإمام النسائي ، ت الدكتور عبد الغفار البنداري وسيد كسروي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٧٤ـ سنن ابن ماجه ، ت الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة .

٧٥ ـ سنن النسائي ، بحاشيتي السيوطي والسندي .

٧٦ ـ السيرة النبوية ، لابن حبان ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت .

٧٧ـ السيرة النبوية ، لابن كثير ، ت مصطفى عبد الواحد ، دار المعرفة ، بيروت .

٧٨ ـ السيرة النبوية ، لابن هشام ، بشرح الروض الأنف .

(ش)

٧٩ ـ شرح الخفاجي = نسيم الرياض ، شرح الشفا ، تصوير بيروت .

٨٠ ـ شرح السنة ، للإمام البغوي ، المكتب الإسلامي ، بيروت .

٨١ ـ شرح صحيح مسلم ، للإمام النووي ، مطبعة الحجازي ، بالقاهرة

٨٢ ـ شرح معاني الآثار ، للإمام الطحاوي ، ت محمد زهدي النجار .

٨٣ ـ شرح ملا علي القاري ، بحاشية شرح الخفاجي .

٨٤ ـ الشريعة للإمام الآجري ، ت الدكتور عبد الله عمر الدميجي ، دار الوطن بالرياض .

٨٥ ـ شعب الإيمان ، للإمام البيهقي ، ت بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت . ورجعت إلى طبعة الدار السلفية ، الهند .
٨٦ ـ الشمائل المحمدية ، للإمام البغوي ، ت الشيخ إبراهيم اليعقوبي ، دار الضياء ، بيروت .
٨٧ ـ الشمائل المحمدية ، للإمام الترمذي ، بيروت .

(ص)

٨٨ ـ صحة مذهب أهل المدينة ، لابن تيمية ، ضمن مجموع الفتاوى الكبرى .
٨٩ ـ صحيح البخاري بشرح فتح الباري ، السلفية ، القاهرة .
٩٠ ـ صحيح ابن حبان ، ت الشيخ شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة .
٩١ ـ صحيح ابن خزيمة ، ت الدكتور محمد مصطفى الأعظمي ، المكتب الإسلامي .
٩٢ ـ صحيح مسلم ، ت الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، عيسى البابي الحلبي ،

(ط)

٩٣ ـ الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، ت الدكتور إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت .
٩٤ ـ طبقات المحدثين بأصبهان ، للحافظ أبي الشيخ ، ت عبد الغفور البلوشي مؤسسة الرسالة .

(ع)

٩٥ ـ عظيم قدره ﷺ ورفعة مكانته عند ربه عز وجل ، خليل إبراهيم ملا خاطر ، العاشرة ، جدة .
٩٦ ـ علل الترمذي الكبير ، ت حمزة ديب مصطفى ، دار الأقصى ، عمان .
٩٧ ـ عمدة القاري ، للإمام العيني ، المطبعة المنيرية .
٩٨ ـ عمل اليوم والليلة ، لابن السني ، ت الدكتور عبد الرحمٰن كوثر البرني ، دار الأرقم ببيروت .
٩٩ ـ عمل اليوم والليلة ، للإمام النسائي ، ت الدكتور فاروق حمادة ، الرباط .
١٠٠ ـ عون المعبود لشمس الحق عظيم آبادي ، المكتبة السلفية ، المدينة المنورة .
١٠١ ـ عيون الأثر ، لابن سيد الناس ، دار المعرفة ، بيروت .

(ف)

١٠٢ـ فتح الباري ، للحافظ ابن حجر العسقلاني ، المطبعة السلفية ، القاهرة .

١٠٣ ـ الفروع ، لابن مفلح الحنبلي ، مكتبة ابن تيمية بالقاهرة .

١٠٤ ـ فضائل الصحابة ، للإمام أحمد بن حنبل ، ت وصي الله محمد عباس ، مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى ، مكة المكرمة .

١٠٥ ـ فضائل الصحابة الكرام ، خليل إبراهيم ملا خاطر ، دار القبلة ، جدة

١٠٦ ـ فضائل المدينة ، للإمام الجندي ، ت محمد مطيع الحافظ وغزوة بدير ، دار الفكر ، دمشق .

١٠٧ ـ فضائل المدينة المنورة ، خليل إبراهيم ملا خاطر ، دار القبلة ومؤسسة علوم القرآن .

١٠٨ ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير ، للحافظ المناوي ، القاهرة .

(ق)

١٠٩ ـ قصر الأمل ، للحافظ ابن أبي الدنيا ، ت محمد خير يوسف ، دار ابن حزم .

١١٠ ـ القول البديع في الصلاة والسلام على الحبيب الشفيع ﷺ ، للحافظ السخاوي ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

(ك)

١١١ ـ الكامل ، لابن عدي ، دار الفكر ، بيروت .

١١٢ ـ كتاب الحدائق في علم الحديث والزهديات لابن الجوزي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

١١٣ـ كشف الأستار بزوائد البزار للحافظ الهيثمي ، ت الشيخ حبيب الرحمٰن الأعظمي ، مؤسسة الرسالة .

١١٤ـ كشف الخفاء ، للإمام العجلوني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

١١٥ ـ الكنى ، للدولابي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

١١٦ـ كنز العمال للعلامة علي المتقي الهندي ، مكتبة التراث الإسلامي ، حلب .

(م)

١١٧ـ مجمع البحرين ، للحافظ الهيثمي ، ت عبد القدوس محمد نذير ، مكتبة الرشد ، الرياض .

١١٨ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، للحافظ الهيثمي ، دار الكتاب ، بيروت .
١١٩ ـ مجموع الفتاوى للشيخ ابن تيمية ، جمع عبد الرحمٰن القاسم وابنه محمد الرياض .
١٢٠ ـ محاسبة النفس لابن أبي الدنيا ، ت مجدي السيد إبراهيم ، مكتبة الساعي
١٢١ ـ المختارة ، للحافظ الضياء المقدسي ، ت الدكتور عبد الملك بن دهيش ، مكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة .
١٢٢ ـ مختصر زوائد مسند البزار ، للحافظ ابن حجر ، ت صبري عبد الخالق ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت .
١٢٣ ـ مختصر فضائل المدينة المنورة ، خليل إبراهيم ملا خاطر . الطبعة الثالثة
١٢٤ ـ المستدرك ، للإمام الحاكم النيسابوري ، تصوير أمين دمج ، بيروت .
١٢٥ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل ، المكتب الإسلامي ودار صادر ، بيروت . ورجعت لنسخة الشيخ أحمد شاكر .
١٢٦ ـ مسند إسحٰق بن راهويه ، ت الدكتور عبد الغفور البلوشي ، مكتبة الإيمان بالمدينة المنورة .
١٢٧ ـ مسند الحميدي ، ت الشيخ حبيب الرحمٰن الأعظمي ، باكستان .
١٢٨ ـ مسند الشاميين ، للإمام الطبراني ، ت الشيخ حمدي السلفي ، مؤسسة الرسالة .
١٢٩ ـ مسند الشهاب ، للإمام القضاعي ، ت حمدي السلفي ، مؤسسة الرسالة
١٣٠ ـ مسند الطيالسي ، دار الكتاب اللبناني ودار التوفيق ، بيروت .
١٣١ ـ مسند عبد بن حميد ، ت السيد صبحي السامرائي .
١٣٢ ـ مسند علي بن الجعد ، ت الدكتور عبد المهدي عبد الهادي ، مكتبة الفلاح ، الكويت .
١٣٣ ـ مسند الفردوس ، للديلمي ، ت السعيد بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
١٣٤ ـ مسند أبي يعلى الموصلي ، ت الأستاذ حسين أسد ، دار المأمون للتراث بدمشق .
١٣٥ ـ مشكل الآثار ، للإمام الطحاوي ، ت الشيخ شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة .
١٣٦ ـ المصاحف ، للحافظ ابن أبي داود ، ت محب الدين واعظ ، نشر وزارة الأوقاف بقطر .

١٣٧ـ مصباح الزجاجة على زوائد ابن ماجه ، للإمام البوصيري ، ت محمد المنتقى الكشناوي ، الدار العربية ، بيروت .
١٣٨ ـ مصنف ابن أبي شيبة ، الدار السلفية ، الهند .
١٣٩ ـ مصنف عبد الرزاق ، ت الشيخ حبيب الرحمٰن الأعظمي ، مؤسسة الرسالة .
١٤٠ـ المعجم الأوسط ، للإمام الطبراني ، ت طارق عوض الله وعبد المحسن الحسيني ، دار الحرمين بالقاهرة .
١٤١ ـ المعجم الصغير ، للإمام الطبراني = الروض الداني ، ت محمد شكور إمرير ، المكتب الإسلامي ودار عمار بعمان .
١٤٢ ـ المعجم الكبير ، للإمام الطبراني ، ت الأستاذ حمدي السلفي ، بغداد .
١٤٣ ـ معرفة الرجال ، للإمام يحيى بن معين ، ت محمد مطيع الحافظ وغزوة بدير ، مجمع اللغة العربية بدمشق .
١٤٤ ـ معرفة السنن والآثار ، للإمام البيهقي ، ت سيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية ببيروت .
١٤٥ ـ معرفة الصحابة ، للحافظ أبي نعيم ، ت الدكتور محمد راضي عثمان ، مكتبة الدار ومكتبة الحرمين .
١٤٦ ـ المغني ، للإمام ابن قدامة المقدسي ، ت الدكتورين عبد الله التركي وعبد الفتاح الحلو ، هجر بالقاهرة .
١٤٧ ـ المغني عن حمل الأسفار في الأسفار ، للحافظ العراقي ، بحاشية إحياء علوم الدين .
١٤٨ ـ مقدمة الجرح والتعديل ، لابن أبي حاتم ، الهند .
١٤٩ ـ المنتقى ، لابن الجارود ، نشر السيد عبد الله هاشم اليماني ،
١٥٠ـ منحة المعبود بترتيب مسند الطيالسي أبي داود ، للشيخ البنا الساعاتي ، القاهرة .
١٥١ـ موارد الظمآن بزوائد ابن حبان ، للحافظ الهيثمي ، تحقيق الشيخ عبد الرزاق حمزة ، المطبعة السلفية بالقاهرة .

١٥٢ ـ الموطأ ، للإمام مالك ، ت محمد فؤاد عبد الباقي ، القاهرة .

١٥٣ ـ ميزان الاعتدال ، للحافظ الذهبي ، دار الكتب الحديثة بالقاهرة .

(ن)

١٥٤ ـ نصب الراية ، للإمام الزيلعي ، ط القاهرة .

١٥٥ـ النظم المتناثر في الحديث المتواتر ، للسيد محمد بن جعفر الكتاني ، دار الكتب العلمية عن الطبعة المغربية .

١٥٦ـ النهاية (الفتن والملاحم) للإمام ابن كثير ، ت الشيخ إسماعيل الأنصاري مؤسسة النور بالرياض .

(و)

١٥٧ـ وفاء الوفاء ، للإمام السمهودي ، ت محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

☆☆☆☆☆

فهرس الرسالة

الموضوع	الصفحة
ـ المقدمة	٥
الفصل الأول **فضائل المدينة المنورة وساكنيها**	٩
ـ المقدمة	١١
ـ المبحث الأول : فضائل المدينة المنورة على الإجمال	١٥
ـ المبحث الثاني : منزلة ساكن المدينة المنورة المباركة	٣١
الفصل الثاني **مسؤولية ساكن المدينة المنورة المباركة**	٨١
ـ المقدمة : حال أهل المدينة المنورة قبل الإسلام وفي صدره	٨٣
ـ المبحث الأول : مسؤولية ساكن المدينة المنورة نحوها ونحو أهلها ..	٩٧
ـ المبحث الثاني : مسؤولية ساكن المدينة المنورة نحو القادمين إليها ..	١٥٧
ـ الخاتمة ، أحسن الله تعالى ختامنا	١٩١
ـ مصادر ومراجع الكتاب	١٩٣
ـ فهرس الكتاب	٢٠٣
ـ قائمة بأسماء كتب المؤلف	٢٠٥

☆☆☆☆☆

قائمة بأسماء كتب المؤلف

أ ـ المدرسة المدنية :

١ ـ الخصائص التي انفرد بها ﷺ عن سائر الأنبياء عليهم السلام .

٢ ـ عظيم قدره ﷺ ورفعة مكانته عند ربه عز وجل ، الطبعة العاشرة ، وترجم لعدد كبير من اللغات .

٣ ـ شمائل الرسول الأمين ﷺ (تحت الطبع).

٤ ـ سيرة الرسول ﷺ ـ العهد المكي ـ كما وردت في كتب السنة .

٥ ـ الإشارة ، للحافظ مغلطاي (تحقيق).

٦ ـ فضائل النبي الكريم ﷺ كما وردت في القرآن العظيم (تحت الطبع).

٧ ـ الأمانة العظمىٰ ونبيها ﷺ ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن . وقد ترجم لبعض اللغات .

٨ ـ الشوق إلى رسول الله ﷺ من الجذع إلى ثوبان .

٩ ـ مع رسول الله ﷺ في رمضان (تحت الطبع).

١٠ ـ الصلاة على النبي ﷺ . مكانتها ، أحاديثها ، مواطنها ، حكمها ، فوائدها ، وثمراتها .

١١ ـ الحسن بن علي رضي الله عنهما ؛ الخليفة الراشد الخامس .

١٢ ـ فضائل الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، نشر دار القبلة ، بجدة . وقد ترجم لبعض اللغات .

١٣ ـ فضائل المدينة المنورة ، الطبعة الخامسة . وقد ترجم لبعض اللغات .

١٤ ـ مختصر فضائل المدينة المنورة ، الطبعة الثالثة . نشر دار القبلة ومؤسسة علوم القرآن .

١٥ ـ فضائل مكة المكرمة .

١٦ ـ مكانة الحرمين الشريفين ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن . وقد ترجم لبعض اللغات .

١٧ ـ أمية النبي المصطفى ﷺ ، والرد على منكريها ، نشر دار القبلة .

١٨ ـ مكانة النبي الكريم ﷺ بين الأنبياء عليهم السلام . طبع مطابع الرشيد .

١٩ ـ الشفاعة ، والرد على منكريها (تحت الطبع).

٢٠ ـ ساكن المدينة المنورة ، منزلته ومسؤوليته . طبعة ثانية . نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .

٢١ ـ مختصر فضائل مكة المكرمة (تحت الطبع).

٢٢ ـ ساكن مكة المكرمة ، منزلته ومسؤوليته ، دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .
٢٣ ـ الآيات المنيفة في الأعضاء الشريفة (تحت الطبع).
٢٤ ـ الرحمة المهداة ﷺ (تحت الطبع).
٢٥ ـ الآيات الربانية في السيرة النبوية (حلقات ، وبعضها تحت الطبع).
٢٦ ـ الحب المتبادل (بين رسول الله ﷺ وبين المدينة المنورة) نشر دار القبلة .
٢٧ ـ فضائل بلاد الشام (تحت الطبع).

ب ـ مدرسة الإمام الشافعي رحمه الله تعالى :

٢٨ ـ الإمام الشافعي وأثره في الحديث وعلومه (تحت الطبع).
٢٩ ـ مسألة الاحتجاج بالشافعي فيما أسند إليه ، والرد على الطاعنين بعظم جهلهم عليه ، للخطيب البغدادي رحمه الله تعالى (تحقيق) طبعة ثانية .
٣٠ ـ بيان خطأ من أخطأ على الشافعي ، للإمام البيهقي (تحقيق) نشرتها رئاسة الإفتاء بالرياض .
٣١ ـ حجية الحديث المرسل عند الإمام الشافعي . طبعة ثانية ، دار القبلة .
٣٢ ـ مناقب الإمام الشافعي ، لابن الأثير ، وهو من كتابه الشافي ، نشر دار القبلة ومؤسسة علوم القرآن .
٣٣ ـ الشافي في شرح مسند الشافعي ، لابن الأثير (تحقيق ، تحت الطبع).
٣٤ ـ ثلاثيات الإمام الشافعي ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .
٣٥ ـ السنن للإمام الشافعي ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .
٣٦ ، ٣٧ ـ المسند للإمام الشافعي ، ومعه شافي العي ، للحافظ السيوطي (تحقيق).
٣٨ ـ الإمام الشافعي وعلم مختلف الحديث ، ستعاد طباعته إن شاء الله تعالى .
٣٩ ـ مناقب الإمام الشافعي ، للحافظ ابن كثير ، نشر مكتبة الإمام الشافعي بالرياض .
٤٠ ـ مناقب الإمام الشافعي ، للآبري (تحقيق).
٤١ ـ تخريج أحاديث الأم ، للإمام البيهقي (تحقيق).

جـ ـ علوم الحديث رواية :

٤٢ ـ مجموع الحديث ، للشيخ محمد بن عبد الوهاب (تحقيق) بالاشتراك مع الأخ الأستاذ الدكتور محمود طحان ، نشر جامعة الإمام ، بالرياض .
٤٣ ـ سبل السلام ، تعليق وتصحيح ـ بالاشتراك ، طبعة رابعة ، نشر جامعة الإمام .

٤٤ ـ شرح أربعين حديثاً ـ مكتوب على الآلة الكاتبة .

٤٥ ـ سلسلة الذهب (الشافعي ، عن مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر رضي الله عنهما) جمع ، وتخريج ، وتعليق . نشر دار القبلة ، بجدة .

٤٦ ـ صحيفة (أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة رضي الله عنه) جمع ، وتخريج ، وتعليق (تحت الطبع).

٤٧ ـ شرح أربعين باباً من سنن الترمذي ـ قسم العبادات ـ (تحت الطبع).

د ـ علوم الحديث دراية :

٤٨ ـ بدعة دعوى الاعتماد على الكتاب دون السنة .

٤٩ ـ مكانة الصحيحين ، طبعة ثانية ، نشر دار القبلة .

٥٠ ـ السنة النبوية وحي (تحت الطبع).

٥١ ـ مختصر السنة النبوية وحي ، نشر دار القبلة .

٥٢ ـ شبهات حول السنة ودحضها ، نشر دار القبلة .

٥٣ ـ نشأة علوم الحديث (تحت الطبع).

*** المبسوط في علوم الحديث ، وطبع منه :**

٥٤ ـ الحديث المتواتر .

٥٥ ـ الحديث الآحاد . الحلقة الأولىٰ .

٥٦ ـ الحديث المعلل ، طبعة ثانية ، نشرتها كلها دار الوفاء ، بجدة .

٥٧ ـ مقدمة شرح صحيح مسلم ، للإمام النووي ، شرح وتعليق ، نشر دار المدينة المنورة . بالمدينة المنورة .

٥٨ ـ الإسناد من الدين ، والرد على الطاعنين فيه (تحت الطبع).

٥٩ ـ الإمام البخاري وصحيحه والرد على الطاعنين فيهما (تحت الطبع).

٦٠ ـ مختصر علوم الحديث (تحت الطبع).

هـ ـ الأجزاء الحديثية :

٦١ ـ الإصابة في صحة حديث الذبابة ، دار القبلة . والثانية تحت الطبع .

٦٢ ـ مشروعية صيام ست من شوال ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .

٦٣ ـ تحريم نكاح المتعة (تحت الطبع).

و ـ بين الإنسان والجماد :

٦٤ ـ الإدراك عند الجمادات .

٦٥ ـ معرفة الله عز وجل بين الإنسان والجماد .

٦٦ ـ شوق الجمادات واستجابتها له ﷺ .

٦٧ ـ محبة النبي ﷺ وطاعته بين الإنسان والجماد ، ط ثالثة ، دار القبلة .

ز ـ بحوث مهمة في الكتاب والسنة :

٦٨ ـ حقوق الوالدين (القسم الأول : وهو بر الوالدين) نشر دار القبلة .

٦٩ ـ حقوق الزوجين .

٧٠ ـ المرأة في القرآن .

٧١ ـ الإحسان في القرآن .

٧٢ ـ زواج السيدة عائشة رضي الله عنها ، ومشروعية الزواج المبكر ، نشر دار القبلة . وستعاد طباعته قريباً إن شاء الله تعالى .

٧٣ ـ النظافة بين العلم والإيمان .

٧٤ ـ العلوم والإيمان ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .

حـ ـ الفتن وأشراط الساعة :

٧٥ ـ العداوة بين الإنسان والشيطان وأثر ذلك على الجريمة .

٧٦ ـ كيف أرسى الإسلام قواعد الأمن في الأرض .

٧٧ ـ أشراط الساعة .

٧٨ ـ مختصر أشراط الساعة ، نشر دار القبلة .

٧٩ ـ أخبار الدجال .

٨٠ ـ الردة قديمها وحديثها .

٨١ ـ المسيح عليه السلام ، قطعية رفعه ، وتواتر نزوله .

☆☆☆☆☆